مخبآت الكتب (٢)

تعيين أسماء الله الحسنى وشرحها

لشيخ الإسلام ابن تيمـيـة

اعتنى بنشره

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

العنوان: **تعيين أسماء الله الحسنى وشرحها.**

المؤلف: **شيخ الإسلام ابن تيمية.**

اعتنى بنشره: **د. إياد العكيلي.**

النشرة: **الأولى.**

سنة النشر: (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م).

عدد الصفحات: (٢٩٢) صفحة.




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الغر الميامين، وبعد:

فهذا مبحث رائع بعنوان: "تعيين أسماء الله الحسنى وشرحها" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة (٧٢٨ هـ) رحمه الله تعالى، استللتُه من رسالة الدكتوراه القيمة: "جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في باب أسماء الله الحسنى" للشيخ الدكتور أرزقي بن محمد السعيد سعيدي[١].

ومعلومٌ ما لهذا الباب من أهمية عظمى ومنزلة أسمى في عبادة الله تعالى والتقرب إليه، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه، وله سبحانه في كل لغة أسماء، وله في اللغة العربية أسماء كثيرة"[٢].

---

(١) مطبوع بمكتبة دار المنهاج بالرياض، ط١، ١٤٣٥ هـ، ١٠٨٧ صفحة.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣١).

ويقول " وأعظم المطالب العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأمره، ونهيه"[٣].

ويقول أيضاً: "الله سبحانه لمَّا كان هو الأول الذي خلق الكائنات، والآخِر الذي إليه تصير الحادثات؛ فهو الأصل الجامع؛ فالعلم به أصل كل علم وجامعه، وذكره أصل كل كلام وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه، وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته، وإذا حصل لهم ذلك: فما سواه إما فضل نافع، وإما فضول غير نافعة؛ وإما أمر مضر. ثم من العلم به: تتشعَّب أنواع العلوم، ومن عبادته وقصده: تتشعَّب وجوه المقاصد الصالحة، والقلب بعبادته والاستعانة به: معتصم مستمسك، قد لجأ إلى ركن وثيق، واعتصم بالدليل الهادي، والبرهان الوثيق، فلا يزال إما في زيادة العلم والإيمان، وإما في السلامة عن الجهل والكفر، وبهذا جاءت النصوص الإلهية في أنَّه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ وضرب مثل المؤمن -وهو المقر بربه علماً وعملاً- بالحي والبصير والسميع والنور والظل، وضرب مثل الكافر بالميت والأعمى والأصم والظلمة والحرور، وقالوا في الوسواس الخناس: هو الذي إذا ذُكر الله خنس، وإذا غُفل عن ذكر الله وسوس، فتبيَّن بذلك: أنَّ ذكر الله أصل لدفع الوسواس، الذي هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق

---

[٣] المرجع السابق (٧/ ٣٢٢).

وظلم، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ونحو ذلك من النصوص"[٤].

وفي هذا الفصل الذي نحن بصدد نشره، يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ أسماء الله تعالى -حسب ما وردت في النصوص-: ثلاثة أنواع، وهي: الأسماء المفردة، والأسماء المقترنة، والأسماء المضافة، وبلغ تعدادها -بحسب تتبع المصنف-: (١٧١) اسماً.

ثم أخذ المصنف في بيان الأسماء التي يُرجِّح شيخ الإسلام ابن تيمية عدم تسمية الله بها، ممَّا قد ينسبها لله تعالى بعض المبتدعة.

وأخيراً تتبَّع المصنف ما وقف عليه من شروحات شيخ الإسلام ابن تيمية لأسماء الله تبارك وتعالى على النحو المتقدم في بيان أنواعها الثلاثة، وقد بلغ مجموع "المشروح منها في مختلف كتبه: مائة وسبعة عشر اسماً، يذكر دليله من الكتاب والسنة، ويُجلِّي بعض معانيه، ويعتني بذكر الآثار المترتبة على التعبُّدِ لله عز وجل بهذه الأسماء"[٥].

---

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٦).

(٥) من كلام المصنف، (ص: ٩٤٨).

وأنوِّه بما قال المصنف -حفظه الله ورعاه- في مطلع هذا المبحث في شأن تتبع أسماء الله تبارك وتعالى من مجموع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد كلَّفني ذلك جُهداً مضنياً، ووقتاً ليس بالهيِّن في محاولة تتبع ذلك، ولا يمكن لأحد إدراك مدى صعوبة هذا الأمر إلا لمن خاض غمار البحث في هذا الباب الدقيق والصعب"[٦].

هذا وبالله التوفيق والتسديد، ومنه نستمد العون والتأييد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

---

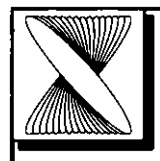
[٦] (ص: ٤٦١).

الباب الثاني

جهوده في تعيين أسماء الله الحسنى وشرحها

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: جهوده في تعيين أسماء الله الحسنى.
- الفصل الثاني: جهوده في شرح أسماء الله الحسنى.

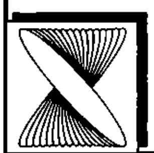


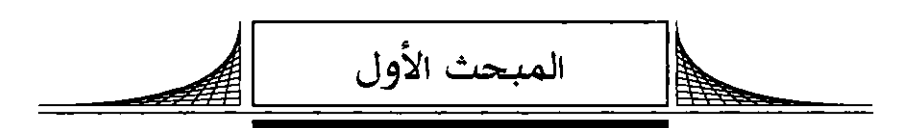

الفصل الأول

جهوده في تعيين أسماء الله الحسنى

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: جهوده في تعداد أسماء الله الحسنى بأدلتها.
- المبحث الثاني: بيانه للأسماء التي يرجح عدم تسمية الله ﷻ بها.



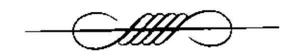



المبحث الأول

جهوده في تعداد أسماء الله الحسنى بأدلتها

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تقريراته لأنواع الأسماء الحسنى.
- المطلب الثاني: تعيينه للأسماء المفردة.
- المطلب الثالث: تعيينه للأسماء المقترنة.
- المطلب الرابع: تعيينه للأسماء المضافة.



المطلب الأول

تقريراته لأنواع الأسماء الحسنى

سبقتِ الإشارةُ إلى أن شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ارتضى المنهج الوَسَطَ في تعيين الأسماء الحسنى؛ فهو لَم يضيّق تضييق المقتصرين على التسعة والتسعين فقط، أو ما ورد بصورة الاسم دون المشتقِّ والمضافِ؛ ولا بمنهج المتوسعين الذين بالغوا في عدّ أسماء الله الحسنى، واشتقوا له من كل صفة أو فعل اسمًا دون مراعاةٍ للضوابط الفارقة، التي تجعل هذا الباب أخَصَّ الأبواب فيما يتعلق بما يطلق على الله عَزَّوَجَلَّ، فأدخلوا ما هو حقيقٌ بباب الصفات والأفعال، بل وحتى الإخبار في أسمائه تبارك وتعالى مما يجزم كل مطّلع على هذا الباب بعدم صحة تسمية الله عَزَّوَجَلَّ به[1].

(١) انظر: ص: (٢٤٣)، وما بعدها من هذه الرسالة.

بل كان فيما ارتضاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا المنهج الوسط مقتفيًا لآثار من قبله ممن سلفه من العلماء الذين ساروا على هذا المنهج؛ وهم أئمة السلف من أهل السُّنَّة والجماعة، ولقد كانت لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنايته الخاصة وجهوده المتميزة في تعيين أسماء الله الحسنى حَسَبَ ما أداه إليه اجتهاده في تطبيق الضابط الذي حدده لاعتبار الاسم من الأسماء الحسنى، وقد أسعفتنا جهود الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما وقف عليه من مخطوطات شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما لم يتم طبعه على جمع والده الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم في السِّفر العظيم «مجموع الفتاوى»، فقد وقف ضمن أحد المجاميع في «المكتبة الظاهرية» يحوي اثنتي عشرة رسالة بخط شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فطبعها ضمن «المستدرك على مجموع الفتاوى»، وقد حوت إحدى تلك الرسائل على جمع لشيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأسماء الحسنى استخرجها من القرآن الكريم، فبلغت نحوًا من مائة وخمسين اسمًا، سرد فيها تلك الأسماء بأدلتها حَسَبَ تقسيمٍ خاصٍّ، يتضح قريبًا، ثم إنني لم أكتفِ بما ورد في هذا الجمع، بل اجتهدتُ في استخراج ما عيّنه شيخ الإسلام من الأسماء الحسنى مما لم يرد في هذا الجمع، وقد كلفني ذلك جُهدًا مضنيًا ووقتًا ليس بالهيّن في محاولة تتبع ذلك، ولا يمكن لأحد إدراك مدى صعوبة هذا الأمر إلا لمن خاضَ غمار البحث في هذا الباب الدقيق والصعب.

وقبل بيان جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعداد ما عيّنه من الأسماء الحسنى بأدلتها، أودّ أن أقدم بهذا التمهيد في تقريرات شيخ الإسلام لأنواع الأسماء الحسنى؛ حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ذلك: «ترتيب أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الظاهرة نحو مائة وخمسين، موجودة في كتاب الله: **مفردة، ومقرونة، ومضافة، ومشبهة بالمضافة:**

فأما الموصولة المضمرة، فأكثر من أن تحصى، وكذلك ما قد يُشتقُّ منَ الأفعال المذكورة في القرآن...»[1]، ثم أخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سرد تلك الأسماء بأدلتها من القرآن الكريم.

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٣).

فمن خلال هذا النص نجد أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ يرى أنَّ أسماء الله الحسنى حَسَبَ ما وردت في النصوص ثلاثة أنواع، هي:

١ ـ **الأسماء المفردة.**

٢ ـ **الأسماء المقترنة.**

٣ ـ **الأسماء المضافة.**

وقد أشار رَحِمَهُ اللهُ إلى هذا التقسيم في مواضع أخرى من مؤلفاته؛ من ذلك قوله ـ في الإشارة إلى النوع الأول ـ وهي الأسماء المفردة ـ: «وكذلك أسماء الرب تعالى، إذا قيل: المَلِك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، فكل اسم يدل على معنًى ليس هو المعنَى الذي في الاسم الآخَرِ؛ فالذات واحدة والصفاتُ متعددةٌ، **فهذا في الأسماء المفردة**»[1].

فبين رَحِمَهُ اللهُ أن الأسماء المفردة هي الأسماء الواردة بصيغة الاسم المفرد، لا اقتران فيها بغيرها، ولا إضافة فيها، مثل أسماء الله تعالى: الملك، والقدوس، والسلام، والمهيمن... ونحو ذلك، وهذا الغالب في إطلاق أسماء الله تعالى أن تكون مفردة.

وقد أشار رَحِمَهُ اللهُ إلى النوع الثاني ـ وهي الأسماء المقترنة ـ وذلك في معرض حديثه عن الشَّرِّ وأنه لا يضاف إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إلا على أحد أوجه ثلاثة، فالأول منها: «أن يدخل في عموم المخلوقات، فإنه إذا دخل في العموم، أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم.

وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل، وإما أن يحذف فاعله:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، ونحو ذلك،

---

(١) معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعها قد بيَّنها الرسول ﷺ، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق: زمرلي) ص: (٦٧)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٦٨).

ومن هذا الباب **أسماء الله المقترنة**: كـ«المعطي المانع»، و«الضار النافع»، «المعز المذل»، «الخافض الرافع»، فلا يفرد الاسم: «المانع» عن قرينه، ولا «الضار» عن قرينه؛ لأن اقترانهما يدل على العموم»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «الأسماء التي فيها ذكر الشر، لا تذكر إلا مقرونة؛ كقولنا: «الضار النافع»، «المعطي المانع»، «المعز المذل»، أو مقيدة؛ كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]»(٢).

فأوضح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال هذا الكلام أن من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ ما لا يطلق إلا مقرونًا بغيره فيجرى مَجْرَى الاسم الواحد؛ لِمَا في دَلالةِ ذلك على العموم والكمال الذي يستحقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولما في إطلاق أحد الاسمين الدال على نوع من الشر من إيهام وَصفِ الله عَزَّ وَجَلَّ بالنقص الذي هو منزهٌ عنه، وقد سبقتِ الإشارةُ إلى هذا الموضوع في مبحث مستقل من الفصل السابق(٣).

هذا بالنسبة إلى الوجه الأول من أوجه الاقتران بين الأسماء؛ وهو اقتران ما لا يمكن فصله عن بعضه، فيجري في حقه عَزَّ وَجَلَّ مَجْرَى الاسم الواحد؛ وذلك مثل أسمائه عَزَّ وَجَلَّ: «المعطي المانع»، و«النافع الضار»، و«المعز المذل»، و«الرافع الخافض»، و«القابض الباسط».

وهذا النوع من الأسماء المقترنة سيتم تخصيصها بمطلب مستقل لإيراد تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في تعيينها، ثم بمبحث خاص في شرحها.

وهناك اقتران آخر بين أسماء الله المفردة يأتي لمعنًى إضافيٍّ يكسِبُهُ اقترانها ببعض، وإن كانت في الأصل أسماء مفردة يجوز إطلاقها على الله كلٌّ على حِدَةٍ؛ ولكنِ اقترنت لمناسبةٍ معيّنةٍ، وحكمةٍ مقصودةٍ من هذا

---

(١) أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ٩٤ ـ ٩٥)، **وانظر**: جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢١).

(٢) الحسنة والسيئة ص: (٥١)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١٤/ ٢٧٦)، **وانظر**: منهاج السنة النبوية: (٥/ ٤١٠)، بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠)، (٤/ ٣٩).

(٣) **انظر**: ص: (٢٩٨) وما بعدها من هذه الرسالة.

الاقتران، ومثال ذلك ما يختم الله ﷻ به في آياتٍ كثيرةً من كتابه فيجمع بين اسمين من أسمائه لمناسبة ذلك الجمع لمعنى يراد به.

وقد أشار رحمه الله إلى هذا النوع من الاقتران في مواضع عدة من مؤلفاته، ومن ذلك قوله رحمه الله في اسمي الجلال: «القدّوس» و«السّلام»: إنهما وردا مقترنينِ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ثم قال: «وهذا القِرانُ في معنى الإفراد»(١):

أي: إنَّه من الاقتران الجزئي الذي يمكن فصل الاسمين عن بعضهما، فقد يردان أحيانًا منفصلين في النصوص أو مقترنين بأسماء أخرى، ولكلٍّ معنًى مستقلٌّ به عندَ الإفراد.

ومن ذلك الاقتران بين اسمي الله ﷻ: «الغني الحميد»؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]؛ وبين اسمي الله ﷻ: «الغني والكريم»؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠]، وبين اسمي الله ﷻ «العزيز» و«الرحيم»؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]، وقد أوضح شيخ الإسلام رحمه الله وجه الاقتران بين هذه الأسماء بكلام طويل(٢).

أما هذا النوع من الاقتران، فهو اقتران لحكمة معينة قد تظهر أحيانًا وتخفى أحيانًا أخرى على أهل العلم، لكن الأصل في هذه الأسماء أن تطلق مفردة؛ ولهذا ستأتي تقريرات شيخ الإسلام رحمه الله في موضعها من تعيينه وشرحه للأسماء المفردة، مع الإشارة إلى ورودها مقترنة في بعض النصوص.

وأما إشارته إلى النوع الثالث من أنواع الأسماء الحسنى؛ وهي الأسماء المضافة؛ ففي مثل قوله رحمه الله ـ في جواب من سأله عمن يقول:

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٢) انظر: تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٢٧ ـ ٣٢)، مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٤)، النبوات: (١/ ٣٥٢).

لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا الواردة في حديث أبي هريرة ﷺ المشهور، قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، ثم قال ـ: «وكذلك **أسماؤه المضافة**؛ مثل: «أرحم الراحمين»، و«خير الغافرين»، و«رب العالمين»، و«مالك يوم الدين»، و«أحسن الخالقين»، و«جامع الناس ليوم لا ريب فيه»، و«مقلب القلوب»، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين»[(١)].

فتبين من خلال نص كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن من أسماء الله تعالى ما يأتي بصيغة الإضافة؛ مثل: «رب العالمين»، و«أرحم الراحمين»، و«خير الغافرين»، و«مالك يوم الدين»، و«أحسن الخالقين». . . ونحو ذلك.

هذه جملة من تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في بيانه لأنواع الأسماء الحسنى.

وأما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في النص السابق ـ: «. . . ومُشَبَّهة بالمضافة، فأما الموصولة المضمرة، فأكثر من أن تحصى، وكذلك ما قد يُشتقُّ من الأفعال المذكورة في القرآن»[(٢)].

فالمقصود بالمشبَّهةِ بالمضافة: الأسماءُ التي بيّنها رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ـ بعد هذا النص بصفحتين عند كلامه عن أسماء الفعل العامة والخاصة، فقال ـ: «أسماء الفعل العامة: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، البروج: ١٦]، في موضعين أو ثلاثة، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وخاصَّة: وذلك عامٌّ، ومشبَّهٌ بالمضافِ[(٣)]؛ كقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٣).

(٣) المشبه بالمضاف كما عرّفه النحاة: هو ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: لا قبيحًا فعله ممدوح، أو: لا طالعًا جبلًا حاضر، أو: لا خيرًا من زيد عندنا، **انظر**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: (٢/ ٨)، شرح قطر الندى ص: (١٦٦).

وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨] ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، و: ﴿رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]؛ فإن هذا معناه معنى الأفعال المضارعة، لكن لفظه لفظ الأسماء.

و: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٠]، و: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف: ٤١]، وأعم منه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٣١]، معناه معنى الأفعال، وكذلك قوله: ﴿كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ [الدخان: ١٥].

ومعنى أسماء الأفعال: كقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧ ـ ٤٨]»[(١)].

فتبيّن من خلال هذا النصّ والأمثلة التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله من الآيات العديدة التي جاءت فيها صيغ أسماء الأفعال: فَعَّال، وجاعل، وفالق، ومخرج، وموهن، ومحيي، ومنتقم، ومهلك، وكاشف؛ فإن هذه الصيغ كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله معناها معنى الأفعال المضارعة؛ لإفادتها الاستمرار، لكن لفظها لفظ الأسماء، وهذه الأسماء مما لا يصح إطلاق بعضها اسمًا في حق الله عز وجل، ولا تُعَدُّ منَ الأسماء الحسنى التي يُدعى الله عز وجل بها، وتقتضي المدح والثناء بنفسها كما مرّ معنا في ضابط اعتبار الاسم من أسماء الله الحسنى[(٢)]، وستأتي الإشارة إلى بعضها في مبحث خاص ضمن هذا الفصل؛ عند الكلام على جهوده في بيان الأسماء التي يُرجح عدم تسمية الله عز وجل بها[(٣)]، وإن كان شيخ الإسلام رحمه الله ذكر

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٥).

(٢) **انظر**: ص: (٢٠٩) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) **انظر**: ص: (٥١٧) وما بعدها من هذه الرسالة.

بعضها في جمعه هذا؛ مثل: الجاعل، والزارع، والمرسل، على أن أكثر أهل العلم الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى ـ: لم يعدوا هذه الأسماء من الأسماء الحسنى التي يُدعى الله ﷻ بها(١).

والمقصود بالموصولة المضمرة، في كلامه السابق: «فأما الموصولة المضمرة، فأكثر من أن تحصى، وكذلك ما قد يُشتقُّ منَ الأفعال المذكورة في القرآن»(٢).

فالموصولة المضمرة: ما يطلق من الأسماء الموصولة مرادًا بها الله ﷻ؛ مثل: «الذي» في قوله تعالى مثلًا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ونحوها.

هذه جملة من تقريرات شيخ الإسلام رحمه الله في بيان أنواع أسماء الله الحسنى، ويتبعه بيان جهوده في تعيين أسماء الله الحسنى بالتفصيل، وَفْقَ هذا التقسيم الذي ارتضاه رحمه الله.

المطلب الثاني

تعيينه للأسماء المفردة

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في أثناء جمعه لأسماء الله ﷻ الواردة في القرآن الكريم أنواعًا ثلاثة لأسماء الله الحسنى باعتبار دلالتها؛ وهي:

١ ـ الأسماء الحسنى الدالة على الألوهية والربوبية والمُلك.

٢ ـ الأسماء الحسنى الدالة على الخلق.

٣ ـ الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية والأسماء الجامعة للتنزيه والتحميد.

ولما كان التقسيم الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله لأنواع الأسماء

(١) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٢٣ ـ ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٥).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٣).

الحسنى من حيث صيغ ورودها ثُلاثيًّا أيضًا، وهي: الأسماء المفردة، والمقترنة، والمضافة، وكان من السهل تتبع الأسماء المقترنة والمضافة في مطلبين منفصلين ـ: خَصَّصتُ لهما المطلبين التاليين؛ كما سيأتي بإذن الله، إلا أنني لم أجد ضابطًا لتنويع الكلام حول الأسماء المفردة التي عيّنها شيخ الإسلام؛ وذلك لكثرتها، سوى أن أعتبر هذا التقسيمَ، فانتظَمَ الكلامُ حول الأسماء المفردة التي عيّنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ثلاثةَ فروعٍ؛ هي:

۞ الفرع الأول ۞

أسماء الله الحسنى الدالة على الألوهية والربوبية والملك

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في جمعه تحت هذا النوع ستة أسماء هي:

١ ـ الإلـه:

قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن اسم الجلال: «الإلـه» أكثر ما يرد في النصوص على وجهين: إما أن يكون مضافًا، أو يكون نكرة موصوفًا بالوحدانية؛ فقال رَحِمَهُ اللهُ في توضيح ذلك: ««إلـه»: أكثر ما يقع مضافًا؛ كقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣]، ﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨].

أو مُنكَّرًا موصوفًا بالوحدانية؛ كقوله: ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]»[(١)].

٢ ـ الإل:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في جمعه[(٢)] وذكر أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، ثم أعقبه بقوله: «على قول»[(٣)]، إشارةً إلى ترجيح عدم صحة تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ به.

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٤).

(٣) **أي**: على قول، في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، =

٣ ـ الرب:

قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن هذا الاسم لم يرد في النصوص إلا مضافًا، ثم بيّن أنواع تلك الإضافة؛ بضرب الأمثلة عليها من عدة مواضع من القرآن الكريم؛ فقال: «(الربُّ): لم يقع إلا مضافًا: إما إضافةَ عامَّةً؛ كقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، في أكثر من عشرين موضعًا[(١)]، وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥]، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: ٩]، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿رَبِّ﴾ [الأنبياء: ٢٢، الزخرف: ٨٢]، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩، المؤمنون: ٨٦، النمل: ٢٦]، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وإما إضافة خاصة؛ كقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ﴿رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧][(٢)]، ﴿رَبِّيَ﴾ [البقرة: ٢٥٨][(٣)]، ﴿وَرَبِّكَ﴾ [النساء: ٦٥][(٤)]، ﴿رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١][(٥)]، ﴿رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٣٧][(٦)]، ﴿رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦][(٧)]، ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢، الشعراء: ٤٨]، وهذا لا يكاد يُحصى.

= وقول أبي بكر رضي الله عنه لما قرئ عليه شيء من سجع مسيلمة الكذاب الذي يدعي أنه وحي من الله: «والله، إن هذا الكلام ما خرج من إلٍّ»؛ أي: إله، أورده الطبري في جامع البيان: (١/ ٤٣٨)، وفي تاريخ الرسل والملوك: (٢/ ٢٨٥).
والأشهر أن «الإل» في الآية: العهد والحلف، **انظر**: جامع البيان: (١٠/ ٨٢ ـ ٨٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(١) منها: الآية: [٢] من سورة الفاتحة، والآية: [١٣١] من سورة البقرة، والآية: [٢٨] من سورة المائدة، وغيرها كثير، مجموعها: اثنان وأربعون موضعًا.
(٢) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.
(٣) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.
(٤) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.
(٥) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.
(٦) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.
(٧) أمثالها العشرات من المواضع في القرآن الكريم.

ووقع مجامعي المضاف؛ في قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]»(١).

٤ ـ الملك، ٥ ـ المالك، ٦ ـ المليك:

من الأسماء التي عيّنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن الأسماء الدالة على الألوهية والربوبية والملك، أسماء الجلال: «الملك» و«المالك» و«المليك»، وفي تقرير أوجه ورودها في النصوص يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

««الملك»: وقع مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣، الجمعة: ١]، في موضعين، ومقرونًا في قوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤، المؤمنون: ١١٦].

«المالك»: وقع مضافًا: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

«المليك»: وقع مقرونًا؛ في قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]»(٢).

۞ الفرع الثاني ۞

أسماء الله الحسنى الدالة على الخلق

من الأسماء التي عيّنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن الأسماء الدالة على الخلق، ما يلي:

٧ ـ الخالق:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيغ ورود هذا الاسم في النصوص: «الخالق: وقع مفردًا؛ في قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وفي قوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩].

ومضاف إضافةً عامَّةً؛ في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، في ثلاثة

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٤)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥)، الفتاوى الكبرى: (١/ ٢١٨)، (ط المعرفة).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٤ ـ ٤٥).

مواضع[(١)].

ووقع مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]...

ومفضلًا في قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤، الصافات: ١٢٥]»[(٢)].

٨ ـ الفاطر:

«الفاطر: لم يقع إلا مضافًا؛ في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، في نحو ستة مواضع[(٣)]»[(٤)].

٩ ـ الباري:

«الباري: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ومضافًا في قوله: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]»[(٥)].

١٠ ـ المصور:

«المصوِّر: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]»[(٦)].

١١ ـ البديع:

نصّ رَحِمَهُ اللهُ على أن هذا الاسم لم يرد في النصوص إلا مضافًا؛ فقال: «البديع لم يقع إلا مضافًا؛ في قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، في موضعين[(٧)]»[(٨)].

---

(١) في أربعة مواضع: الآية: [١٠٢] من سورة الأنعام، والآية: [١٦] من سورة الرعد، والآية: [٦٢] من سورة الزمر، والآية: [٦٢] من سورة غافر.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٣) **انظر**: الآية: [١٤] من سورة الأنعام، والآية: [١٠١] من سورة يوسف، والآية: [١٠] من سورة إبراهيم، والآية: [١] من سورة فاطر، والآية: [٤٦] من سورة الزمر، والآية: [١١] من سورة الشورى.

(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٧) **انظر**: الآية: [١١٧] من سورة البقرة، والآية: [١٠١] من سورة الأنعام.

(٨) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

وفيما ورد من أن النبي ﷺ سمع داعيًا يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الملك، أنت الله المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: (**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ، أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ، أَعْطَى**)[١].

١٢ ـ الرزَّاق:

«الرزَّاق: وقع مفردًا؛ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، و...[٢] في قوله: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، في خمسة مواضع[٣]»[٤].

١٣ ـ الجامع:

«الجامع: جاء مضافًا؛ في قوله: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]»[٥].

١٤ ـ الصادق:

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله دليله من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦][٦].

١٥ ـ المُرسِل:

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله دليله من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥][٧].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٢). (٢) بياض في الأصل، ولعله: «ومفضلًا».

(٣) **انظر**: الآية: [١١٤] من سورة المائدة، والآية: [٥٨] من سورة الحج، والآية: [٧٢] من سورة المؤمنون، والآية: [٣٩] من سورة سبأ، والآية: [١١] من سورة الجمعة.

(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/٤٦).

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/٤٧).

(٦) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/٤٧).

(٧) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/٤٧).

١٦ ـ المنذر:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليلَه من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣][1].

١٧ ـ المؤمن:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله من قوله تعالى ـ في سورة الحشر: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣][2].

١٨ ـ المبتلي:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠][3].

١٩ ـ المُبْرِم:

«المبرم: جاء في قوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩]»[4].

٢٠ ـ الحَكَم:

وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله من قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤][5].

٢١ ـ الحكيم:

«الحكيم: مقرونًا بالعزيز في أكثر من أربعين موضعًا: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩][6]، ومقرونًا بالخبير: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[7]، في نحو

---

(١) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).
(٢) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).
(٣) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).
(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).
(٥) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).
(٦) في ستة وأربعين موضعًا آخر.
(٧) الآية: [١٨] من سورة الأنعام، والآية: [٧٣] من سورة الأنعام، والآية: [١] من سورة سبأ.

أربعة مواضع، ومقرونًا بالعليم: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢][١]، في قريب من ثلاثين موضعًا، و: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، في نحو سبعة مواضع، وبالحميد؛ في قوله: ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وبالتواب؛ في قوله: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، بعد قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية، وبالواسع في قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]»[٢].

٢٢ ـ الحاكم:

«الحاكم: لم يجئ إلا بصيغة التفضيل؛ في قوله: ﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥، التين: ٨]، في موضعين، و﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[٣]، في ثلاثة مواضع»[٤].

٢٣ ـ الفاصل:

«الفاصل: كذلك[٥] «في قوله: ﴿خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]»[٦].

٢٤ ـ الفتَّاح:

«الفتَّاح: جاء مقرونًا في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، ومفضَّلًا في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]»[٧].

٢٥ ـ الهادي:

«الهادي: جاء مقيدًا؛ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

---

(١) في ثلاثة وثلاثين موضعًا آخر.
(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧ ـ ٤٨).
(٣) الآية: [٨٧] من سورة الأعراف، والآية: [١٠٩] من سورة يونس، والآية: [٨٠] من سورة يوسف.
(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).
(٥) قوله: كذلك؛ أي: أن اسم «الفاصل» لم يأتِ إلا بصيغة التفضيل كسابقه، «الحاكم».
(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).
(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).

﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤]»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مبطلًا قول من استدل على هذا الاسم بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] ـ: «وقد قيل في قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾، وليس بشيء؛ بل المراد النبي الداعي المبين»[٢].

٢٦ ـ الشَّكُور:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيغ ورود هذا الاسم في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أنه جاء مقرونًا بغيره من الأسماء الحسنى، فإما أن يأتي مقرونًا بالعليم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، أو مقرونًا بالغفور؛ كما في قوله تعالى: ﴿غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[٣]، ومقرونًا بالحليم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧][٤].

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨)، **وانظر**: منهاج السنة النبوية: (٧/ ١٤١)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١/ ٣٢٦)، قاعدة عظيمة في الصراط المستقيم والزهد والورع، ضمن مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥٨١).
وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره: (٧/ ٢٢٢٥)، وابن كثير في تفسيره: (٢/ ٤٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور: (٤/ ٦٠٨)، أن هذا القول مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن إسناد هذا القول عن ابن عباس ضعيف، وقد صحّ عن ابن عباس من طرق أخرى أن الهادي في الآية هو النبي ﷺ.
وقد أشار ابن أبي حاتم في تفسيره: (٧/ ٢٢٢٥)، والبغوي في معالم التنزيل: (٣/ ٨)، والسيوطي في الدر المنثور: (٤/ ٦٠٨)، إلى أن القول بأن الهادي في الآية هو الله عَزَّ وَجَلَّ، هو قول سعيد بن جبير.
كما أشار ابن أبي حاتم في تفسيره: (٧/ ٢٢٢٥) إلى أنه قول الضحاك أيضًا.
ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير ص: (٧٢٦) إلى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، **وانظر**: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٤/ ٦٠٨).

(٣) الآية: [٣٠] من سورة فاطر، والآية: [٣٤] من سورة فاطر، الآية: [٢٣] من سورة الشورى.

(٤) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).

٢٧ ـ الموفي:

«الموفي: جاء مقيدًا؛ في قوله: ﴿لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩]»(١).

۞ الفرع الثالث ۞

أسماء الله الحسنى الدالة على الوحدانية ونحو ذلك من الأسماء الجامعة للتنزيه والتحميد

٢٨ ـ الأحد:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١](٢).

٢٩ ـ الواحد:

«الواحد: وقع مقرونًا صفةً؛ في قوله: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، في نحو خمسة مواضع(٣)، ومفردًا خبرًا في معنى المقرون؛ في قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [فصلت: ٤]، ومقرونًا بالقهار في قوله: ﴿الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥](٤)»(٥).

٣٠ ـ الصَّمد:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢](٦).

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٢) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٣) في أحد عشر موضعًا هي: الآية: [١٦٣] من سورة البقرة، والآية: [١٧١] من سورة النساء، والآية: [٧٣] من سورة المائدة، والآية: [١٩] من سورة الأنعام، والآية: [٥٢] من سورة إبراهيم، والآية: [٢٢] من سورة النحل، والآية: [٥١] من سورة النحل، والآية: [١١٠] من سورة الكهف، والآية: [١٠٨] من سورة الأنبياء، والآية: [٤٣] من سورة الحج، والآية: [٦] من سورة فصلت.

(٤) في ستة مواضع، أولها الآية: [٣٩] من سورة يوسف.

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٦) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

٣١ ـ الغَنيُّ:

«الغني: وقع مفردًا؛ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وهو هنا يجمع معنيي الغنيِّ، وفي قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، ومقرونًا في قوله: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، و: ﴿غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، في نحو تسعة مواضع(١)، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، في موضعين(٢)»(٣).

٣٢ ـ القُدُّوس:

«القدوس: وقع مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]»(٤).

٣٣ ـ السَّلام:

«السلام: وقع مقرونًا في: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾، وهذا القِرَان في معنى الإفراد(٥)»(٦).

٣٤ ـ الوتر:

استدل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإثبات اسم الجلال: «الوتر»، بقوله ـ في تفسير آية الفجر وبالسُّنَّة النبوية؛ فقال ـ: «الوتر في قوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]، على قول مجاهد(٧) ....

---

(١) في عشرة مواضع.

(٢) لا يوجد في القرآن غير هذا الموضع، والآية الأخرى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٥) انظر ما سبق في بيان أنواع الاقتران بين أسماء الله ﷻ: ص: (٣٠٠) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٧) انظر في نسبة هذا القول إلى مجاهد: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الفجر، جامع البيان: (٣٠/ ١٧١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٤٢٤)، زاد المسير في علم التفسير ص: (١٥٤٤)، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٤٠)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/ ٥٠٣).

وغيره(١)»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**)(٣)، وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين»(٤).

٣٥ ـ الحيُّ:

«الحي: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وفي قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]، ومقرونًا في قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، في ثلاثة مواضع(٥)»(٦).

٣٦ ـ القيُّوم:

«القيّوم: جاء مقرونًا بالحي في ثلاثة مواضع(٧)»(٨).

---

(١) مروي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٠/ ١٧١)، وعن أبي سعيد الخدري كما في معالم التنزيل: (٤/ ٤٨١)، والجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٤٠)، وعبد بن حميد؛ كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ٥٠٧)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/ ٥٠٣).
وعن أبي صالح ومسروق أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٠/ ١٧١)، وعبد بن حميد؛ كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/ ٥٠٣)، **وانظر**: زاد المسير ص: (١٥٤٤)، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٤٠).
ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٤٠) لمحمد بن سيرين وقتادة أيضًا.
وهو مروي عن عطية العوفي كما في معالم التنزيل: (٤/ ٤٨١).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).

(٣) جزء من حديث: (**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)، تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٤).

(٥) الآية: [٢٥٥] من سورة البقرة، والآية: [٢] من سورة آل عمران، والآية: [١١١] من سورة طه.

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).

(٧) نفس المواضع السابقة عند اسم الجلال: «القيّوم».

(٨) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).

٣٧ ـ القائم:

«القائم: جاء...[(١)] في قوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣]»[(٢)].

٣٨ ـ الباقي:

«الباقي: جاء مُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣]»[(٣)].

٣٩ ـ الوارث:

«الوارث: جاء مُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]»[(٤)].

٤٠ ـ الحقّ:

«الحق: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [طه: ١١٤، المؤمنون: ١١٦]، وفي قوله: ﴿ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، وفي قوله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [يونس: ٣٠]، و: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [يونس: ٣٢]، ومفردًا في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾[(٥)]»[(٦)].

٤١ ـ النُّور:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ دليله في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥][(٧)].

---

(١) بياض بالأصل، ولعله: مقيدًا.
(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).
(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).
(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).
(٥) الآية: [٦] من سورة الحج، والآية: [٦٢] من سورة الحج، والآية: [٣٠] من سورة لقمان.
(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).
(٧) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).

٤٢ ـ المبين:

«المبين: جاء مقرونًا: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]»[(١)].

٤٣ ـ العليم:

«العليم: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠]، ومنه نوع مقيد جاء مقرونًا بالحليم؛ ﴿عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢][(٢)]، و: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، و: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، في أكثر من ثلاثين موضعًا، ومقرونًا: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤، الحجرات: ١٣]، في نحو ثلاثة مواضع[(٣)]، ومقرونًا بالواسع في قوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، في نحو أربعة مواضع[(٤)]، ومقرونًا بالسميع: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، نحو ثلاثين موضعًا[(٥)]، و: ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، موضعان[(٦)]، و: ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، و: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، نحو ستة مواضع، و: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، نحو ثلاثة مواضع[(٧)]، و: ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠، الشورى: ٥٠]، نحو أربعة مواضع[(٨)]، وفي قوله: ﴿ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

ومبالغًا عامًّا في قوله: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، في بضعة عشر

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠).

(٢) جاء في المطبوع بعد هذه الآية: «حليم عليم» ولم أقف عليه في المصحف.

(٣) في موضعين، وقد مرت، وفي موضع: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وفي موضع: ﴿عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

(٤) في سبعة مواضع هي: [البقرة: ١١٥]، [البقرة: ٢٤٧]، [البقرة: ٢٦١]، [البقرة: ٢٦٨]، [آل عمران: ٧٣]، [المائدة: ٥٤]، [النور: ٣٢].

(٥) في ستة عشر موضعًا بهذه الصيغة، وخمسة عشر موضعًا بصيغة: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وموضع واحد بصيغة: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

(٦) بل هو موضع واحد.

(٧) في خمسة عشر موضعًا بهذه الصيغة، وبصيغة: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أربعة مواضع.

(٨) موضعان بهذه الصيغة، وموضع واحد بصيغة: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

موضعًا[١]، وخاصًا: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، في نحو اثني عَشَرَ موضعًا، ﴿عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥، التوبة: ٤٤]، موضعان، ﴿عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، موضعان[٢]، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، موضعان[٣]، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]، و: ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]، و: ﴿مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢][٤]، و: ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]»[٥].

٤٤ ـ العالم:

«العالم: لم يجئ إلا مضافًا؛ في قوله: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ في نحو ستة مواضع[٦]»[٧].

٤٥ ـ العلّام:

«العلّام: جاء مضافًا؛ في قوله: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، في نحو ثلاثة مواضع[٨]»[٩].

---

(١) في عشرين موضعًا.

(٢) في أربعة مواضع: [البقرة: ٩٥]، [البقرة: ٢٤٦]، [التوبة: ٤٧]، [الجمعة: ٧].

(٣) في ثلاثة مواضع: [البقرة: ٢٨٣]، [المؤمنون: ٥١]، [النور: ٢٨].

(٤) وانظر: [البقرة: ٢١٥]، [البقرة: ٢٧٣].

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٠ ـ ٥٢).

(٦) في اثني عشر موضعًا، **انظر**: الآية: [٧٣] من سورة الأنعام، والآية: [٩٤] من سورة التوبة، والآية: [١٠٥] من سورة التوبة، والآية: [٩] من سورة الرعد، والآية: [٩٢] من سورة المؤمنون، والآية: [٦] من سورة السجدة، والآية: [٣] من سورة سبأ، والآية: [٤٦] من سورة الزمر، والآية: [٢٢] من سورة الحشر، والآية: [٨] من سورة الجمعة، والآية: [١٨] من سورة التغابن، والآية: [٢٦] من سورة الجن.

(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٢).

(٨) في أربعة مواضع، **انظر**: الآية: [١٠٩] من سورة المائدة، والآية: [١١٦] من سورة المائدة، والآية: [٧٨] من سورة التوبة، والآية: [٤٨] من سورة سبأ.

(٩) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٢).

٤٦ ـ الأعلم:

«الأعلم: لم يجئ إلا مضافًا؛ ﴿بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وفي قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠]، وقوله: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، ﴿أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]، ﴿أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨]، ﴿أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٥]، ﴿أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠]»[2].

٤٧ ـ الخبير:

«الخبير: جاء مقيدًا؛ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و: ﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، في نحو من عشرين موضعًا[3]، وفي قوله: ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾، في نحو ثلاثة مواضع[4]، وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١]، وفي قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠، ٩٦]، ومقرونًا في قوله: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧، ٣٠، ٩٦]، و: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤، الحجرات: ١٣]، في نحو ثلاثة مواضع[5].

ومقرونًا مبالغًا؛ في قوله: ﴿بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، موضعان[6]، و: ﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، أربعة مواضع[7].

ومقرونًا باللطيف؛ ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، في نحو ستة مواضع[8]»[9].

---

(١) في أربعة مواضع، انظر: الآية: [١١٧] من سورة الأنعام، والآية: [١٢٥] من سورة النحل، والآية: [٥٦] من سورة القصص، والآية: [٧] من سورة القلم.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٢).

(٣) في عشرين موضعًا، ثلاثة عشر منها بالصيغة الأولى، وسبعة مواضع بالصيغة الثانية.

(٤) في موضعين: [الإسراء: ١٧]، [الفرقان: ٥٨].

(٥) في موضعين، وقد مرت، وفي موضع: ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وفي موضع: ﴿عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

(٦) الآية: [٣١] من سورة فاطر، والآية: [٣٧] من سورة الشورى.

(٧) في ثلاثة مواضع: [الأنعام: ١٨، ٧٣، سبأ: ١]، وفي موضع واحد: ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

(٨) في موضعين بصيغة: ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، [لقمان: ١٦]، وفي موضعين بصيغة: ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، [المُلك: ١٤].

(٩) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٢ ـ ٥٣).

٤٨ ـ السَّميع:

«السميع: جاء مقرونًا بالعليم في نحو ثلاثين موضعًا[١]، وفي قوله: ﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠] وبالبصير في نحو تسعة مواضع[٢]، ومضافًا؛ في قوله: ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨، إبراهيم: ٣٩]، في قصة زكريا وإبراهيم»[٣].

٤٩ ـ البصير:

«البصير: جاء مقرونًا بالسميع في سبعة مواضع[٤] ...[٥]؛ في قوله: ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، و: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، في نحو من عشرين[٦]، ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، في نحو أربعة مواضع[٧]، وفي قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]، وفي قوله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٥][٨]»[٩].

٥٠ ـ الرَّقيب:

«الرقيب: جاء مؤكدًا عامًّا؛ في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾

---

(١) في ستة عشر موضعًا بصيغة: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وخمسة عشر موضعًا بصيغة: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وموضع واحد بصيغة: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

(٢) في أربعة مواضع بصيغة: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، [غافر: ٢٠، ٥٦]، [الشورى: ١١]، وأربعة مواضع بصيغة: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١، ٧٥]، [لقمان: ٢٨]، [المجادلة: ١]، وموضعان بصيغة: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨، ١٣٤].

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٣). (٤) بل في عشرة مواضع سبق ذكرها قريبًا.

(٥) بياض بالأصل، ولعله: «مضافًا»، (أفاده محقق المستدرك على مجموع الفتاوى).

(٦) في تسعة عشر موضعًا.

(٧) ثلاثة مواضع بهذه الصيغة: [آل عمران: ١٥، ٢٠]، [غافر: ٤٤]، وموضع واحد بصيغة: ﴿بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

(٨) ومن الصيغ التي ورد بها أيضًا أن يكون مفردًا كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، ومقرونًا بالخبير في مثل قوله تعالى: ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧، ٣٠، ٩٦]، و: ﴿خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾، [فاطر: ٣١]، [الشورى: ٢٧].

(٩) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٣).

[الأحزاب: ٥٢]، وخاصًّا؛ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وخاصًّا؛ في قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]»[(١)].

٥١ ـ الشهيد:

«الشهيد: جاء مفردًا في معنى المقيَّد؛ في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ في نحو أربعة مواضع[(٢)]، و...[(٣)]، في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، و: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، و: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]، و: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت: ٥٢] و: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]»[(٤)].

٥٢ ـ الشاهد:

«الشاهد: جاء...[(٥)] بصيغة الجمع؛ في قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، ومفردًا في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]، على قول[(٦)]، وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]»[(٧)].

٥٣ ـ اللَّطيف:

«اللطيف: جاء مقرونًا بالخبير في نحو خمسة مواضع[(٨)]، و...[(٩)]

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٣).

(٢) في ثلاثة مواضع: [النساء: ٧٩، ١٦٦]، [الفتح: ٢٨].

(٣) بياض بالأصل، ولعله: «وعامًّا».

(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٥) بياض بالأصل، ولعله: «مقيدًا»، والله أعلم.

(٦) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالشاهد في الآية: الله، أخرجه ابن جرير في تفسيره: (٢٤/ ٣٣٦)، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٤).

(٨) في موضعين بهذه الصيغة: [الحج: ٦٣]، [لقمان: ١٦]، وفي موضعين بصيغة: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، [المُلك: ١٤].

(٩) أشار المحقق إلى وجود بياض بالأصل، ولعله: «ومقيدًا» والله أعلم.

في قوله: ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، و: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]»[١].

٥٤ ـ القدير:

«قدير: معلقًا عامًّا؛ كما في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، في قريب من ثلاثين موضعًا[٢]، ومعلقًا خاصًّا في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، ومفردًا؛ في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، ومقرونًا بالعلم في نحو أربعة مواضع[٣]، ومقرونًا؛ في قوله: ﴿عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]»[٤].

٥٥ ـ القادر:

«. . .[٥] ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، والقدرة على المعاد؛ في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ [يس: ٨١]، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [المعارج: ٤٠ ـ ٤١]، وجاء مفردًا؛ في قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]»[٦].

٥٦ ـ القويّ:

«القويّ: جاء مقرونًا بالعزيز؛ في قوله: ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]،

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٤).
(٢) في خمس وثلاثين موضعًا.
(٣) [النحل: ٧٠، الروم: ٥٤، فاطر: ٤٤، الشورى: ٥٠].
(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٤ ـ ٥٥).
(٥) بياض بالأصل، لعله: القادر؛ لأن الملاحظ أن الأدلة التي ساقها بعد هذا البياض تخص اسم: «القادر»، والله أعلم.
(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٥).

الشورى: ١٩]، في نحو ثلاثة مواضع[1]»[2].

٥٧ ـ القاهر:

«القاهر: جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، موضعان [الأنعام: ١٨، ٦١]»[3].

٥٨ ـ القهّار:

القهار: جاء في قوله: ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، في نحو سبعة مواضع[4]»[5].

٥٩ ـ العزيز:

«العزيز: جاء مقرونًا بالحكيم في أكثر من أربعين موضعًا[6]، وبالعليم في نحو ستة مواضع[7]، و: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦، الشورى: ١٩]، في عدة مواضع[8]، و: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[9]، و: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[10]، في نحو

---

(١) بل سبعة، موضعان بصيغة: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، وأربعة مواضع بصيغة: ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠، ٧٤]، [الحديد: ٢٥]، [المجادلة: ٢١]، وموضع واحد بصيغة: ﴿قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٤ ـ ٥٥).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٥).

(٤) في ستة مواضع، هي: [يوسف: ٣٩]، [الرعد: ١٦]، [إبراهيم: ٤٨]، [ص: ٦٥]، [الزُّمَر: ٤]، [غافر: ١٦].

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٥).

(٦) في ثمانية وأربعين موضعًا، منها تسعة وعشرون موضعًا بصيغة: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وثلاثة عشر موضعًا بصيغة: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وستة مواضع بصيغة: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(٧) [الأنعام: ٩٦]، [النمل: ٧٨]، [يس: ٣٨]، [غافر: ٢]، [فُصِّلَت: ١٢]، [الزُّخرُف: ٩].

(٨) موضعان بصيغة: ﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، وأربعة مواضع بصيغة: ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠، ٧٤]، [الحديد: ٢٥]، [المجادلة: ٢١]، وموضع واحد بصيغة: ﴿قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(٩) الآية: [١] من سورة إبراهيم، والآية: [٦] من سورة سبأ، والآية: [٨] من سورة البروج.

(١٠) الآية: [٦٦] من سورة ص، والآية: [٥] من سورة الزمر، والآية: [٤٢] من سورة غافر.

ثلاثة مواضع، و: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، و: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، في نحو اثني عَشَرَ موضعًا[1]، و: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، ثلاثة مواضع[2]، و: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢]، ومقرونًا كمفرد: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]»[3].

٦٠ ـ المحيط:

«المحيط: جاء معلقًا عامًّا؛ في قوله: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦، فصلت: ٥٤]، وخاصًّا؛ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، و: ﴿مُحِيطٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، ستة مواضع[4]»[5].

٦١ ـ العليُّ، ٦٢ ـ الأعلى، ٦٣ ـ المتعالي:

«العليُّ: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وفي قوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، خمسة مواضع[6]، وفي هذه المواضع: العَلِيّ، والمتعالي، وجاء في قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، والأعلى؛ في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]»[7].

٦٤ ـ المهيمن:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليله في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣][8].

(١) في ثلاثة عشر موضعًا، تسعة منها في سورة الشعراء.
(٢) [آل عمران: ٤]، [المائدة: ٩٥]، [إبراهيم: ٤٧].
(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٤) في ثلاثة مواضع: [آل عمران: ١٢٠]، [النساء: ١٠٨]، [الأنفال: ٤٧].
(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٦).
(٦) في أربعة مواضع: [الحج: ٦٢]، [لقمان: ٣٠]، [سبأ: ٢٣]، [غافر: ١٢].
(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٦)، وورد أيضًا مقرونًا بالعظيم، في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، [الشورى: ٤]، وورد مفردًا، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، ويلاحظ هنا أن شيخ الإسلام قد دمج بين أدلة هذه الأسماء لتقاربها في المعنى، والله أعلم.
(٨) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

٦٥ ـ الكفيل:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١][(١)].

٦٦ ـ الوكيل:

«الوكيل: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، في نحو تسعة مواضع[(٢)]، ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، و: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، و: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[(٣)].

٦٧ ـ الحَسِيبُ:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦، الأحزاب: ٣٩][(٤)].

٦٨ ـ الحاسب:

«الحاسب: جاء في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ومفضَّلًا؛ في قوله: ﴿أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]»[(٥)].

٦٩ ـ الولي:

«الوليّ: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، ومضافًا؛ في مثل قوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١]»[(٦)].

---

(١) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

(٢) هي: [النساء: ٨١، ١٣٢، ١٧١]، [الإسراء: ٢، ٦٥، ٨٦]، [الأحزاب: ٣، ٤٨]، [المزمل: ٩].

(٣) في ثلاثة مواضع: [الأنعام: ١٠٢]، [هود: ١٢]، [الزمر: ٦٢].

(٤) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

٧٠ ـ المَوْلَى:

«المولى: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، ومضافًا؛ في قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ﴾ [الأنفال: ٤٠، الحج: ٧٨]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم: ٤]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]»[١].

٧١ ـ النَّاصر:

«الناصر: جاء مُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وتقدم قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠، الحج: ٧٨]»[٢].

٧٢ ـ الحَفِيظُ:

«الحفيظُ: جاء في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ موضعان[٣]»[٤].

٧٣ ـ الحافظ:

«الحافظ: جاء مُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ﴾ [يوسف: ٦٤]، و...[٥] في قوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]»[٦].

٧٤ ـ المُجِيب:

«المجيب: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]»[٧].

٧٥ ـ الرحيم:

«الرحيم: قريبَ المائة والثلاثةَ عَشَرَ[٨]؛ جاء مقرونًا بالغفور في نحو

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧ ـ ٥٨).
(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨).
(٣) الآية: [٥٧] من سورة هود، والآية: [٢١] من سورة سبأ.
(٤) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨).
(٥) بياض بالأصل، ولعله: «ومقيدًا»، والله أعلم.
(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨).
(٧) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨).
(٨) مجموع ورود هذا الاسم بمختلف الصيغ في مائة وأربعة وعشرين موضعًا.

من ستين موضعًا(١)، وبالرحمٰن في البسملة، في النحل أيضًا، وفي ثلاثة مواضع(٢)، ومقرونًا بالرؤوف في نحو... (٣)، وفي قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ومقرونًا بالعزيز في أكثر من عشرة مواضع(٤)، ومعلقًا تعلقًا عامًّا؛ في قوله: ﴿بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩، الإسراء: ٦٦]، وخاصًّا في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وجاء مُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨]، وفي قوله: ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٥)»(٦).

٧٦ ـ الرءوف:

«الرءوف: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ثلاثة مواضع(٧)، ومعلقًا؛ في قوله: ﴿رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧، آل عمران: ٣٠]، ومقرونًا متعلقًا؛ في قوله: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، موضعان(٨)»(٩).

٧٧ ـ الغفور، ٧٨ ـ الغفَّار، ٧٩ ـ الغافر:

«الغفور: جاء مقرونًا بالرحيم في نحو خمسين موضعًا(١٠)، ومطلقًا؛ في قوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، ومقرونًا بالشكور(١١)؛ ومقرونًا بالحليم(١٢)،

---

(١) في اثنين وسبعين موضعًا.
(٢) في أربعة مواضع أخرى: [الفاتحة: ٣]، [البقرة: ١٦٣]، [فصلت: ٢]، [الحشر: ٢٢].
(٣) بياض بالأصل، ولعله: «تسعة مواضع»، وهو كذلك حيث ورد في القرآن في تسعة مواضع.
(٤) في ثلاثة عشر موضعًا، تسعة منها في سورة الشعراء.
(٥) الآية: [١٥١] من سورة الأعراف، والآية: [٦٤، ٩٢] من سورة يوسف، والآية: [٨٣] من سورة الأنبياء.
(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى، وورد أيضًا مقرونًا بالتواب، في قوله: ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، في سبعة مواضع.
(٧) في أربعة مواضع: [التوبة: ١١٧، ١٢٨]، [النور: ٢٠]، [الحشر: ١٠].
(٨) في خمسة مواضع: [البقرة: ١٤٣]، [النحل: ٧، ٤٧]، [الحج: ٦٥]، [الحديد: ٩].
(٩) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٩).
(١٠) في اثنين وسبعين موضعًا.
(١١) في ثلاثة مواضع هي: [فاطر: ٣٠، ٣٤]، [الشورى: ٢٣].
(١٢) في ستة مواضع هي: [البقرة: ٢٢٥، ٢٣٥]، [آل عمران: ١٥٥]، [المائدة: ١٠١]، [الإسراء: ٤٤]، [فاطر: ٤١].

والتواب في حديث[١]، وبالعزيز[٢]، وبالودود[٣]، وبالعَفُوِّ في أربعة مواضع[٤].

الغفار: ثلاثة مواضع[٥].

الغافر: جاء مضافًا؛ في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣]»[٦].

٨٠ ـ العَفُوُّ:

«العفو: جاء مقرونًا بالقدير؛ في قوله: ﴿عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وبالغفور في أربعة مواضع[٧]»[٨].

٨١ ـ الحليم:

«الحليم: جاء مقرونًا بالغفور في ثلاثة مواضع أو أكثر[٩]، وبالعليم في نحو ذلك[١٠]، وبالغني؛ في قوله: ﴿غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، وبالشكور؛ في قوله: ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]»[١١].

---

(١) يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنْ كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ) مائة مرة.
أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢/ ٢١)، وقال محققو المسند: (٨/ ٣٥٠)، (ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم: (٣٤٣٤)، وصححه الألباني.

(٢) في موضعين، في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وقوله: ﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

(٣) في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

(٤) هي: [النساء: ٤٣، ٩٩]، [الحج: ٦٠]، [المجادلة: ٢].

(٥) هي: [ص: ٦٦]، [الزُّمَر: ٥]، [غافر: ٤٢].

(٦) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٩).

(٧) هي: [النساء: ٤٣، ٩٩]، [الحج: ٦٠]، [المجادلة: ٢].

(٨) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٠).

(٩) في ستة مواضع هي: [البقرة: ٢٢٥، ٢٣٥]، [آل عمران: ١٥٥]، [المائدة: ١٠١]، [الإسراء: ٤٤]، [فاطر: ٤١].

(١٠) في موضعين: [النساء: ١٢]، [الحج: ٥٩].

(١١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٠).

٨٢ ـ التوَّابُ:

«التواب: جاء مقرونًا بالرحيم في نحو ستة مواضع(١)، وبالحكيم؛ في قوله: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، وجاء مفردًا في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣]»(٢).

٨٣ ـ الوهَّاب:

«الوهاب: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]»(٣).

٨٤ ـ الكريم:

«الكريم: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]»(٤).

٨٥ ـ الأكرم:

«الأكرم: كذلك جاء مقرونًا قرنَ وصفٍ لا عطف؛ في قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ ـ ٥]، وهو أول ما نزل»(٥).

٨٦ ـ البرّ:

«البرّ: جاء في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]»(٦).

---

(١) في ستة مواضع هي: [البقرة: ٣٧، ٥٤، ١٢٨، ١٦٠]، [التوبة: ١٠٤، ١١٨]، [الحجرات: ١٢].
(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: (١/ ٦١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

٨٧ ـ المَجِيد:

«المجيد: جاء مقرونًا بالحميد؛ في قوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وفي قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، على إحدى القراءتين[(١)]»[(٢)].

٨٨ ـ الحميد:

«الحميد: جاء مفردًا؛ في قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١ ـ ٢][(٣)]، ومقرونًا بالمجيد؛ في قوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وبالغَنِيِّ: ﴿غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، في نحو ثلاثة مواضع[(٤)]، ومقرونًا أيضًا؛ في قوله: ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله: ﴿ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وفي قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]»[(٥)].

٨٩ ـ خير:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليله في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣][(٦)].

٩٠ ـ العظيم:

«العظيم: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، موضعان[(٧)]،

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وقد قرئ: «المجيدُ»، بالرفع؛ صفةً لله، وقرئ بالخفض؛ صفةً للعرش»، الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) ص: (١١١)، مجموع الفتاوى: (٦/ ٥٥١)، **وانظر**: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص: (٣٦٧).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦١).

(٣) يلاحظ هنا أن اسم الجلال: «الحميد» جاء مقرونًا بالعزيز، ولم يأت مفردًا كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلعله يريد قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، والله أعلم.

(٤) في أربعة مواضع: [البقرة: ٢٦٧]، [إبراهيم: ٨]، [لقمان: ١٢]، [التغابن: ٦].

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦١ ـ ٦٢).

(٦) **انظر**: المصدر السابق: (١/ ٦٢).

(٧) الآية: [٢٥٥] من سورة البقرة، والآية: [٤] من سورة الشورى.

ومفردًا؛ في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾، ثلاثة مواضع[(١)]، وهو نعت للرب؛ بدليل قوله: (**سبحان ربي العظيم**)[(٢)]»[(٣)].

٩١ ـ القريب:

«...[(٤)]: جاء مقرونًا؛ في قوله: ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومُفضَّلًا؛ في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]»[(٥)].

۞ الفرع الرابع ۞

الأسماء المفردة التي ذكرها شيخ الإسلام في مؤلفاته، ولم ترد في جمعِهِ

إضافة إلى الأسماء الحسنى المفردة التي عيّنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بأدلتها في جمعه المذكور في الفروع السابقة ـ: هناك العديد من الأسماء الحسنى التي ذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في مؤلفاته المختلفة، ولم يذكرها في جَمعِهِ، فخصَّصْتُ هذا الفرعَ لتتبعها، وفي الغالب أكتفي بالإشارة إلى موضع واحد أو اثنين ذكر فيه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ الاسم، وإلا فإنه قد يذكره في عشرات المواضع من مؤلفاته، فالمقصود هنا الوقوف على جهوده في تعيين الأسماء الحسنى بأدلتها، وليس استقصاء أماكن ورودها في مؤلفاته، وقد رتبتها على حروف المعجم، وهي:

---

(١) الآية: [٧٤] و[٩٦] من سورة الواقعة، والآية: [٥٢] من سورة الحاقة.

(٢) يشير إلى حديث حذيفة بن اليمان: «أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: (**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**)، وَفِي سُجُودِهِ: (**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**)»، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم: (١٨١١).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٤) بياض في الأصل، وسياق الأدلة التي أوردها يدل على أن اسم: «القريب» هو المراد، والله أعلم.

(٥) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨).

٩٢ ـ الله:

هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله الحسنى، ولعل شيخ الإسلام أغفل ذكره في جمعه لوضوحه وجلائه، وعدم حاجته إلى دليل؛ فقد ورد هذا الاسم في ألفين وستمائة وموضعين من القرآن الكريم، ناهيك عن الآلاف مثلها في نصوص السُّنَّة النبوية، فهو اسم لا يحتاج في ثبوته إلى دليل، والله أعلم[(١)].

٩٣ ـ الجبار:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣][(٢)].

٩٤ ـ الجميل:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بدليله أثناء حديثه على موضوع عدم حصر أسماء الله الحسنى في التسعة والتسعين التي ورد تعيينها في حديث الأسماء المشهور، وبيّن أن هناك أسماءً حسنَى أخرى كثيرةً لم ترد في هذا الحديث؛ ومنها: «الجميلُ»؛ فقال: «وثبت عنه في الصحيح أنه قال: (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ؛ يُحِبُّ الجَمَالَ**)[(٣)]، وليس هو فيها»[(٤)].

٩٥ ـ الجَوَادُ:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا الاسم من الأسماء التي لم ترد في القرآن الكريم، وإنما ورد في بعض الأحاديث[(٥)]، فأورد بعض تلك

---

(١) لا حاجة إلى ذكر مراجع هذا الاسم؛ فهي لا تحصى كثرة، **وانظر** موطن شرحه في الفصل القادم.

(٢) **انظر**: التدمرية ص: (٢٤)، معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعها قد بيَّنها الرسول ﷺ، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق: زمرلي) ص: (٦٧)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٦٨).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٣).

(٤) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٤)، **وانظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥).

(٥) **انظر**: بيان تلبيس الجهمية: (١/ ٥٢٣).

الروايات قائلًا: «إن هذا الاسم بعينه لم يجئ في أسماء الله تعالى التي في القرآن، ولا في الأحاديث المشهورة في الصحيحين، لكن هذا الاسم جاء في رواية الترمذي، وابن ماجه فيه: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا غُمِسَ فِي البَحْرِ؛ وَذَلِكَ أَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ**)[١]، وروى هَنَّاد بن السَّري[٢]... عن طلحة بن عبد الله بن كريز[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللهَ جَوَادٌ؛ يُحِبُّ الجُودَ**)[٤]»[٥].

٩٦ ـ الحَيِيُّ:

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هذا الاسم في العديد من المواضع من مؤلفاته[٦]، وأشار إلى دليله أيضًا؛ عن سَلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: (**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ؛ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا**

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) هنّاد بن السَّري بن مصعب التميمي، الدارمي، أبو السَّري الكوفي، الإمام الحجة القدوة، أحد الرواة الثقات، أخرج له أصحاب الكتب الستة ما عدا البخاري، له كتاب الزهد، توفي سنة: ٢٤٣هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (٣٠/ ٣١١)، سير أعلام النبلاء: (١١/ ٤٦٥).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز بن جابر الخزاعي الكعبي، أبو المطرف الكوفي، تابعي ثقة، أخرج له أبو داود وابن ماجه في السنن.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: (١٣/ ٤٢٤)، تقريب التهذيب ص: (٤٦٤).

(٤) أورده هنّاد بن السَّري في كتابه: «الزهد»: (٢/ ٤٢٣) برقم: (٨٢٨)، والحديث بهذا الإسناد مرسل وهو ضعيف، ولكن روي من طرق أخرى، فقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٥/ ٢٩) مرفوعًا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (١٦٢٧)، وصحيح الجامع الصغير وزياداته برقم: (١٧٤٤).

(٥) بيان تلبيس الجهمية: (١/ ٥٣٣ ـ ٥٣٧). (٦) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢١/ ٢٣٧).

صَفْرَاوَيْنِ)[(١)(٢)].

٩٧ ـ الخلَّاق:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ دليله في أثناء ذكره لأدلة اسم الخالق، وأنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦][(٣)].

٩٨ ـ الديّان:

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الاسمَ في موضع واحد من مؤلفاته[(٤)]، وأشار إلى دليله في العديد من المواضع من مؤلفاته، وأنه مأخوذ من قوله ﷺ في الحديث القدسيِّ: **(يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ)**[(٥)(٦)].

٩٩ ـ الرحمٰن:

اسم الجلال: «الرحمٰن» ورد في القرآن الكريم مفردًا في اثنين وأربعين موضعًا، أولها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، أو مقرونًا بالرحيم؛ في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، في ستة مواضع[(٧)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم: (١٤٩٠)، والترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب ١٠٥، رقم: (٣٥٥٦)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم: (٣٨٦٥)، وصححه الألباني في مواضعه من السنن.

(٢) **انظر**: مسائل من الفتاوى المصرية، ضمن جامع المسائل: (٤/ ٩٧)، درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٣٦٣).

(٣) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦)، مجموع الفتاوى: (٣/ ٢٩٩).

(٤) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].
وأخرجه الإمام أحمد في المسند موصولًا: (٢٥/ ٤٣٢، ط الرسالة)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن».

(٦) **انظر**: شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٥٣ ـ ٥٤)، درء تعارض العقل والنقل: (١/ ٢٦٠).

(٧) [الفاتحة: ١، ٣]، [البقرة: ١٦٣]، [النمل: ٣٠]، [فصلت: ٢]، [الحشر: ٢٢]، =

١٠٠ ـ السبّوح:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ في تعيين اسم الجلال «السبّوح» وبيان دليله ـ: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمًا[1]: «السُّبُّوحُ»؛ وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**)[2]»[3].

١٠١ ـ الشافي:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بدليله، أثناء حديثه على موضوع عدم حصر أسماء الله الحسنى في التسعة والتسعين، التي ورد تعيينها في حديث الأسماء المشهور، وبيّن أن هناك أسماء حسنى أخرى كثيرة لم ترد في هذا الحديث؛ ومنها: «الشافي» ـ: فقال: «واسمه الشافي، كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: (**أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا**)[4]»[5].

١٠٢ ـ الطيِّبُ:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بدليله، أثناء حديثه على موضوع عدم حصر أسماء الله الحسنى في التسعة والتسعين اسمًا، التي ورد تعيينها في حديث الأسماء المشهور، وبيّن أن هناك أسماءً حسنى أخرى كثيرةً لم ترد في هذا الحديث ومنها: «الطيّب»؛ فقال: «وفي الصحيح عنه أنه قال: (**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَـيِّبًا**)[6]، وليس هذا فيها»[7].

= ولا حاجة إلى ذكر مواضع ورود هذا الاسم؛ فهي لا تحصى كثرة.

(١) يقصد تعيين الأسماء المدرجة في رواية الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وقد سبق الحديث عنها، **انظر**: ص: (٢٤٥) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٤).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، **وانظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥).

(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٤).

(٥) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، **وانظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥).

(٦) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٣).

(٧) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٤)، **وانظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥).

١٠٣ ـ الكبير:

أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في العديد من المواضع من مؤلفاته(١)، أما دليله، فقوله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وفي قوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢، لقمان: ٣٠، سبأ: ٢٣، غافر: ١٢]، ولم يرد إلا بهذه الصيغة.

١٠٤ ـ المتكبِّر:

أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في العديد من المواضع من مؤلفاته(٢)، ولم يرد هذا الاسم إلا في موضع واحد من القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

١٠٥ ـ المتين:

أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في العديد من المواضع من مؤلفاته(٣)، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

١٠٦ ـ المحسن:

صرّح شيخ الإسلام رحمه الله باسميته في مواضع عدة من مؤلفاته(٤)، ولم يرد له ذكر في القرآن الكريم، بل ورد في السُّنَّة النبوية(٥)، وذلك في حديث

---

(١) **انظر**: تفسير سورة الأعلى، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ١٠٧).

(٢) **انظر**: التدمرية ص: (٢٤)، مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٦٨).

(٣) **انظر**: التسعينية: (١/ ١٢٤)، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٠١).

(٤) من أصرح تلك المواضع قوله رحمه الله عند الحديث عن الأسماء المعبدة لله: «وكان شيخ الإسلام الهروي قد سمّى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى، وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم التعبيد لله، كعبد الله، وعبد الرحمٰن، وعبد الغني، والسلام، والقاهر، واللطيف، والحكيم، والعزيز، والرحيم، والمحسن، والأحد، والواحد، والقادر، والكريم، والملك، والحق». اهـ، مجموع الفتاوى: (١/ ٣٧٩)، **وانظر**: الرسالة الأكملية ص: (٤٨).

(٥) لفضيلة شيخنا أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر بحث بعنوان: «إثبات أن =

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا حَكَمْتُمْ، فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلتُمْ، فَأَحْسِنُوا؛ فَإِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ؛ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**)[١].

وحديث شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ اثنتين، قال: (**إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ؛ يُحِبُّ الإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**)،،، الحديثَ[٢].

١٠٧ ـ المسعِّر:

أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في مواضع عدة من مؤلفاته[٣]، من خلال ذكر دليله في قوله ﷺ في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه غَلَى السِّعْر في عهده، فسأله الصحابةُ أن يُسَعِّرَ لهمُ السِّلَعَ؛ من أجل التخفيف عنهم، فقال ﷺ: (**إِنَّ اللهَ هُوَ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**)[٤].

= المحسن من أسماء الله»، وهو مطبوع طبعة مستقلة، ومنشور ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد: (٣٦).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الديات ص: (٥٢)، والطبراني في المعجم الأوسط: (٦/ ٤٠)، برقم: (٥٧٣٥)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: (٦/ ١٣٣)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان: (٢/ ٧٥ ـ ٧٦) برقم: (١١٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/ ١٩٧): «رجاله ثقات»، وحسنه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٤٦٩)، صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم: (٤٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (٤/ ٤٩٢) برقم: (٨٦٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير: (٧/ ٢٧٥)، برقم: (٧١٢١)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم: (١٨٢٤).

(٣) **انظر** في إشارة شيخ الإسلام لهذين الاسمين: الحسبة في الإسلام ص: (٢٢، ٣٥)، مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٧٦، ٩٥)، (٢٩/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في التسعير، برقم: (٣٤٥١).
والترمذي في جامعه، كتاب البيوع، باب: (٧٣)، برقم: (١٣١٤).
وابن ماجه، في سننه، كتاب التجارات، باب من كره أن يُسَعِّر، برقم: (٢٢٠٠).
وصححه الألباني في المواضع المذكورة من السنن.

١٠٨ ـ المنَّان:

«المنّان» من الأسماء الحسنى التي أوردها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته؛ ولكنه لم يدرجها ضمن جمعه للأسماء الحسنى من القرآن الكريم، وقد أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى دليل ثبوته؛ في أثناء حديثه عن الأسماء التي لم ترد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي فيه تعيين الأسماء من رواية الترمذي وابن ماجه؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك اسم «المنّان»؛ ففي الحديث الذي رواه أهل السنن أن النبي ﷺ سمع داعيًا يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك المُلكَ، أنت الله المنانُ، بديعُ السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ، فقال النبيُّ ﷺ: **(لَقَد دَّعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ؛ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)**[١]، وهذا ردٌّ لقول من زعم أنه لا يكون في أسمائه المنان»[٢].

١٠٩ ـ الودود:

«الودود» من الأسماء الحسنى التي أوردها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته[٣]؛ ولكنه لم يدرجها ضمن جَمعِهِ للأسماء الحسنى من القرآن الكريم، وقد أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن اسم الجلال: «الودود» قد ورد في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠][٤].

١١٠ ـ المدبِّر:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع عدة من مؤلفاته[٥]، دون الإشارة إلى دليله، ومن أورد هذا الاسم من أهل العلم استدلوا على ثبوته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٢). (٢) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٣).
(٣) **انظر**: رسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة، ضمن مجموع الفتاوى: (١/ ٣٧).
(٤) **انظر**: النبوات: (١/ ٣٥٢).
(٥) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ٩٢)، (١٧/ ٢٧).

﴿ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥][١].

١١١ ـ المغيث، ١١٢ ـ الغياث:

لم يُشِر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ إلى أدلة ثبوت هذين الاسمين، عدا ما يُفهم من نقله لكلام الحَلِيميِّ[٢]؛ في شرح هذين الاسمين[٣]، واستدلاله عليهما بورود اسم «المغيث» في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي فيه تعيين الأسماء، وقد سبق بيان عدم صحة رفع التعيين للنبي ﷺ[٤]، وبقوله ﷺ ـ في خبر الاستسقاء ـ: **(اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا)**[٥]؛ فعليه يكون هذان الاسمان مما أُخِذَا بالاشتقاقِ، ولم يردا في النصوص بصورةِ الاسم[٦].

١١٣ ـ النظيفُ:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بدليله أثناء حديثه على موضوع عدم حصر أسماء الله الحسنى في التسعة والتسعين التي ورد تعيينها في حديث الأسماء المشهور، وبيّن أن هناك أسماءً حسنى أخرى كثيرةً لم ترد في هذا الحديث؛ ومنها: «النظيفُ»؛ فقال: «وفي الترمذي وغيره أنه قال: **(إنَّ اللهَ نَظِيفٌ؛**

---

(١) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٤٤).

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبد الله الحليمي.

(٣) **انظر**: الاستغاثة في الدر على البكري ص: (٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٤) **انظر**: ص: (٢٤٥) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم: (١٠١٤).
ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم: (٢٠٧٥).

(٦) وقد أورد هٰذين الاسمين كل من الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان: (١/ ٢٠٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (١/ ١٧٣)، والقرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: (١/ ٢٨٦).
وأورد اسم «المغيث» فقط إضافة إلى من ذُكر: ابن القيم في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: (النونية) ص: (٢١٠)، **وانظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٣٤ ـ ٢٣٥، ٢٥٠).

يُحِبُّ النَّظَافَةَ)[(١)]، وليس هذا فيها»[(٢)].

١١٤ ـ المُقْسِطُ:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع عدة من مؤلفاته[(٣)]، دون الإشارة إلى دليله، ومَن أورد هذا الاسم مِن أهل العلم[(٤)] استدلَّ على ثبوته بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وبقوله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنامَ، يَرْفَعُ القِسْطَ وَيَخْفِضُهُ...)**[(٥)].

١١٥ ـ الحنَّان:

الحنّان منَ الأسماء الحسنى التي أوردها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته[(٦)]؛ ولكنه لم يُدرِجها ضِمنَ جَمعِهِ للأسماء الحسنى من القرآن الكريم، وقد أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى دليل ثبوته؛ فقال فيه رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتفقوا[(٧)] على أن الله يُسأل وحده، ويُقسَمُ عليه بأسمائه وصفاته، كما يُقسم على غيره بذلك؛ كالأدعية المعروفة في السنن: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ؛ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، أَنْتَ اللهُ الحَنَّانُ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)**[(٨)]»[(٩)].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٣).   (٢) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٤).

(٣) **انظر**: الرسالة الأكملية ص: (٤٨).

(٤) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٥١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: **(إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ)**، برقم: (٤٤٤).

(٦) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣١٦).   (٧) المقصود أهل العلم.

(٨) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٢)، وهو عند الإمام أحمد في المسند ورواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم، بدون ذكر «الحنَّان»، وقد ورد هذا الاسم في حديثٍ آخَرَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: **(إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ...)** الحديث، أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٣/ ٢٣٠)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيفٌ جدًّا»: (٢١/ ٩٩ ـ ١٠٠)، (ط الرسالة)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات: (٢/ ٤٣٧)، وحكم عليه بالوضع.

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٧٨١).

١١٦ ـ النَّصير:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته(١)، لكنه لم يذكره ضمن جمعه للأسماء، أما صيغ ورود هذا الاسم في القرآن الكريم، فإنه جاء مفضَّلًا؛ في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وجاء مقرونًا بالهادي؛ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١](٢).

١١٧ ـ الباعث:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته(٣)؛ لكن لم يذكر دليله، وأشار العلماء المصنفون في جمع أسماء الله الحسنى وشرحها إلى أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ونحوها من الآيات(٤)، واللافت أنه لم يرد إطلاقه في النصوص بصورة الاسم، بل ورد فعلًا، وليس كل ما يرد فعلًا في حق الله عَزَّ وَجَلَّ يصح اشتقاق الاسم منه؛ فإن باب الصفات والأفعال أوسع من باب الأسماء كما سبق تقريره من خلال جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ(٥).

١١٨ ـ الماجد:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته(٦)، وأشار إلى أنه مأخوذٌ منَ الحديث القدسي الذي فيه: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ**

(١) **انظر**: الكيلانية، ضمن مجموع الفتاوى: (١٢/ ٤٣٧).
(٢) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (١٨٥)
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٦/ ٢٦٨).
(٤) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (١٨٥).
(٥) **انظر**: ص: (٢١٤) وما بعدها من هذه الرسالة.
(٦) **انظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٤/ ١٨)، رسالة في معنى كون الرب عادلًا وفي تنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٣٧).

المِخْيَطُ إِذَا غُمِسَ فِي البَحْرِ، وَذَلِكَ أَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُّ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ)[١].

١١٩ ـ الواجد:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته[٢]، وأشار أنه مأخوذ من الحديث القدسي الذي فيه: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ وَاجِدٌ؛ إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُّ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ: لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)[٣].

١٢٠ ـ الواسع:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته[٤]؛ لكن لم يورده ضمن جمعه للأسماء الحسنى، وقد جاء في القرآن الكريم مقرونًا بالعليم؛ في مثل قوله تعالى: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، في سبعة مواضع[٥]، ومقرونًا بالحكيم في موضع واحد؛ في قوله تعالى: ﴿وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

١٢١ ـ المنعم:

أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع في مؤلفاته[٦]؛ لكن لم يورده ضِمنَ جمعه للأسماء الحسنى، وأشار العلماء المصنفون في جمع أسماء الله الحسنى وشرحها إلى أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، ونحوها من الآيات[٧]، والملاحظ أنه لم يرد إطلاقه في النصوص بصورة الاسم، بل ورد فعلًا، وليس كل ما يرد فعلًا في حق الله ﷻ يصح اشتقاق الاسم منه؛ فإن باب الصفات والأفعال أوسع من باب الأسماء؛ كما سبق تقريره من خلال جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ[٨].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦).
(٢) **انظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٤/ ١٨).
(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦).
(٤) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٥/ ١٣٣، ٢٤٦).
(٥) **انظر**: [البقرة: ١١٥، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٦٨]، [آل عمران: ٧٣]، [المائدة: ٥٤]، [النور: ٣٢].
(٦) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٨/ ٣٢)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (١١٢).
(٧) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٥٤).
(٨) **انظر**: ص: (٢١٤) وما بعدها من هذه الرسالة.

المطلب الثالث

تعيينه للأسماء المقترنة

هناك العديد من الأسماء الحسنى المقترنة التي ذكرها شيخ الإسلام في مواضع مختلفة من كتبه، وهذا المطلب معقود لبيان جهوده رحمه الله في تعيين ما عيّنه من هذا النوع من الأسماء بأدلتها؛ وهي:

١٢٢ ـ الأول، ١٢٣ ـ الآخِر، ١٢٤ ـ الظاهر، ١٢٥ ـ الباطن:

أورد شيخ الإسلام رحمه الله هذه الأسماءَ الحسنى في مواضع عدة من مؤلفاته[١]، مستدِلًّا على إطلاقها في حق الله عز وجل من كتاب الله الكريم، ومن سُنَّة سيد المرسلين ﷺ؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ومن قوله ﷺ في دعائه المشهور: **(اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيم، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ)**[٢].

١٢٦ ـ الباسط، ١٢٧ ـ القابض:

أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى هذين الاسمين بذكر الدليل من السُّنَّة النبوية الذي أشار إليهما، وذلك في العديد من المواضع من كتبه، حيث ورد هذان الاسمان في قوله ﷺ ـ عندما غلى السعر في عهده فسأله الصحابة أن يسعر لهم السلع؛ من أجل التخفيف عنهم، فقال ﷺ ـ: **(إِنَّ اللهَ هُوَ القَابِضُ**

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ١٩٢)، (٢/ ١٦، ٤٠٦)، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٠٦).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٦).

البَاسِطُ الرَزَّاقُ المُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ، وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ)(١)(٢).

١٢٨ ـ المقدِّم، ١٢٩ ـ المؤخِّر:

أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذين الاسمين من خلال ذكر الدليل من السُّنَّة النبوية الذي تضمَّنهما في العديد من المواضع من مؤلفاته، وذلك بالإشارة إلى دعاء النبي ﷺ بقوله: (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(٣)(٤).

وقد أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذين الاسمين؛ أنهما كانا يردان في دعاء النبي ﷺ مطلقًا(٥)، وبأنه كان يقول ذلك في آخر صلاته(٦).

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٠٠).

(٢) **انظر** في إشارة شيخ الإسلام لهذين الاسمين: الحسبة في الإسلام ص: (٢٢، ٣٥)، مجموع الفتاوى: (٢٨/٧٦، ٩٥)، (٢٩/٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ**)، برقم: (٦٣٩٨).
ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عُمِل ومن شر ما لم يُعمل، برقم: (٢٧١٩) واللفظ له.

(٤) **انظر**: تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٤٤ ـ ٤٥).

(٥) **انظر**: التدمرية ص: (٢٢٥)، مجموع الفتاوى: (١٥/٥٣)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/٤٠٥)، تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (١٠٣ ـ ١٠٤)، رسالة في التوبة، ضمن جامع الرسائل: (١/٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٦) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/٢٦٦، ٤٨١)، تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٤٤ ـ ٤٥).

١٣٠ ـ النَّافع، ١٣١ ـ الضارّ:

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ هذين الاسمين في مواضع عدة من مؤلفاته[١]؛ لكن لم أقف على ما يشير إلى دليل معيّن يرجع إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لإثبات هذين الاسمين، وقد ذُكر أن هذين الاسمين مأخوذان من قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ [الفتح: ١١][٢].

١٣٢ ـ المعزّ، ١٣٣ ـ المذلّ:

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ هذين الاسمين في مواضع عدة من مؤلفاته[٣]، وقد أرجعهما إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

١٣٤ ـ المُعطِي، ١٣٥ ـ المانع:

نصَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته على ثبوت هذه الأسماء لله عَزَّ وَجَلَّ[٤]، مُستدِلًا عليها بما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع: (**اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْت، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**)[٥]، وأنه ﷺ كان يقول دُبُرَ كُلِّ صلاة مكتوبة: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)[٦].

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ٩٢).
(٢) **انظر**: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢١٦).
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ٩٢).
(٤) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ١٩٢، ٣٧٩)، الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٣٥٩ـ٣٦٠).
(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم: (٨٤٤). =

١٣٦ ـ الرافع، ١٣٧ ـ الخافض:

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذين الاسمين في مواضع عدة من مؤلفاته[١]؛ وقد أرجعهما إلى قوله ﷺ: (**يَمِينُ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟! فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القِسْطُ؛ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**)[٢].

١٣٨ ـ المحيي، ١٣٩ ـ المميت:

أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذين الاسمين في مواضع عدة من مؤلفاته[٣]؛ وأشار إلى أنهما مأخوذان من قوله تعالى ـ في قصة محاجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمرود ـ: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ونحوها من الآيات.

المطلب الرابع

تعيينه للأسماء المضافة

كما سبق بيانه في المطلب الأول من هذا المبحث فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ قرّر أن أسماءَ الله الحسنى تنقسم إلى ثلاثة أنواع؛ منها الأسماء المضافة، وهذا المطلب معقودٌ لبيان جهوده في تعيين الأسماء المضافة بأدلتها، وهذه الأسماء المضافة التي ذكرها شيخ الإسلام منها ما

= ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم: (٥٩٣).

(١) **انظر**: مجموع الفتاوى: (١/ ٩٢).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤١٧).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٦/ ٢٦٨)، (١٥/ ١٩٧)، تفسير سورة الأعلى، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٠٧)، الكيلانية، ضمن مجموع الفتاوى: (١٢/ ٤٣٧)، درء تعارض العقل والنقل: (٣/ ٤٢٩).

ذكره في جمعه للأسماء الحسنى، ومنها ما ذكره في مواضع متفرقة من كتبه، وعليه يكون تتبع هذه الأسماء وَفقَ الفرعين التاليين:

۞ الفرع الأول ۞

الأسماء المضافة التي ذكرها في جمعه

١٤٠ ـ ذو القوة:

استدل عليه رحمه الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨][(١)].

١٤١ ـ رفيع الدرجات:

استدل عليه رحمه الله بقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥][(٢)].

١٤٢ ـ ذو المعارج:

استدل عليه رحمه الله بقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣][(٣)].

١٤٣ ـ سريع الحساب:

استدل عليه رحمه الله بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[(٤)].

١٤٤ ـ ذو المغفرة:

استدل عليه رحمه الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ

---

(١) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٥)، التسعينية: (١/ ١٢٤)، قاعدة في مسائل الصفات والأفعال من حيث قدمها ووجوبها، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ١٤٤).

(٢) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٩).

(٣) **انظر**: المصدر السابق: (١/ ٥٦).

(٤) ورد في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، هي: [البقرة: ٢٠٢]، [آل عمران: ١٩، ١٩٩]، [المائدة: ٤]، [الرعد: ٤١]، [إبراهيم: ٥١]، [النور: ٣٩]، [غافر: ١٧]، **وانظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٧).

﴿ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦](١).

١٤٥ ـ قابل التوب:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣](٢).

١٤٦ ـ سريع العقاب:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧](٣).

١٤٧ ـ أشد بأسًا وأشد تنكيلًا:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤](٤).

١٤٨ ـ شديد العقاب:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦](٥).

١٤٩ ـ أسرع مكرًا:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١](٦).

---

(١) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٩).
(٢) **انظر**: المصدر السابق: (١/ ٦٠). (٣) **انظر**: المصدر السابق.
(٤) **انظر**: المصدر السابق.
(٥) **انظر**: المصدر السابق.
(٦) **انظر**: المصدر السابق.

١٥٠ ـ ذو الجلال والإكرام:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨][(١)].

١٥١ ـ أهلُ التَّقوى، ١٥٢ ـ أهل المغفرة:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذين الاسمين أُخِذَا من قوله تعالى في آخر سورة المدثر: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦][(٢)].

١٥٣ ـ ذو الفضل العظيم:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥][(٣)].

١٥٤ ـ مالك يوم الدين:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤][(٤)].

١٥٥ ـ مَالكُ المُلِك:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦][(٥)].

١٥٦ ـ ذو الطَّوْل:

استدل عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣][(٦)].

---

(١) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٢)، النبوات: (١/ ٣٦٤).
(٢) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٣)، فصل في أن التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ضمن مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٠).
(٣) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٢).
(٤) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٥)، مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥).
(٥) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٥)، حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٢٤٩).
(٦) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦٢).

١٥٧ ـ خير الماكرين:

استدل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤، الأنفال: ٣٠](١).

١٥٨ ـ مُوهِنُ كَيدِ الكافرينَ:

استدل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨](٢).

١٥٩ ـ مخزي الكافرين:

استدل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢](٣).

۞ الفرع الثاني ۞

الأسماء المضافة التي ذكرها في بقية كتبه

١٦٠ ـ أرحم الراحمين، ١٦١ ـ خير الراحمين:

استدل عليهما بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١](٤)، وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤، ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨](٥).

١٦٢ ـ رَبُّ العالَمِينَ:

صرّح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في غير موضع من مؤلفاته بأن «ربّ العالمين» من أسماء الله تعالى الحسنى المضافة(٦)، وقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن اسم

---

(١) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦١).
(٢) **انظر**: المصدر السابق. (٣) **انظر**: المصدر السابق.
(٤) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥).
(٥) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٢٤).
(٦) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥).

الجلال: «الرب» لم يقع إلا مضافًا: إما إضافةً عامةً، أو إضافةً خاصَّةً، وبيّن مختلِفَ الصيغ التي وردت عليها هذه الإضافة[(١)].

١٦٣ ـ أحسن الخالقين:

استدل رَحِمَهُ اللهُ على ثبوت هذا الاسم في حق الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥][(٢)].

١٦٤ ـ جامع الناس ليوم لا ريب فيه:

صرّح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بأنه من أسماء الله تعالى الحسنى المضافة[(٣)]، ولم يُشِرْ إلى دليلِهِ، وذكر أهل العلم ممن ألف في جمع أسماء الله الحسنى وشرحها أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩][(٤)].

١٦٥ ـ مُقَلِّبُ القلوبِ:

صرّح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بأنه من أسماء الله تعالى الحسنى المضافة[(٥)]، ولم يُشِرْ إلى دليلِهِ، وذكر أهل العلم ممن ألف في جمع أسماء الله الحسنى وشرحها أنه مأخوذ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كثيرًا ما كان النبيُّ ﷺ يَحلِفُ: **(لَا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ)**[(٦)(٧)].

---

(١) سبق إيرادها عند ذكر اسم: «الرب»، **وانظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٤)، مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥)، الفتاوى الكبرى: (١/ ٢١٨) (ط المعرفة).

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٢٤).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥)، الفتاوى الكبرى: (١/ ٢١٨) (ط المعرفة).

(٤) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (١٩١).

(٥) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥)، الفتاوى الكبرى (١/ ٢١٨) (ط المعرفة).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب يحول بين المرء وقلبه، برقم: (٦٦١٧).

(٧) **انظر**: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٠٨).

١٦٦ ـ أَحكَمُ الحاكِمِينَ، ١٦٧ ـ خير الحَاكِمِينَ:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عند بيانه لأدلة اسم الجلال: «الحاكم» أن هذا الاسم لم يأت في القرآن الكريم إلا مُفضَّلًا مضافًا بصيغتين(١):

الأولى: «أحكم الحاكمين في موضعين؛ وهما: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

الثانية: «خير الحاكمين» في ثلاثة مواضع؛ هي: قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

١٦٨ ـ خَيرُ الغافِرِينَ:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا الاسم مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥](٢).

١٦٩ ـ خَيرُ النَّاصِرِينَ:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عند بيانه لأدلة اسم الجلال: «الناصر» أن هذا الاسم لم يأت في القرآن الكريم إلا مُفضَّلًا مضافًا(٣)، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

١٧٠ ـ خير الفاتحين:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع عدة من مؤلفاته(٤)، واستدل

---

(١) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨)، مجموع الفتاوى: (٨/ ٧٩)، النبوات: (٢/ ٨٩٤)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٤/ ٤٧).

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٢٤).

(٣) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٥٨)، مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٤٩)، بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ١٦).

(٤) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨)، مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٢٥، ٤٤٩).

عليه بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

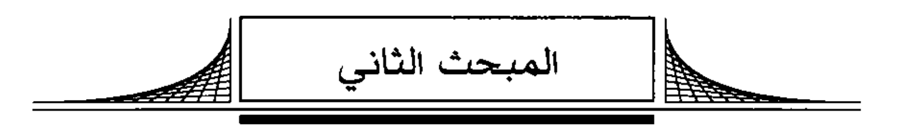
١٧١ ـ ذو العرش المجيد:

أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع عدة من مؤلفاته(١)، مستدِلًّا عليه بقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، قال شيخ الإسلام: «وقد قرئ: «المَجِيدُ»، بالرفع؛ صفةً لله، وقُرِئَ بالخفض؛ صفةً للعرش»(٢).

* * *

(١) **انظر**: التسعينية: (١/ ١٢٤)، الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق: زمرلي) ص: (١١١)، مجموع الفتاوى: (٦/ ٥٥١)، **وانظر**: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص: (٣٦٧).

(٢) الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق: زمرلي) ص: (١١١).



المبحث الثاني

بيانه للأسماء التي يرجح عدم تسمية الله ﷻ بها

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: الأسماء التي وردت في بعض طرق حديث الأسماء المشهور، أو ورد إطلاقُها من بعض العلماء المعتبرين**
- **المطلب الثاني: أسماء تكلم بها بعض المبتدعة**



بعد الفراغ بحمد الله ﷻ من تقرير جهود شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله في تعيين الأسماء الحسنى، وتتبع ما ذكره منها في مؤلفاته، خصصنا هذا المبحث لتقرير جهوده رحمه الله في بيان الأسماء التي يُرجَّحُ عدمُ تسميةِ اللهِ ﷻ بها، وقد سبق في بيان منهج شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله في العقيدة عمومًا وفي توحيد الأسماء والصفات خصوصًا شدة حِرْصِهِ على الالتزام بما ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة في هذا الباب، واقتفاء آثار السلف الصالح رحمهم الله في أي قول أو رأي يأخذ به في هذا الباب(١)؛ ومن أجل ذلك كان رحمه الله شديد الحرص على أن لا يطلق على الله ﷻ في باب التسمية خصوصًا، إلا ما وافق الضابط الذي اختاره في تحديد ما يعتبر اسمًا في حق الله ﷻ(٢).

كما كانت له رحمه الله جهود بارزة في بيان الأسماء التي يُرجح عدم تسمية الله ﷻ بها؛ لفقدانِ الشروط التي نصّ عليها في ضابط ما يعتبر اسمًا

(١) **انظر**: ص: (٧١ ـ ٧٤) من هذه الرسالة. (٢) **انظر**: ص: (٢٠٩) من هذه الرسالة.

في حق الله ﷻ؛ وذلك إما لعدم ثبوتها؛ بأن لا تكون مما ورد في الكتاب أو السُّنَّة، أو لعدم صحة إطلاقها في حق الله ﷻ؛ لعدم اقتضائها للمدح والثناء بنفسها، أو لاختلال الشرطين معًا؛ كما هو الحال في بعض الأسماء التي سترد معنا خلال هذا المبحث.

وسأتناول الأسماء التي نصَّ شيخُ الإسلام رحمه الله على عدم تسمية الله ﷻ بها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول

الأسماء التي وردت في بعض طرق حديث الأسماء المشهور، أو ورد إطلاقها من بعض العلماء المعتَبَرِينَ

وقد سبق بيان ترجيحِ شيخ الإسلام عدمَ صحةِ رفع تعيين الأسماء للنبي ﷺ، وأن هذا التعيين مدرج في الحديث[١]، والأسماء التي تكلم عنها شيخ الإسلام مبينًا عدمَ صِحَّةِ إطلاقها اسمًا في حق الله ﷻ، مع كونها وردتْ في بعض طرق هذا الحديث هي:

۞ المنتقم:

فقد قال فيه شيخُ الإسلام رحمه الله: «واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبيِّ ﷺ، وإنما جاء في القرآن مُقيَّدًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يُذكر فيه «المنتقم»، فذكر في سياقه: «البر»، «التواب»، «المنتقم»، «العَفُوّ»، «الرءوف»، ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ»[٢].

---

(١) **انظر**: ص: (٢٤٥) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ٩٦).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «ولا في أسمائه الثابتة عن النبي ﷺ اسم المنتقم، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيَّدًا؛ كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، وجاء معناه مضافًا إلى الله؛ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، وهذه نكرة في سياق الإثبات، والنكرة في سياق الإثبات مطلقة، ليس فيها عموم على سبيل الجمع»(١).

بهذا يتبين بالدليل الناصع عدمُ صحةِ إطلاق اسم المنتقم في حق الله ﷻ، وأنه ليس منَ الأسماءِ الحُسنى التي يسمَّى الله بها ويدعى بها، فإن معنى المنتقم لم يرد في النصوص إلا مقيدًا، أو مضافًا إلى الله بصيغة النكرة في سياق الإثبات، وهذه الصيغة لا تفيد العموم(٢)، فيجب التقيدُ بالنصوصِ في هذا الباب، والالتزامُ بالضابط في اعتبار الاسم من أسماء الله الحسنى، وأن لا يطلَقَ على الله إلا ما توفر فيه شروطُ الاسم التي سبق بيانها، من وروده في الكتاب والسُّنَّة وصحة إطلاقه على الله ﷻ باقتضائه المَدْحَ والثناءَ بنفسه لا بقَيدٍ، ولا شَرطٍ، وهذا ما لا يتوفر في اسم: «المنتقم».

۞ القديم:

من الأسماء التي وردت مدرجةً في بعض طرق حديث الأسماء، وتكلم عنها شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللهُ مرجحًا عدمَ صحةِ تسمية الله ﷻ

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢٢).

(٢) يشار هنا إلى أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أورد هذا الاسم في آخر جَمعِهِ لأسماءِ الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم؛ لكن ذكره مع جملة من الأسماء؛ مثل: الزارع والمخرج والمنشئ والمنزل والموسع والمنجي، والتي سبق أن أشار إلى أن هذه الأسماء إن وردت بصيغة أسماء الأفعال؛ فإن معناها معنى الأفعال المضارعة لإفادتها الاستمرار، وإن كان لفظها لفظَ الأسماءِ، وهذه الأسماء مما لا يصح إطلاقها اسمًا في حق الله ﷻ، ولا تُعدّ من الأسماء الحسنى التي يُدعى الله ﷻ بها، ولا تقتضي المدح والثناء بنفسها؛ كما مرّ معنا في ضابط اعتبار الاسم من أسماء الله الحسنى، **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٥، ٦٢ ـ ٦٣)، **وانظر**: ص: (٢٠٩) وما بعدها من هذه الرسالة.

بها ـ: اسم: «القديم»، وقد ورد هذا الاسم في طريق الوليد بن مسلم[١]، وفي طريق عبد الملك بن محمد الصَّنْعَاني[٢]، وفي طريق عبد العزيز ابن الحصين بن الترجمان[٣]، وفي جمع الحَلِيميِّ[٤]، والبيهقـيِّ[٥]، وابن مَنده[٦]، والرازيّ[٧].

وقد تكلم شيخ الإسلام عن هذا الاسم مرجحًا عدمَ صحَّةِ تسميةِ اللهِ ﷻ به في مواضع عدة من كتبه؛ فمن ذلك:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما كون القديم الأزليِّ واحدًا، فهذا اللفظ لا يوجد لا في كتاب الله، ولا في سُنَّة نبيِّهِ؛ بل ولا جاء اسمُ «القديم» في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه «الأول».

والأقوال نوعان: فما كان منصوصًا في الكتاب والسُّنَّة، وَجَبَ الإقرارُ به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع، لم يجب

(١) تقدمت ترجمته **انظر**: ص: (٢٤٥)، **وانظر** روايته التي ورد فيها اسم «القديم» في: جزء فيه طرق حديث: **(إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا)** لأبي نعيم ص: (١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) عبد الملك بن محمد الحِمْيري البَرْسَمي، الصنعاني من أهل صنعاء دمشق، أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجه، لكنه لين الحديث.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي: (١٨/ ٤٠٥)، تقريب التهذيب ص: (٦٢٧).
وانظر روايته التي ورد فيها اسم «القديم» في: سنن ابن ماجه ص: (٦٣٦)، كتاب الدعاء، باب أسماء الله ﷻ، برقم: (٣٨٦١).

(٣) عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان أبو سهل المروزي، ضعيف الحديث، لم يوثقه سوى الحاكم.
انظر ترجمته في: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي: (٥/ ٢٨٦)، لسان الميزان لابن حجر: (٤/ ٢٨).
وانظر روايته التي ورد فيها اسم «القديم» في: المستدرك على الصحيحين: (١/ ١٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٣).

(٤) **انظر** ذكره لاسم «القديم» في: المنهاج في شعب الإيمان: (١/ ١٨٨).

(٥) **انظر** ذكره لاسم «القديم» في: الأسماء والصفات: (١/ ٣٦).

(٦) **انظر** ذكره لاسم «القديم» في: كتاب التوحيد: (٢/ ١٧١).

(٧) **انظر** ذكره لاسم «القديم» في: لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات ص: (٣٥٨).

قَبوله ولا رده حتى يعرف معناه»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء الردّ على أهل الكلام؛ الذين يطلقون اسم «القديم» على الله ﷻ ـ: «والصواب أن **القديم** ما تقدم على غيره في اللغة التي جاء بها القرآن، وأما كونه كان معدومًا، أو لم يكن معدومًا، فهذا لا يُشترط في تسميته قديمًا، والله أحق أن يكون قديمًا؛ لأنه متقدم على كل شيء؛ لكن لما كان لفظ القديم فيه نَوَاحٍ لا تدل مطلقة على المتقدم على غيره، كان اسم «الأولِ» أحسنَ منه، فجاء في أسمائه الحسنى التي في الكتاب والسُّنَّة أنه «الأولُ»، وفرقٌ بين الأسماء التي يُدعى بها وبين ما يُخبر به من الألفاظ لأجل الحاجة إلى بيان معانيها»[٢].

۞ الدَّهر:

من الأسماء التي أطلقها بعض أهل العلم في حق الله ﷻ، ورجح شيخ الإسلام عدمَ صحَّةِ تسميةِ اللهِ ﷻ بها ـ: «الدَّهر»، وقد أورد هذا الاسمَ ابنُ حزمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في جَمعِهِ للأسماء الحُسنى في كتابه المُحَلَّى[٣]، وسيأتي في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ نسبةُ إطلاق التسمية به إلى الإمام نُعيمِ بن حَمَّاد، ومعه طائفة من أهل الحديث لم يُسَمِّهِم، وبعض الصوفية ولم يسمهم أيضًا.

وهناك نصٌّ في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول يفيد عدم جزم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بأن الدّهر اسم من أسماء الله ﷻ أو لا؛ حيث قال:

«وكذلك قولُ النبيِّ ﷺ: **(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)**[٤]،

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/ ١٢٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ١٧١ ـ ١٧٢)، **وانظر**: الصفدية: (٢/ ٨٥)، درء تعارض العقل والنقل: (٢/ ٣٩١)، (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، رسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: (٢/ ٤٦ ـ ٤٧)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (١٥٧).

(٣) المحلى (٨/ ٣١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدَّهر، برقم: (٥٨٢٧).

وقوله ـ فيما يروي عن ربه ﷻ ـ: (**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[(١)]؛ فإن مَن سَبَّ الدَّهر من الخلق، لم يقصد سَبَّ الله سبحانه، وإنما يَقصِدُ أن يَسُبَّ مَن فعل به ذلك الفعلَ، مضيفًا له إلى الدَّهر، فيقع السَّبُّ على الله؛ لأنه هو الفاعل في الحقيقة، وسواء قلنا: إن الدَّهر اسم من أسماء الله تعالى، كما قال نُعَيمُ بن حَمَّاد، أو قلنا: إنه ليس باسم، وإنما قوله: (**وَأَنَا الدَّهْرُ**)؛ **أي**: أنا الذي أفعل ما ينسبونه إلى الدَّهر، ويوقعون السَّبَّ عليه؛ كما قاله أبو عُبيدٍ والأكثرونَ؛ ولهذا لا يَكفر من سَبَّ الدَّهرَ ولا يقتل، لكن يُؤَدَّبُ ويُعزَّرُ؛ لسُوء منطقه»[(٢)].

فظاهر هذا الكلام عدمُ جَزمِ شيخِ الإسلام بأن الدَّهر ليس من أسماء الله ﷻ، وإن كان في كلامه مَيْلٌ إلى ذلك، ولكن في مواضِعَ أخرى من كتبه جَزَمَ بأن الدَّهر ليس من أسماء الله ﷻ، ومن ذلك قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «تَنازَعَ المسلمون في تسمية الله بالدَّهر؛ ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمُ الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلعِنَبِ: الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ: الرَّجُلُ المُسْلِمُ**)[(٣)]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**قَالَ اللهُ ﷻ: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[(٤)]، وفي رواية أخرى: (**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ؛ فَإِنْ شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**) هذه ألفاظُ مسلم[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدَّهر، برقم: (٥٨٢٤).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٣/ ٩٢١ ـ ٩٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدَّهر، برقم: (٦١٨٢). ومسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدَّهر، برقم: (٥٨٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدَّهر، برقم: (٦١٨١). ومسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدَّهر، برقم: (٥٨٢٣).

(٥) في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سبّ الدَّهر، برقم: (٥٨٢٥).

قال القاضي أبو يعلى في «إبطال التأويلات»[1]: «اعلم أن أبا بكر الخَلَّالَ[2] قال: أخبرني بشر بن موسى الأَسديُّ[3] قال: سألتُ أبا عبد الله أحمد ابن حنبل عن الدَّهر فلم يجبني فيه بشيء، قال القاضي: وظاهر هذا أن أحمد توقف عن الأخذ بظاهر الحديث، وقال حنبل[4]: سمعت هارون الحَمَّال[5] يقول لأبي عبد الله: كنا عند سفيان بن عيينة بمكة، فحدثنا أن النبيَّ ﷺ قال: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**)، فقام فتح بن سهل[6] فقال: يا أبا محمد، نقول: يا دهر ارزقنا؟ فسمعتُ سفيانَ يقول: خُذوه فإنه جهميٌّ، وهرب، فقال أبو عبد الله: القوم يردّون الآثار عن رسول الله ﷺ، ونحن نؤمن بها، ولا نَرُدُّ على رسولِ الله ﷺ قولَهُ، قال القاضي: «وظاهر هذا أنه أخذ بظاهرِ

(١) **انظر**: إبطال التأويلات لآيات الصفات: (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) أحمد بن محمد بن هارون البغدادي أبو بكر الخلال، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أخذ العلم عن كبار تلاميذ الإمام أحمد، له كتاب العلل، والسُّنَّة، توفي سنة: ٣١١هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٥/ ١١٢)، سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٢٩٧).

(٣) بشر بن موسى، أبو علي الأسدي البغدادي، الإمام الحافظ الثقة المعمر، من بيت فضل ورياسة ونبل، كان الإمام أحمد يكرمه، توفي سنة: ٢٨٨هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٧/ ٨٦)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣٥٢).

(٤) حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيباني، الحافظ المحدث، ابن أخ الإمام أحمد، وتلميذه، له من التصانيف: كتاب الفتن، والمحنة، ومسائل الإمام أحمد، توفي بواسط سنة: ٢٧٣هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٨/ ٢٨٦)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٥١).

(٥) هارون بن عبد الله بن مروان، أبو موسى البزار، المعروف بالحمَّال، الإمام الحجة الحافظ، روى له أصحاب الكتب الستة سوى البخاري، توفي سنة: ٢٤٩هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٤/ ٢٢)، سير أعلام النبلاء: (١٢/ ١١٥).

(٦) لم أقف على ترجمته، ولكن مما ورد في خبره أن المتوكل أمر بمسألة الإمام أحمد عمن يستحق أن يولى القضاء، وكان من ضمن من سُئل عنه الفتح بن سهل، فقال: «جهمي من أصحاب المريسي»، **انظر**: سير أعلام النبلاء: (١١/ ٢٩٧)، ولما كان في مرضه الذي توفي فيه، استأذن الفتح بن سهل في أن يعوده فحجبه، **انظر**: سير أعلام النبلاء: (١١/ ٣٣٥)، تاريخ الإسلام: (١٨/ ١٣٧)، وهذا يدل على أنه كان جَهمِيًّا مبتدعًا معروفًا في ذلك الزمان.

الحديثِ، ويَحتمِلُ أن يكونَ قوله: ونحن نؤمن بها، راجعًا إلى أخبار الصفات في الجملة، ولم يرجع إلى هذا الحديث خاصة.

قال: وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله رَحِمَهُ اللهُ ـ **يعني**: ابن حامد[١] ـ هذا الحديث في كتابه، وقال: «لا يجوز أن يُسمَّى اللهُ دَهْرًا»، والأمر على ما قاله؛ لأنه قد رُوِيَ في بعضِ ألفاظِ الحديث ما يمنع من حمله على ظاهره هذا، ولم يَرِدْ في غيرِهِ من أخبار الصفات ما دلّ على صرفه عن ظاهره؛ فلهذا أوجب حَملَهَا على ظاهرها؛ وذلك أنه رُوِيَ فيه: (**إِنَّهُ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)، وفي لفظ آخر: (**لِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، أُجَدِّدُهُ وَأَبْلِيهِ، وَأَذْهَبُ بِمُلُوكٍ وَآتِي بِمُلُوكٍ**)[٢]:

فتبيّن أن الدّهر هو الليل والنهار، خُلِقَ له وبيده، وأنه يجدده ويبليه؛ فامتنع أن يكون إلا له، وأصل هذا الخبر أنه ورد على سَببٍ؛ وهو: أن الجاهلية كانت تقول: أصابني الدَّهر في مالي بكذا، ونالتني قوارعُ الدَّهرِ ومصائبُهُ، فيضيفون كلَّ حادثٍ يحدث بما هو جارٍ بقضاء الله وقَدَرِهِ وخَلقِهِ وتقديره؛ من مرض أو صحة، أو غِنًى أو فقر، أو حياة أو موت ـ: إلى الدَّهر، ويقولون: لَعَنَ الله هذا الدَّهرَ والزمانَ؛ ولذلك قال قائلهم:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[٣]

---

(١) الحسن بن حامد بن علي البغدادي أبو عبد الله الوراق، شيخ الحنابلة في وقته، له كتاب الجامع في الفقه، وكتب أخرى في السُّنَّة، وكان معظمًا عند السلطان والعامة، توفي سنة: ٤٠٣هـ.

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٧/ ٣٠٣)، سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢/ ٤٩٦) بلفظ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: أَنَا الدَّهْرُ؛ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي، أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ**)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن»: (١٦/ ٢٧٢ ط الرسالة).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ﵁، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مُسَجًّى وشهد دفنه، شارك في الغزو والفتوح، وتوفي بمصر في عهد عثمان ﵁ سنة: ٢٧هـ، **انظر** ترجمته في: تاريخ الإسلام: (٣/ ٣٥٨)، الوافي بالوفيات: (١٣/ ٢٧٤).

وهذا البيت مطلع أشهر قصيدة له، رثى بها خمسة من أبنائه ماتوا بالطاعون في عام =

وقال تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]؛ أي: ريب الدَّهر وحوادثه، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدَّهر؛ فقال النبي ﷺ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**)؛ **أي**: إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه؛ فإن الله هو الذي أصابكم بها، لا الدَّهر، وأنكم إذا سببتمُ الدَّهرَ، وفاعل ذلك ليس هو الدَّهر[1]»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله ـ في جوابه عن سؤال هذا نصُّه ـ: «قوله ﷺ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**)، فهل هذا موافِقٌ لما يقوله الاتحادية: بينوا لنا ذلك؟:

فأجابَ: الحمد لله، قوله: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**)، مرويٌّ بألفاظ أُخَرَ؛ كقوله: (**يَقُولُ اللهُ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[3]، وفي لفظ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ؛ يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[4]، وفي لفظ: (**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ**)[5]:

فقوله في الحديث: (**بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)، يبيّن أنه ليس المراد به أنه الزمان؛ فإنه قد أخبر أنه يقلب الليل والنهار، والزمان هو الليل والنهار، فدلَّ نفسُ الحديث على أنه هو يقلب الزمان ويصرفه؛ كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣، ٤٤]، **وإزجاء السحاب**: سَوقُهُ، **والودق**: المطر:

= واحد، **انظر**: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: (٦/ ٢٨٠)، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص: (٢٠٥)، خزانة الأدب للبغدادي: (١/ ٤٠١).

(١) إلى هنا انتهى النقل من كتاب إبطال التأويلات لآيات الصفات: (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (١/ ٤١١ ـ ٤١٥). (٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) تقدم تخريجه قريبًا. (٥) تقدم تخريجه قريبًا.

فقد بيّن سبحانه خلقه للمطر، وإنزاله على الأرض؛ فإنه سبب الحياة في الأرض؛ فإنه سبحانه جعل من الماء كل شيء حيٍّ، ثم قال: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾، إذ **تقليبه اللَّيلَ والنهارَ**: تحويلُ أحوالِ العالم؛ بإنزال المطر الذي هو سبب خلق النبات والحيوان والمعدن، وذلك سبب تحويل الناس من حال إلى حال، المتضمنُ رفعَ قوم وخفضَ آخرِينَ.

وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]،،، وغير ذلك من النصوص التي تبين أنه خالق الزمان.

ولا يتوهمُ عاقلٌ أن الله هو الزمان؛ فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها؛ كالحركة والسكون والسواد والبياض.

ولا يقول عاقل: إن خالق العالم هو من باب الأعراض، والصفاتِ المفتقرةِ إلى الجواهرِ والأعيان؛ فإن الأعراضَ لا تقوم بنفسِهَا؛ بل هي مفتقرةٌ إلى محلٍّ تقوم به، **والمفتقر إلى ما يغايره لا يوجد بنفسه؛ بل بذلك الغير**، فهو محتاج إلى ما به في نفسه من غيره فكيف يكون هو الخالقَ؟!

ثم أن يستغني بنفسه وأن يحتاج إليه ما سواه، وهذه صفة الخالق سبحانه، فكيف يتوهم أنه من النوع الأول؟!

وأهل الإلحاد؛ القائلون بالوَحدةِ أوِ الحلولِ أو الاتحاد، لا يقولون: إنه هو الزمان، ولا أنه من جنس الأعراض والصفات؛ بل يقولون: هو مجموعُ العالم، أو حَالٌّ في مجموع العالم.

فليس في الحديث شبهة لهم لو لم يكن قد بيّن فيه أنه سبحانه مقلب الليل والنهار، فكيف وفي نفس الحديث أنه بيده الأمر يقلب الليل والنهار؟!

إذا تبيّن هذا، فللناس في الحديث قولان معروفان لأصحاب أحمد وغيرهم:

أحدهما ـ وهو قول أبي عبيد[١] وأكثر العلماء ـ: أن هذا الحديث خرج الكلامُ فيه لردّ ما يقوله أهل الجاهلية، ومَن أشبَهَهُم؛ فإنهم إذا أصابتهم مصيبة، أو مُنِعُوا أغراضَهُم، أخذوا يسبُّون الدَّهر والزمان؛ يقول أحدهم: قبَّح الله الدَّهر؛ الذي شَتَّتَ شَملَنا، ولَعَنَ الله الزمان؛ الذي جرى فيه كذا وكذا.

وكثيرًا ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا؛ كقولهم: يَا دهرُ فعلتَ كذا، وهم يقصدون سَبَّ مَن فعل تلك الأمور، ويضيفونها إلى الدَّهر، فيقع السَّبُّ على الله تعالى؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمورَ وأحدثها، والدَّهرُ مخلوقٌ له، وهو الذي يقلبه ويصرفه.

والتقديرُ: أن ابن آدم يَسُبُّ مَن فعل هذه الأمورَ، وأنا فعلتها؛ فإذا سَبَّ الدَّهرَ، فمقصوده سَبُّ الفاعل، وإن أضاف الفعلَ إلى الدَّهرِ؛ فالدَّهرُ لا فعل له، وإنما **الفاعل هو الله وحده**.

وهذا كرجل قضى عليه قاضٍ بحق، أو أفتاه مفتٍ بحق، فجعل يقول: لعن الله من قضى بهذا أو أفتى بهذا، ويكون ذلك من قضاء النبيِّ ﷺ وفتياه؛ فيقع السبُّ عليه، وإن كان السابُّ ـ لجهله ـ أضافَ الأمرَ إلى المبلِّغ في الحقيقة، والمبلِّغ له فعل من التبليغ، بخلاف الزمان؛ فإن الله يقلبه ويصرفه.

والقول الثاني: قول نُعيم بن حَمَّاد، وطائفةٍ معه من أهل الحديث والصوفية؛ أن الدَّهر من أسماء الله تعالى، ومعناه: القديمُ الأزليُّ.

ورَوَوْا في بعض الأدعيةِ: «يا دهر، يا ديهور، يا ديهار»[٢]، وهذا المعنى

---

(١) القاسم بن سلّام أبو عبيد الهروي، وانظر في كلامه حول الحديث كتابه: غريب الحديث: (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٨).

(٢) أورده أبو طالب المكي في قوت القلوب ص: (١١)، ضمن دعاء طويل قال عنه: «هذه =

صحيح؛ لأن الله سبحانه هو الأول؛ ليس قبله شيءٌ، وهو الآخِرُ؛ ليس بعده شيءٌ، فهذا المعنى صحيح، إنما النزاع في كونه يسمى دهرًا بكل حال.

فقد أجمع المسلمون ـ وهو مما علم بالعقل الصريح ـ أن الله ﷻ ليس هو الدَّهرَ؛ الذي هو الزمانُ، أو ما يجري مَجرَى الزمانِ؛ فإن الناس متفقون على أن الزمانَ الذي هو الليل والنهار»[1].

فمن خلال هذين النصَّين من كلام شيخ الإسلام رحمه الله يتبين أنه يُرجّح عدم صحة تسمية الله ﷻ بـ«الدَّهر».

۞ المتكلم، والمريد:

من الأسماء التي أُطلقتْ على الله ﷻ وبيَّن شيخ الإسلام عدمَ صحةِ تسميته بها ـ: المتكلم والمريد، وجاء إطلاق اسم المريد في جمع ابن العربي المالكي رحمه الله في كتابه أحكام القرآن[2]، وأطلقه أيضًا محمد بن محمود الأصفهانيُّ[3] صاحبُ العقيدة الأصفهانية التي شرحها شيخ الإسلام ابن تيميّة، وأطلق فيها أيضًا اسمَ المتكلم، وتكلم شيخ الإسلام رحمه الله عن هذين الاسمين في شرحه المذكور؛ مُنبِّهًا على اختلال شرط صحة الإطلاق؛ حيث إنهما لا يقتضيانِ المَدحَ والثناءَ في حق الله ﷻ مطلقًا، إضافةً إلى كونهما لم يثبتا في النصوص من الكتاب الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم، فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن، ولا في الأسماء

= الكلمات المنثورة مما روي في اسم الله ﷻ الأعظم بأخبار في ذلك مأثورة»، ولم أقف عليه مسندًا، والله أعلم.

(١) مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٤)، **وانظر**: بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

(٢) **انظر**: أحكام القرآن (٢/ ٣٣٩).

(٣) محمد بن محمود بن محمد الأصفهاني، أبو عبد الله القاضي الشافعي الأصولي المتكلم، أشعري العقيدة، له تصانيف عدة، منها: شرح المحصول، وغاية المطلب في المنطق، توفي سنة: ٦٨٨هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ١٠٠)، شذرات الذهب: (٥/ ٤٠٦).

الحسنى المعروفة، ومعناهما حقٌّ، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها، والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك وهي[1] في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح.

وأما الكلام والإرادة: فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود؛ كالصدق والعدل، وإلى مذموم؛ كالظلم والكذب، **والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم**، جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخصّ المحمود؛ كاسمه الحكيم، والرحيم، والصادق، والمؤمن، والشهيد، والرءوف، والحليم، والفتاح ونحو ذلك، مما يتضمن معنى الكلام، ومعنى الإرادة؛ فإن الكلام نوعان: إنشاءٌ وإخبارٌ، والإخبار ينقسم إلى صدق وكذب، والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب، والإنشاء نوعان: إنشاء تكوين، وإنشاء تشريع، فإنه سبحانه له الخَلقُ والأمر، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، والتكوين يستلزم الإرادة عند جماهيرِ الخلائقِ، وكذلك يستلزم الكلامَ عند أكثرِ أهل الإثبات، وأما التشريعُ فيستلزِمُ الكلامَ، وفي استلزامه الإرادةَ نزاعٌ، والصواب أنه يستلزم أحدَ نوعَيِ الإرادة؛ كما سنبين إن شاء الله، والإنشاء يتضمن الأمر والنهي والإباحة، والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فهو سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وكذلك الإرادة قد نزَّه نفسه عن بعض أنواعها بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فلهذا لم يجئ في أسمائه الحسنى المأثورةِ: المتكلمُ والمريدُ، وأما ما يوصف به الرب من الكلام والإرادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى»[2].

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بعد استطرادٍ طويلٍ في توضيح مذهب السلف في

(١) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «هي» بدون واو، والله أعلم.
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (١٩ ـ ٢٠).

الكلام ـ: «والمقصود هنا التنبيه على الفرق بين المتكلم والمريد وغيرهما؛ حيث جاءتِ النصوصُ باسم: العليم، والقدير، والسميع، والبصير، ولم تأت باسم: المريد والمتكلم، بما يدلّ على مطلق الإرادة والكلام، وإنما جاءت بما يدلّ على الكلام المحمود، والإرادة المحمودة، لا باسم يشترك فيه المحمود والمذموم»(١).

*** تنبيهات:**

هناك جملة من الأسماء التي وردت في بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللهُ في بعض السياقات المعيّنة، والتي لا يمكن إيرادها ضمن الأسماء الحسنى التي يثبتها شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللهُ؛ ولكن أحببتُ الإشارةَ إليها، ورفعَ اللَّبْسِ الذي قد يقع لدى القارئ عندما يقف على تلك المواضع من مؤلفات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وهذه الأسماء هي:

۞ بعض أسماء الفاعل العامة والخاصة:

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في آخر جَمعِهِ للأسماء الحسنى من القرآن الكريم جُملةً منَ الأسماء التي نصَّ في مقدمة جمعه أنها من أسماء الفعل العامة والخاصة، وهذه الأسماء هي:

الجاعل، والزَّارع، والفالق، والمخرج، والمنجي، والمنزل، والمنشئ، والمُوسِع(٢)، وقد سبق بيان أن هذه الصيغ ـ كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ معناها معنى الأفعال المضارعة؛ لإفادتها الاستمرار، لكن لفظها لفظ الأسماء، وهذه الأسماء مما لا يصح إطلاقها اسمًا في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا تُعَدُّ من الأسماء الحسنى التي يُدعى الله عَزَّ وَجَلَّ بها، ولا تقتضي المدحَ والثناءَ بنفسها؛ كما مرّ معنا في ضابط اعتبار الاسم من أسماء الله الحسنى(٣)، كما أن أكثر أهل العلم الذين اعتنوا بجمع الأسماء

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٢٢).
(٢) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٣ ـ ٦٣).
(٣) **انظر**: ص: (٤٦٥) وما بعدها من هذه الرسالة.

الحسنى وشرحها لم يعدوا هذه الأسماء من الأسماء الحسنى التي يُدعى الله ﷻ بها[١].

۞ الموجود:

هذا الاسم أثبته شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق معيّن، فترددْتُ كثيرًا في إدخاله في الأسماء الحسنى؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء كلامه على باب الأسماء وباب الإخبار عن الله ﷻ بما ليس باسم ولا صفة، وأنه أوسع من باب الأسماء والصفات، فقال ـ: «وأما الإخبار عنه، فلا يكون باسم سيئ؛ لكن قد يكون باسم حَسَن، أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحُسنِهِ؛ مثل: اسم شيءٍ وذاتٍ وموجودٍ؛ إذا أريد به الثابت، وأما إذا أريد به: الموجود عند الشدائد، فهو من الأسماء الحسنى»[٢].

وهذا السياق يدل مَن تأمله على أنه لا يعتبر اسمُ الموجود من أسماء الله الحسنى؛ لأن أسماء الله الحسنى كما قال هو بنفسه: «**الأسماء الحسنى المعروفة**: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[٣]، وهذا الاسم لم يثبت الدعاء به لا في كتاب الله ﷻ ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا في أثر من آثار السلف الصالح المعتبرين، ولا جاء في الكتاب والسُّنَّة، ولا يقتضي المدح والثناء بنفسه، وإنما هو مشروط بأن يريد المتكلم به: الموجودَ عند الشدائِد، **وأسماء الله ﷻ تقتضي المدح والثناء بنفسها، وليست متوقفة على إرادة المتكلم بها**، والله أعلم.

۞ البرهان:

جاء في أحد النصوص التي سبق نقلها عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء شرحه لاسم الجلال ـ: اسم: «الهادي» في قوله: «ومن أسمائه

(١) **انظر**: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٢٣ ـ ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٥).
(٢) مجموع الفتاوى: (٦/١٤٢).
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (١٩).

الهادي، وقد جاء أيضًا البرهان»[١].

ولم أقف على دليل من القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية الصحيحة فيه الإشارة إلى تسمية الله ﷻ بالبرهان، وقد جاء هذا الاسم في إحدى روايات حديث جمع الأسماء الحسنى عند ابن ماجه في سننه[٢]؛ من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني[٣]، لكنها لا تصح؛ كما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول، وجاء أيضًا في جمع جعفر الصادق[٤]، وذكره أيضًا الشرباصي في موسوعة «له الأسماء الحسنى»[٥]، واستدل بعضهم على ثبوت هذا الاسم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]، وبقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ونحوها من الآيات[٦].

وسياق كلام شيخ الإسلام رحمه الله لا يفيد الجزم بتسمية الله ﷻ: «البرهان»، وعدم ذكره له في موضع آخر من مؤلفاته، أو الإشارة إلى دليله يقوي ترجيح عدم تسمية الله ﷻ بهذا الاسم، وعدم ثبوته في حقه؛ اسمًا يُدعى به[٧].

---

(١) قاعدة أولية في أصل العلم الإلهي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/١٨).
(٢) **انظر**: سنن ابن ماجه ص: (٦٣٦)، كتاب الدعاء، باب أسماء الله ﷻ، برقم: (٣٨٦١).
(٣) تقدمت ترجمته، والكلام على ضعف روايته، **انظر**: ص: (٥٢٠) وما بعدها.
(٤) **انظر**: طرق حديث **(إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا)**، للحافظ أبي نعيم ص: (١٦٨)، فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر: (١١/٢٢١)، وقال جعفر الصادق: «وأما التي في الأنعام: يا غفور، يا برهان...»، ولا يوجد هذا الاسم أو ما يدل عليه في سورة الأنعام، والله أعلم.
(٥) موسوعة ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: (٢/ ١٣٠).
(٦) لم أقف في كلام المفسرين لهذه الآيات على من أشار إلى أن المراد بالبرهان فيها هو الله ﷻ، والله أعلم.
(٧) **انظر**: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص: (٢٢٣)، وقد أشار فضيلة =

۞ الدليل:

جاء في كلام شيخ الإسلام رحمه الله ما يفيد تسمية الله ﷻ بـ «الدليل»، وذلك في قوله: «وفي الدعاء الذي علّمه الإمام أحمد لبعض أصحابه: «يا دليل الحيارى، دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»[1]؛ ولهذا كان عامة أهل السُّنَّة من أصحابنا وغيرهم على أن الله يسمى دليلًا.

ومنع ابن عقيل[2] وكثير من أصحاب الأشعري أن يُسمَّى الله دليلًا؛ لاعتقادهم أن الدليل هو ما يُستدَلُّ به، وأن الله هو الدالُّ، وهذا الذي قالوه بحَسَبِ ما غلب في عُرف استعمالهم من الفَرقِ بين الدالِّ والدليل، وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن الدليل معدولٌ عن الدالِّ، وهو ما يُؤكد فيه صفة الدلالة، فكل دليل دالٌّ، وليس كل دالٍّ دليلًا، وليس هو من أسماء الآلات التي يُفعل بها، فإن «فَعِيلًا» ليس من أبنية الآلات؛ كمِفْعَل ومِفْعَال، وإنما سُمِّي ما يُستدلُّ به منَ الأقوال والأفعال والأجسام: أدلة؛ باعتبار أنها تدلُّ مَن يستدلُّ بها، كما يخبر عنها بأنها تَهدِي، وتُرشِد، وتُعرِّف، وتُعَلِّم، وتقول، وتجيب، وتحكم، وتفتي، وتقص، وتشهد، وإن لم يكن لها في ذلك قصدٌ وإرادةٌ، ولا حسٌّ وإدراكٌ، كما هو مشهور في الكلام العربي وغيره، فما ذكروه من الفرق والتخصيص لا أصل له في كلام العرب.

الثاني: أنه لو كان الدليل من أسماء الآلات التي يُفعل بها، فقد قال الله تعالى ـ فيما رَوى عنه نبيُّه في عبده المحبوب ـ: **(فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي**

= شيخنا محمد خليفة التميمي ـ حفظه الله ـ إلى أن الإمام القرطبي ممن ذكر هذا الاسم في جمعه، ولم أقف عليه في الجزء المطبوع من كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والله أعلم.

(١) تقدم الكلام عليه، **انظر**: ص: (١١٤ ـ ١١٥) من هذه الرسالة.

(٢) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، أبو الوفاء، تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٢٥٣).

يُبْصِرُ، وَبِي يَعْقِلُ، وَبِي يَنْطِقُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَسْعَى)[(١)]، والمسلم يقول: استعنت بالله، واعتصمت به.

وإذا كان ما سوى الله من الموجودات: الأعيان والصفات، يُستدل بها، سواء كانت حية أو لم تكن؛ بل ويستدل بالمعدوم؛ فلأَن يستدل بالحي القيوم أولى وأحرى، على أن الذي في الدعاء المأثور: «يا دليلَ الحَيَارَى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»، يقتضي أن تسميته دليلًا باعتبار أنه دالٌّ لعباده، لا بمجرد أنه يُستدل به، كما قد يُستدل بما لا يقصد الدلالة والهداية؛ من الأعيان والأقوال والأفعال»[(٢)].

ففي هذا النقل المطوّل عن شيخ الإسلام تفصيلُ القول في تسمية الله ﷻ دليلًا؛ لكن وجب التنبيه على أن التسمية هنا ليس المراد بها إدخالَ هذا الاسم في الأسماء الحسنى، وهذا من الأمور الواضحة الجلية؛ حيث إنه لم يقل أحد من أهل السُّنَّة والجماعة: إن الله يُسمى دليلًا التسميةَ الاصطلاحيةَ، بلِ المراد جواز الإخبار عن الله ﷻ بأنه دليل، لا من باب جعله من أسماء الله الحسنى، فهذا ليس عليه دليل من الكتاب والسُّنَّة، ومما

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة: (٤/ ١٩١) حديث رقم: (١٦٤٠): «إن شيخ الإسلام ابن تيميّة أورد الحديث في عدة أماكن من مجموع الفتاوى، من رواية البخاري بزيادة: **(فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي)**، ولم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين، وقد ذكرها الحافظ في أثناء شرحه للحديث، نقلًا عن الطوفي ولم يعزها لأحد».اهـ، **وانظر**: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (١١/ ٣٥٢).
والذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي، لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)**.

(٢) قاعدة أولية في أصل العلم الإلهي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ١٧ ـ ١٨)، **وانظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٤ ـ ٩٥).

لم يقل به أحد من العلماء المعتبرين، وقد سبق تقرير شيخ الإسلام رحمه الله بأن أسماء الله ﷻ توقيفية؛ أي: إنها تؤخذ من أدلة الكتاب والسُّنَّة والإجماع(١)، ويشبه هذا الإطلاق في حق الله ﷻ ما سبق تقريره من كلام شيخ الإسلام رحمه الله؛ من جواز تسمية الله ﷻ بالشيء والموجود ونحوها من الأسماء التي يُخبر بها عن الله ﷻ، ولكن لا تدخل في أسمائه الحسنى، التي ذكر في ضابطها: أن تكون مما ورد في الكتاب والسُّنَّة، وأن الله ﷻ يُدعى بها، وأنها تقتضي المدح والثناء بنفسها(٢).

ومما يؤيد ترجيح عدم إدخال اسم: «الدليل» في أسماء الله الحسنى التي يُدعى بها ـ: أن شيخ الإسلام رحمه الله ذكره في معرض بيان معاني اسم الله الهادي، مستدِلًّا بالأثر الذي رواه عن الإمام أحمد في تقرير معنى الهادي؛ وذلك حين قال: «إن أفعاله هي مقتضى أسمائه وصفاته؛ فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه «الغفور» «الرحيم»، وعفوه من مقتضى اسمه «العفو»؛ ولهذا لما قالت عائشة للنبي ﷺ: إن وافقتُ ليلةَ القدر ماذا أقول؟ قال: (**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**)(٣)، وهدايته ودلالته من مقتضى اسمه الهادي، وفي الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلًا أن يقول: «يا دليلَ الحَيَارى، دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»(٤).

المطلب الثاني

أسماء تكلّم بها بعض المبتدعة

من المعلوم أن من أصول المبتدعة التي تميّز بها معتقدهم ـ عدمَ التزامهم بالكتاب والسُّنَّة فيما يطلقونه في حق الله ﷻ؛ ومما يدلّ على ذلك

(١) **انظر**: ص: (٢٧٠) وما بعدها من هذه الرسالة.
(٢) **انظر**: ص: (٢٠٩) وما بعدها من هذه الرسالة.
(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢١).
(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٢ ـ ٩٣).

إطلاقهم على الله ﷻ بعضَ الأسماء التي لم يثبت تسمية الله ﷻ بها؛ بل إنها تَحمِل إما معانِيَ سيئةً لا يليق وصف الله ﷻ بها، أو هي ألفاظ مجملة فيها حق وباطل؛ لا يجوز إطلاقها في حق الله ﷻ؛ لورود احتمال إرادة المعنى الباطل ـ وهو الغالب عليهم ـ دون الحق الذي فيها، ومن بين تلك الأسماء التي ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله منتقدًا إطلاقها في حق الله ﷻ:

۞ البعيد:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الرد على كلام منسوب للحلاج(١)، قال فيه: «قوله: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقريب والبعيد»(٢).

فردّ عليه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: «ليس في أسماء الله البعيد، ولا وَصَفَهُ بذلك أحدٌ من سَلَفِ الأُمة وأئمتها؛ بل هو موصوف بالقرب دون البعد.

وفي الحديث المشهور في التفسير(٣) أن المسلمين قالوا: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهذا يقتضي وصفه بالقرب دون البعد.

وفي الصحيحين عن أبي موسى، عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه ـ لما جعلوا يرفعون أصواتهم بالتكبير ـ: (**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا**(٤) **عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**)(٥).

وإنما الواجب أن يوصف بالعُلُوّ والظهور؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (**أَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**)(٦).

---

(١) الحسين بن منصور الحلاج، تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٦).
(٢) هذا الكلام نقله شيخ الإسلام بلفظه من الرسالة القشيرية: (١/ ٣١).
(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٦٤).
(٤) تقدم شرحه، **انظر**: ص: (٢٦٤).
(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٦٤).
(٦) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٦٤).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلو قال: هو العليُّ القريب، كان حسنًا صوابًا، وكذلك لو قال: قريب في علوه، عليٌّ في دنوه.

فأما وصفه بأنه القريب البعيد، فلا أصل له؛ بل هو وصف باسم حسن وبضده؛ كما لو قيل: العَلِيُّ السافل، أو الجواد البخيل، أو الرحيم القاسي ونحو ذلك، والله تعالى له الأسماء الحسنى، وإنما يؤتى مثل هؤلاء من القياس الفاسد؛ لمَّا سمعوه يخبر عن نفسه بأنه الأول الآخر، الظاهر الباطن، قاسوا على ذلك القريب والبعيد، وهذا خطأ؛ لأن تلك الأسماء كلها حسنة، دالة على كمال إحاطته مكانًا وزمانًا، وأما هذا، فهو جمع بين الاسم الحَسَنِ وضده»[(١)].

فانظر كيف بَنَى شيخ الإسلام رحمه الله عدمَ جواز إطلاق الاسم في حق الله ﷻ على عدم صحة الإطلاق؛ فإن هذا الاسم لا يدل على معنى يقتضي المدح والثناء بنفسه، ناهيك عن عدم وروده في الكتاب والسُّنَّة، ولا ثبت إطلاقه عن أحد من السلف الصالح، وهذا يزيد من تأكيد منزلة تحديد ضابط اعتبار الاسم من أسماء الله ﷻ، والعناية بتطبيقه فيما يطلق في حق الله ﷻ.

ومما هو جارٍ على هذا المنوال؛ مما لم يثبت وروده في الكتاب والسُّنَّة من الأسماء، ولا هو مقتضٍ للمدح والثناء بنفسه، فلا يصح بالتالي إطلاقه في حق الله ﷻ اسمًا:

۞ **الشيء:**

من التسميات الباطلة التي أطلقت في حق الله ﷻ ـ: تسميته «الشيءَ»، وقد ورد هذا الإطلاق في كتاب «لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات»[(٢)]، للرازي[(٣)]، وقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله عدم جواز إطلاق

(١) الاستقامة: (١/١٣٩ ـ ١٤١). (٢) **انظر:** ص: (٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٣) محمد بن عمر بن الحسين القرشي أبو عبد الله بن الخطيب.

اسم «الشيء» على الله ﷻ من قبيل التسمية، وإن كان يجوز الإخبار عن الله بأنه شيء؛ وهذا باب آخر غير باب الأسماء؛ كما سبق بيانه[(١)]، وفي تقرير عدم صحة تسمية الله ﷻ بـ«الشيء» يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والناس متنازعون؛ هل يُسمَّى الله بما صحَّ معناه في اللغة والعقل والشرع؛ وإن لم يرد بإطلاقه نصٌّ ولا إجماعٌ، أم لا يطلق إلا ما أَطْلَقَ نصٌّ أو إجماع؟ على قولين مشهورين:

وعامة النظار يطلقون ما لا نصّ في إطلاقه ولا إجماع؛ كلفظ: القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة؛ فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه؛ مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيءٌ، فهذا سائغ، وإن كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح؛ كقول القائل: يا شيء؛ إذ كان هذا لفظًا يعم كل موجود، وكذلك لفظ ذات، وموجود ونحو ذلك»[(٢)].

بهذا التقرير من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبين أن «الشيء» إذا احتيج إلى إطلاقه في حق الله ﷻ، فإنما يطلق في حقه من باب الإخبار لا التسمية أو الوصف، وقد سبق بيان الفرق بين باب الأسماء والصفات وبين باب الإخبار.

۞ الفقر:

أطلق بعض الصوفية اسم الفقر على الله ـ تعالى عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا ـ

---

(١) انظر: ص: (٢١٤) من هذه الرسالة.

(٢) رسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: (٢/ ٤٦ ـ ٤٧).

وقد ناقش شيخ الإسلام رحمه الله هذا الإطلاق ضمن سؤالٍ ورد عليه هذا نصه:

«سئل عن رجل متصوف قال لإنسان في كلام جرى بينهم: فقراء الأسواق، فقال له الرجل اليهودي والنصراني والمسلم في السوق، قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]، فقال الصوفي: قال رسول الله ﷺ: «الفقر إلى الله، والأولياء مفتقرون للخاتمة، والأشقياء تحت القضاء»، قال الصوفي للرجل: تعرف الفقر؟ فقال له: لا، قال الصوفي: الفقر هو الله، فأنكروا عليه هذا اللفظ، ثم في ثاني يوم قال رجل: أنت قلت: الفقر هو الله؟! فقال الصوفي: أنا قرأت في كتابٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رآني آمن بي»، وأنا رأيت الفقر فآمنت به، والفقر هو الله.

فأجاب: الحمد لله، أما الحديث كذب على رسول الله ﷺ، وهو مع كونه كذبًا مناقض للعقل والدين؛ فإنه ليس كل من رآه آمن به؛ بل قد رآه كثير؛ مثل الكفار والمنافقين، وقول القائل: آمنت بالفقر، أو كفرتُ بالفقر، هو من الكلام الباطل؛ بل هو كفر يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، والله سبحانه هو الغني والخلق هم الفقراء إليه.

وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فإذا كان الذين قالوا: إنه فقير قد توعدهم بهذا؛ فكيف بمن يقول له الفقر؟! والمصدر أبلغ من الصفة، وإذا كان منزهًا عن أن يوصف بذلك، فكيف يجعل المصدر اسمًا له؟!»[(١)].

ولعل هذا النقل كافٍ في بيان بطلان هذه التسمية، وبيان قبحها وشناعتها، وليس ذلك بغريب على مثل هؤلاء؛ الذين تشربوا البدع؛ فانتكست فطرهم، وضلت عقولهم عن الهُدى المستبين والحق الواضح والصراط المستقيم، نسأل الله الهداية والثبات آمين.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١١/١١٦ ـ ١١٧).

۞ الجوهر:

من الأسماء التي يطلقها النصارى وبعض المعطِّلة النفاة من الفلاسفة ومن وافقهم على الله ﷻ ـ: اسم: «الجوهر»، فيسمون الله جوهرًا، وهم متنازعون في المراد بالجوهر؛ فالفلاسفة يريدون به: القائم بنفسه لا في موضع(١)، والمتكلمون يريدون به: المتحيز الذي تقوم به الأعراض(٢)، وقد ردّ شيخ الإسلام على من جوّز تسميةَ الله ﷻ جوهرًا في العديد من المواضع من كتبه؛ فمن ذلك:

قوله رَحِمَهُ اللهُ: «أما تسمية الباري جوهرًا، فهو من أهون ما ينكر على النصارى؛ ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع فقط أو اللغة، ومنهم من ينكره من جهة العقل أيضًا، ومنهم من يراه نزاعًا لفظيًّا، وطائفة من المسلمين يسمونه جوهرًا وجسمًا أيضًا، وذلك أن المسلمين في أسماء الله تعالى على طريقتين:

فكثير منهم يقول: إن أسماءه سمعيةٌ شرعيةٌ؛ فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة، **والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع.**

ومنهم من يقول: ما صحَّ معناه في اللغة، وكان معناه ثابتًا له، لم يحرم تسميته به؛ فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك، فيكون عفوًا.

والصواب القول الثالث: وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء، أو يخبر بها عنه؛ فإذا دعي، لم يدع إلا بالأسماء الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأما الإخبار عنه، فهو بحَسَبِ الحاجة، فإذا احتيج ـ في تفهيم الغير المرادَ ـ إلى أن يُترجم أسماؤه بغير العربية، أو يعبّر عنه باسم له

---

(١) **انظر**: معيار العلم للغزالي ص: (٢٨٠ ـ ٢٨١)، بغية المرتاد: (١٨٩)

(٢) **انظر**: بغية المرتاد ص: (١٩٠)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٣/٧)، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي: (١/٤٣٣ ـ ٤٣٧).

معنًى صحيحٌ، لم يكن ذلك محرمًا، وأما الذين منعوه من جهة العقل، فكثير منهم من يقولون: إن الجوهر ما شغل الحيز وحمل الأعراض، والله ﷻ ليس كذلك، وهذا قول من نفى ذلك من أهل الكلام، ومنهم من يقول: الجوهر ما إذا وجد، كان وجوده لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائد على ذاته، وواجب الوجود وجوده عين ذاته؛ فلا يكون جوهرًا، وهذا قول ابن سينا وأمثاله من متأخري المتفلسفة، وأما قدماء الفلاسفة؛ كأرسطو وأمثاله فكانوا يسمونه جوهرًا، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية»[١].

وقال رحمه الله أيضًا: «وكذلك في الإثبات له الأسماء الحسنى التي يُدعى بها، وليس في تلك الأسماء أنه جسم ولا جوهر ونحو ذلك، ولا أن صفاته تسمَّى أعراضًا ونحو ذلك؛ فلم يكن واحد من هذين مشروعًا على الإطلاق، ولا هو أيضًا مَنهيًّا عنه على الإطلاق؛ بل إذا أثبت الرجل معنًى حَقًّا ونفى معنًى باطلًا، واحتاج إلى التعبير عن ذلك بعبارة لأجل إفهام المخاطَبِ؛ لأنها من لغة المخاطب ونحو ذلك، لم يكن ذلك مَنهيًّا عنه؛ لأن ذلك يكون من باب ترجمة أسمائه وآياته بلغةٍ أخرى؛ ليفهم أهل تلك اللغة معانِيَ كلامِهِ وأسمائه، وهذا جائز بل مستحَبٌّ أحيانًا؛ بل واجب أحيانًا، وإن لم يكن ذلك مشروعًا على الإطلاق؛ كمخاطبة أهل هذه الاصطلاحات الخاصة في أسماء الله وصفاته وأصول الدين باصطلاحهم الخاصِّ، إذا كانت المعاني التي تبين لهم هي معانِيَ القرآن والسُّنَّة، تشبه قراءة القرآن بغير العربية، وهذه الترجمة تجوز لإفهام المخاطب بلا نزاع بين العلماء، وأما قراءة الرجل لنفسه، فهذا لا يجوز عند عامة أهل العلم، لا في الصلاة، ولا في خارج الصلاة، وجوزه بعضهم مطلقًا، لكن لمن لم يحسن العربية، لكن المخاطبة ليست كإقراء القرآن، لكن تشبه ذكره والثناء عليه والدعاء له بما لم يوقتِ الشارعُ فيه شيئًا بعينه؛ ولهذا يكره أيضًا عند كثير من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٣/ ٦ ـ ٧)، وانظر: (٢/ ٥٩٥)، (٣/ ١٤ ـ ١٥).

العلماء أو أكثرهم تغييرُ العربية إلا للحاجة، ومنهم من لم يكرهه»[١].

الوحد:

أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن إدخال هذا الاسم في أسماء الله الحسنى غلط، فقال في تقرير ذلك: «وأما «الوحد» فقد غلط من أدخله في أسماء الله»[٢].

ولم أقف على قول أحد من أهل العلم ـ مهما كان معتقدهم ـ اعتبره اسمًا من أسماء الله الحسنى، والله تعالى أعلم.

هو:

أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن بعض أهل البدع المنتسبين إلى التصوف خاصة ـ: يعتقدون أن «هو» من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ؛ بل إنهم يفضلون هذا الاسم على بقية أسماء الله الحسنى، ويعتقدون أن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ودعاءه بهذا الاسم أفضل من ذكره ودعائه بسائر أسماء الله الحسنى.

وفي تقرير ذلك يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن زعم أن هذا[٣] ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة هو **الاسم المضمر** ـ: فهم ضالون غالطون»[٤].

وقال في موضع آخر: «والذكر **بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السُّنَّة**، وأدخل في البدعة[٥]، وأقرب إلى ضلال الشيطان؛ فإن من قال: **يا هو**، أو: هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما يُصَوِّرُه

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، **وانظر**: بغية المرتاد ص: (١٨٩ ـ ١٩٠)، الصفدية: (١/ ١٢٥).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٩).

(٣) الإشارة هنا إلى النصوص التي جاءت بالأدعية والأذكار الشرعية المعروفة.

(٤) العبودية ص: (١٩٩ ـ ٢٠١).

(٥) بل صرح شيخ الإسلام بأنه بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة، **انظر**: رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية، ضمن مجموع الفتاوى: (١٠/ ٣٩٦)، الرد على المنطقيين ص: (٣٥)، مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥٥٦، ٥٦٧).

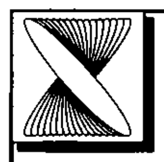
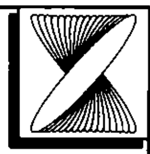
قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل»[١].

وسيأتي في الباب الثالث مناقشةٌ مفصَّلةٌ لموضوع الذكر بالاسم المفرد والمضمر أثناء الرد على الصوفية[٢].



(١) العبودية ص: (٢٠٤).

(٢) **انظر**: ص: (٩٠٠) وما بعدها من هذه الرسالة.

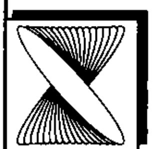



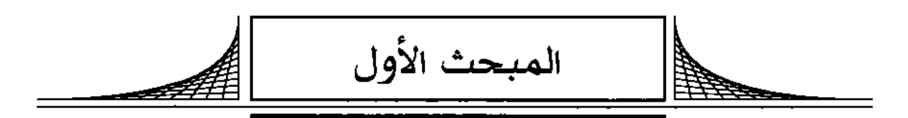
الفصل الثاني

جهوده في شرح أسماء الله الحسنى

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: شرحه للأسماء المفردة.
- المبحث الثاني: شرحه للأسماء المقترنة والمضافة.



المبحث الأول

جهوده في شرح الأسماء المفردة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: شرحه لأسماء الله الحسنى الدالة على الألوهية والربوبية والملك.
- المطلب الثاني: شرحه لأسماء الله الحسنى الدالة على الخلق.
- المطلب الثالث: شرحه لأسماء الله الحسنى الدالة على الوحدانية والأسماء الجامعة للتنزيه والتحميد.



المطلب الأول

شرحه لأسماء الله الحسنى الدالة على الألوهية والربوبية والملك

نبّه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ضرورة الالتزام ـ في شرح أسماء الله الحسنى ـ بما ورد في الشرع؛ من كلام الله تعالى، أو سُنَّة رسوله ﷺ، أو المأثور عن السلف الصالح رضي الله عنهم؛ وذلك لكثرة الخائضين في هذا الباب بغير علم ولا هدى ولا التزام بالنصوص؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مشيرًا إلى ذلك ـ: «والكلام في تفسير أسماء الله وصفاته وكلامه فيه من الغث والسمين ما لا يحصيه إلا رب العالمين، وإنما الشأن في الحق والعلم والدين»[1]، وهذا

(١) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٨).

طبعًا لا يتأتى إلا لمن التزم بنصوص الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح.

فقد قال بعد هذا الكلام مباشرة: «وقد كتبت قديمًا في بعض كتبي لبعض الأكابر: إن العلم ما قام عليه الدليل، والنافعَ منه ما جاء به الرسولُ، فالشأن في أن نقول علمًا: وهو النقل المصدَّق، والبحث المحقَّق، فإن ما سوى ذلك ـ وإن زَخرَفَ مثلَهُ بعضُ الناس ـ خَزَفٌ مُزَوَّق، وإلا فباطل مطلق»[1].

۞ الفرع الأول ۞

شرحه اسمَ الجلالِ: «الله»

إن اسم العظمة والجلال: «الله»، أعظم أسماء الله ﷻ وأرفعها منزلة، وأصلها؛ الذي إليه تُردّ جميع الأسماء، وقد اعتنى شيخ الإسلام رحمه الله ببيان العديد من الجوانب المتعلقة بهذا الاسم العظيم من أسمائه الحسنى، وذلك من خلال التقريرات التالية:

أولًا: تقريره أن اسم: «الله» هو أصل بقية الأسماء، والكلام في اشتقاقه:

وفي بيان ذلك يقول رحمه الله: «وعامَّة ما سَمَّى به النبيُّ ﷺ عبد الله وعبد الرحمٰن؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ فإن هذين الاسمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى»[2].

وفي كلام متصل بهذا المعنى قال رحمه الله ـ في أثناء كلامه على اسمي الله ﷻ: «الله» و«الرحمٰن»: «قد عُلم أن هذين اسمان من أسماء الله، ليسا اسمين لشيء من صفاته؛ كالعزة والقدرة والحكمة، ولا اسمين لشيء سواه، وأسماء الله تعالى كلّها متفقة في دلالتها على نفسه المقدسة، ولكل اسم خاصة ينفرد بها عن الاسم الآخر؛ فللرحمٰن الرحمة...

(١) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٨).
(٢) مجموع الفتاوى: (١/ ٣٧٩).

وكل اسم فإنه يدل على ذات الله وعلى خصوص وصفه بالمطابقة، ويدل على أحدهما بالتضمُّن، ويدل على الصفة التي للاسم الآخر بالالتزام؛ فإنه يدل على الذات المستلزمة للصفة الأخرى؛ فبين كل اسمين اجتماعٌ وامتيازٌ إلا اسمَ «الله»؛ ففيه قولان؛ ولهذا هل يدخل في الأسماء؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد: **إحداهما**: أنه لا يدخل في هذه الأسماء؛ بل هو متضمن للجميع، وهذا يطابق قول من يقول: ليس بمشتقٍّ، **والثاني**: أنه من الأسماء، وهذا يطابق قول من يقول: إنه مشتق.

والصواب أنه فيه الاشتقاق وعدم الاشتقاق؛ ففيه الاشتقاق الأصليُّ لا الوضعيُّ؛ فليس في الاستعمال مشتقًّا كاشتقاق سائر الأسماء التي هي اشتقاقها اشتقاق الصفات، وأما في الأصل، فإنه مشتق، وهذا يسمى الاشتقاقَ الوضعيَّ، وذاك يسمى الاشتقاقَ الوصفيَّ»[1].

ثانيًا: تقريره لتضمن اسم: «الله» لجميع المحامد، واستلزامه لجميع صفات الكمال:

فمن جملة تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ المتعلقة باسم الجلال: «الله» إضافة إلى كونه أصلًا لبقية الأسماء ـ: أنَّه متضمن لجميع المحامد وجميع صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يشاركه فيها غيره، وليس لله فيها ندّ ولا نظير، وفي تقرير ذلك يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فإثبات المحامد المتضمن لصفات الكمال يستلزم نفي النقص، وإثبات وحدانيته، وأنه ليس له كفؤٌ في ذلك، يقتضي أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال، فهو منزهٌ عن النقائص، ومنزهٌ أن يماثله شيء في صفات الكمال.

كما دل على هذين الأصلين[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، واسمه «الله» تضمن جميع المحامد؛ فإنه يتضمن الإلـٰهية المستلزمة لذلك.

---

(١) رسالة في الرد على بعض أتباع سعد الدين ابن حمويه، ضمن جامع المسائل: (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٢) المراد بالأصلين ما سبق الإشارة إليه: حمد الله وتوحيده.

فإذا قيل: «لا إلـه إلا الله»، تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المحامد، وأنه ليس له فيها نظير؛ إذ هو إلـه، لا إلـه إلا هو، والشرك كله: إثبات نظير لله ﷻ. . .

وأعظم آية في القرآن آية الكرسي أولها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾، هو اسمه المتضمن لجميع المحامد وصفات الكمال، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، نفي للنظراء والأمثال»[١].

ثالثًا: تفسيره اسم الجلال: «الله» بالإلـه المعبود:

فسّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العديد من المواضع من كتبه اسم الجلال: «الله» ـ: بالإلـه المعبود المستحق للعبادة وحده؛ ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في النص الذي سبق إيراده قريبًا ـ: «واسمه «الله» تضمن جميع المحامد؛ فإنه يتضمن الإلـهية المستلزمة لذلك.

فإذا قيل: «لا إلـه إلا الله»، تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المحامد، وأنه ليس له فيها نظير، **إذ هو إلـه**، لا إلـه إلا هو، والشرك كله: إثبات نظير لله ﷻ. . .»[٢]:

ففسر شيخ الإسلام اسم الجلال: «الله» بأنه الإلـه.

وفي موضع آخر يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ فجمع بين الاسمين: اسم الإلـه، واسم الرب؛ فإن «الإلـه» هو المعبود الذي يستحق أن يُعبد، و«الرب» هو الذي يَرُبُّ عبدَهُ فيدبره»[٣].

وقال أيضًا: «قال تعالى في أول السورة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ فبدأ بهذين الاسمين: الله والرب، والله: هو الإلـه المعبود، فهذا

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٤٦ ـ ٤٨)، **وانظر**: منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥)، درء تعارض العقل والنقل: (٤/ ١٤ ـ ١٨)، تفسير سورة الأعلى، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ١١٧).

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٤٦ ـ ٤٧).

(٣) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧١).

الاسم أحق بالعبادة؛ ولهذا يقال: الله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا إلـٰه إلا الله»[(١)]:

ففي هذا الموضع صرّح شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بأن «الله» ـ وهو الاسم المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ـ بأنه الإلـٰه المعبود الذي يستحق أن يُعبد وحده دون مَن سواه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير بديع لهذا المعنى ـ: «والمقصود هنا أن في هذه الآية[(٢)] بيانَ امتناعِ الألوهية؛ من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته؛ من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوى الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبودٌ غيره، لفسدتا من هذه الجهة؛ فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته، كما أنه هو الرب خالق بمشيئته.

وهذا معنى قول النبي ﷺ: (**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ**[(٣)]:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ)[(٤)]

ولهذا قال الله في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٦٦).

(٢) المراد قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري رضي الله عنه، أحد الشعراء الفرسان الأشراف الأسخياء في الجاهلية، أحد شعراء المعلقات السبع المشهورة، وفد على النبي ﷺ، فأسلم عام الوفود، وهو من المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، سكن الكوفة، وعمَّر طويلًا، توفي سنة: ٤١هـ.
انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٣/ ١٣٣٥)، الإصابة في تمييز الصحابة: (٥/ ٦٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، برقم: (٦١٤٧).
ومسلم في صحيحه، كتاب الشعر، باب في إنشاد الشعر وبيان أشعر كلمة وذم الشعر، برقم: (٥٨٤٩).
والبيت في ديوان لبيد بن ربيعة ص: (١٣٢).

[الفاتحة: ٥]، وقدم اسم الله على اسم الرب في أولها؛ حيث قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **فالمعبود** هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته، وهو الغاية والمعين، وهو البارئ المبدع الخالق، ومنه ابتداء كل شيء، والغايات تحصل بالبدايات، والبدايات بطلب الغايات؛ فالإلٰهية هي الغاية، وبها تتعلق حكمته، وهو الذي يستحق لذاته أن يُعْبَد، ويُحَبّ، ويُحْمَد، ويُمَجَّد، وهو سبحانه يَحْمَدُ نفسَهُ، ويُثْنِي على نفسِهِ، ويُمَجِّد نفسَهُ، ولا أحد أحقُّ بذلك منه حامدًا ومحمودًا»[(١)].

ففي هذا النص من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ جمع بين تفسير اسم الجلال: «الله» بالإلٰه المعبود وحده، وبين تقريره لما سبق بيانه من أن هذا الاسم متضمن لجميع المحامد التي يستحقها الله عَزَّ وَجَلَّ وحده دون من سواه.

رابعًا: تقريره لتعلق العبادة باسم: «الله»، والسؤال باسم: «الرب»[(٢)]:

تقدم فيما سبق دراسة موضوع نوعَي الدعاء، وتقرير أن الدعاء نوعان: دعاء العبادة ودعاء المسألة[(٣)]، ودعاء العبادة غالبًا ما يكون مرتبطًا باسم: «الله»، ودعاء المسألة غالبًا ما يكون مرتبطًا باسم «الرب».

ومن تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لذلك قوله: «فهو سبحانه مستحق **التوحيد**؛ الذي هو دعاؤه وإخلاص الدين له، دعاء العبادة بالمحبة، والإنابة، والطاعة، والإجلال، والإكرام، والخشية، والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته، ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، وسؤاله، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته، وهو سبحانه الأول والآخر، والباطن والظاهر.

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥)، **وانظر**: فصل في أن التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير من علم نافع وعمل صالح، ضمن المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة: (٢/ ٢٣٩).

(٢) المقصود من النقول التي سيأتي إيرادها هو ما يختص باسم الجلال: «الله»، وسيأتي بحث ما يتعلق باسم: «الرب» استقلالًا، ولكن لما كان الكلام متصلًا في الاسمين، ولا يمكن فصله، وجب التنبيه إلى هذا الأمر، وتفاديًا للتكرار فيما سيأتي.

(٣) **انظر**: ص: (٣٧٩ ـ ٣٨٠) من هذه الرسالة.

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله، وفي السؤال باسم الرب؛ فيقول المصلي والذاكر: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، وكلمات الأذان: الله أكبر، الله أكبر، إلى آخرها ونحو ذلك.

وفي السؤال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، ونحو ذلك»(١).

۞ الفرع الثاني ۞

شرح اسم الجلال: «الإلـه»

من أسماء الله تعالى الدالة على الألوهية التي اعتنى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتقرير وتوضيح شيء من معانيها ـ: اسم الجلالة: «الإلـه»؛ وذلك من خلال ما يلي:

أولًا: تقريره لمعنى اسم «الإلـه»:

أوضح شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في العديد من المواضع من مؤلفاته ـ معنى اسم الجلال: «الإلـه»؛ بأنه المألوه المعبود المستحق للعبادة وحده دون من سواه، ومن تلك المواضع التي قرّر فيها هذا المعنى، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الإلـه هو الذي تألهه القلوب؛ عبادةً واستعانةً ومحبةً وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا، وهو سبحانه له حقٌّ لا يَشرَكُهُ فيه غيره؛ فلا يُعبد إلا الله،

---

(١) رسالة إلى نصر المنبجي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/٤٥٦)، **وانظر**: قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٦٦ ـ ٦٧)، تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧٠ ـ ٧٤)، مجموع الفتاوى: (١/٢٨٤ ـ ٢٨٦)، (٨/٣٧٩)، شرح العمدة (كتاب الصلاة: ٢/٢٨ ـ ٢٩).

ولا يُدعى إلا الله، ولا يُخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان معاني الألوهية والربوبية، التي كثيرًا ما ترد في النصوص مجتمعة ـ: «إن الله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصودَ المدعُوَّ المطلوبَ، وهو المعينُ على المطلوب، وما سواه هو المكروه، وهو المعين على دفع المكروه؛ فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب؛ لكن على أكمل الوجوه، **والمستعان** هو الذي يستعان به على المطلوب؛ **فالأول**: من معنى ألوهيته، **والثاني**: من معنى الربوبية:

إذ الإله هو الذي يؤله، فيُعبد؛ محبةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا، والرب هو الذي يربي عبده؛ فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر ـ مقررًا هذا المعنى أيضًا ـ: «**فإن الإله يجب أن يكون معبودًا، وهو المعبود لذاته، الذي يُحب غاية الحب بغاية الذل، وهذا لا يصلح إلا لله**»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «وفي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فجَمَعَ بينَ الاسمين: اسم الإله، واسم الرب؛ **فإن «الإله» هو المعبود الذي يستحق أن يُعبد**، و«الرب» هو الذي يَرُبُّ عبدَهُ فيدبره»(٤).

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/ ١٤١).

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٣١ ـ ٣٢).

(٣) فصل في أن التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير؛ من علم نافع وعمل صالح، ضمن المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة: (٢/ ٢٣٩).

(٤) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧١)، **وانظر**: ص: (١٧، ٢٥)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٨٥٥)، التدمرية ص: (١٨٦)، درء تعارض العقل والنقل: (١/ ٢٢٦)، (٩/ ٣٧٧)، =

ثانيًا: تقريره لاستلزام الإلـه لجميع صفات الكمال:

سبقتِ الإشارة إلى هذا المعنى عند إيراد تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح اسم الجلال: «الله»، ولما لم يكن هناك فرق في المعنى بين اسم «الله»، و«الإلـه»، فإن شيخ الإسلام يفسرهما بالمعبود المستحِقِّ للعبادة وحده؛ لذلك كانت دلالة الاسمين على استلزام المُسمى بهما لجميع المحامد وصفات الكمال والعظمة والجلال واحدة ومتطابقة، وكان استحقاقه للعبادة وحده من هذا الوجه، وهذا معنى انفراده بكل معاني الألوهية.

وفي تقرير ذلك يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإلـه: هو المألوه؛ الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلـهية مستلزمٌ لصفات الكمال؛ فلا يستحق أن يكون معبودًا محبوبًا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه، فهو باطل، وعبادة غيره وحُبُّ غيره يوجبُ الفسادَ»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «فقوله: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فيه إثبات انفراده بالإلـهية، والإلـهيةُ تتضمن كمالَ علمه وقدرته ورحمته وحكمته؛ ففيها إثبات إحسانه إلى العباد؛ فإن **الإلـه** هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوبَ غايةَ الحُبِّ، المخضوعَ له غايةَ الخضوع، **والعبادةُ** تتضمن غاية الحب بغاية الذل»[2].

ثالثًا: بيانه لخطأ من فسَّر الإلـه ببعض التفسيرات الباطلة:

من الأخطاء التي انبرى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ للردّ عليها ما وقع فيه الفلاسفة والمتكلمون في تفسير «الإلـه» بتفسيرات باطلة ترتب عليها ضلالهم

= المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ١٥)، مختصر الفتاوى المصرية ص: (٢٦٨)، الواسطة بين الحق والخلق ص: (٤٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦).

(٢) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، ص: (٢٥).

في مفهوم التوحيد الذي جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين!

أما المتكلمون، فقد فسروا «الإلـه» بالقادر على الاختراع، وخلطوا بين مفهوم الربوبية والألوهية، وقصروا جهودهم في توضيح توحيد الربوبية واستفراغ الجهد في بيان أدلته، وغفلوا عن توحيد الألوهية والعبادة، الذي هو المقصود الأعظم من دعوة الرسل.

ومن جهود شيخ الإسلام رحمه الله في ردِّ هذا الباطل قوله: «أفضل الكلام قول: «لا إلـه إلا الله»، **والإلـه**: هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء؛ فهو بمعنى المألوه، وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك.

ولكن أهل الكلام الذين ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية، وهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء ـ: اعتقدوا أن الإلـه بمعنى الآلِه: اسمُ فاعل، وأن الإلـهية هي القدرة على الاختراع؛ كما يقوله الأشعري وغيره، ممن يجعلون أخص وصف الإلـه القدرة على الاختراع.

ومن قال: إن أخص وصف الإلـه هو القدم ـ كما يقوله من يقوله من المعتزلة ـ قال ما يناسب ذلك في الإلـهية، وهكذا غيرهم، وقد بسط الكلام على هذا في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه على هذه الأمور، وأن هؤلاء غلطوا في معرفة حقيقة التوحيد، وفي الطرق التي بيّنها القرآن، فظنوا أنه مجرد اعتقاد أن العالم له صانع واحد، ومنهم من ضم إلى ذلك نفي الصفات أو بعضها، فجعل نفي ذلك داخلًا في مسمى التوحيد، وإدخال هذا في مسمى التوحيد ضلال عظيم.

وأما الأول، فلا ريب أنه من التوحيد الواجب، وهو الإقرار بأن خالق العالم واحد؛ لكنه هو بعض الواجب، وليس هو الواجبَ الذي به يخرج الإنسان من الإشراك إلى التوحيد؛ بل المشركون الذين سمّاهم الله ورسوله مشركين، وأخبرتِ الرسلُ أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرّين بأن الله خالق كل شيء.

فهذا أصل عظيم يجب على كل أحد أن يعرفه؛ فإنه به يُعرف التوحيد الذي هو رأس الدين وأصله.

وهؤلاء قصّروا في معرفة التوحيد، ثم أخذوا يثبتون ذلك بأدلة، وهي وإن كانت صحيحة؛ فلم تنازع في هذا التوحيد أمة من الأمم، وليست الطرق المذكورة في القرآن هي طُرُقَهُم، كما أنه ليس مقصودُ القرآن هو مجردَ ما عرفوه من التوحيد»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر ـ مؤكدًا على هذا المعنى ـ: «وليس المراد بـ«الإلـٰه» هو القادِرَ على الاختراع، كما ظنّه من ظنّه من أئمة المتكلمين؛ حيث ظنَّ أن الإلـٰهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقرَّ بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره، فقد شَهِدَ أن لا إلـٰه إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا، وهم مشركون؛ كما تقدم بيانه[(٢)]؛ بل الإلـٰه الحق هو الذي يستحق أن يُعبد، فهو إِلَـٰهٌ بمعنى مألوه، لا إلـٰه بمعنى آلِه، **والتوحيد**: أن يُعبد الله وحده لا شريك له، **والإشراك**: أن يجعل مع الله إلهًا آخر.

وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر، المنتسبون إلى السنة ـ: إنما هو توحيد الربوبية، وأن الله رَبُّ كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرِّينَ بذلك مع أنهم مشركون»[(٣)].

وأما الفلاسفة، فقد فسروا الإلـٰه بالمتبوع الإمام، الذي تتحرك الأفلاك من أجل التشبه به، وفي بيان ضلالهم في ذلك يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك العلة الأولى التي يثبتونها[(٤)] لهذا العالم، إنما أثبتوا علة غائية يتحرك الفَلَكُ للتشبه بها، وتحريكها للفَلَكِ من جنس تحريك الإمام المقتدَى به للمؤتم المقتدي، إذا كان يحب أن يتشبه بإمامه ويقتدي بإمامه، ولفظ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٩/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).
(٢) **انظر**: التدمرية ص: (١٧٨، ١٨٠).
(٣) التدمرية ص: (١٨٥ ـ ١٨٦)، **وانظر**: بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، درء تعارض العقل والنقل: (١/ ٢٢٦).
(٤) المراد بهم الفلاسفة.

«**الإلـه**» في لغتهم يراد به: المتبوع الإمام الذي يُتشبه به، فالفَلَكُ عندهم يتحرك للتشبه بالإلـه؛ ولهذا جعلوا الفلسفة العليا والحكمة الأولى إنما هي التشبه بالإلـه على قدر الطاقة، وكلام أرسطو في علم ما بعد الطبيعة ـ في مقالة اللام التي هي منتهى فلسفته وفي غيرها ـ كله يدور على هذا، وتارة يشبه تحريكه للفلك بتحريك المعشوق للعاشق، لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشقِ ذاتَ المعشوقِ، أو لغرض يناله منه، وحركة الفَلَكِ عندهم ليست كذلك؛ بل يتحرك ليتشبه بالعلة الأولى، فهو يحبها؛ **أي**: يحب التشبه بها، لا يحب أن يعبدها، ولا يحب شيئًا يحصل منها»(١).

ويكفي في بطلان هذا الزعم إيراد وصف شيخ الإسلام ﷺ له بقوله: «والمقصود هنا أن يعلم العقلاء أنه مخالف لصريح العقل، ليس من دين المسلمين، كما أنه من خالف كتاب الله وسُنَّة رسوله أو إجماع السابقين ليس من دين المسلمين»(٢)، وأن هذا الكلام في غاية الجهل والكفر(٣).

ويجب أن يُعلم هنا أن هذه النقول التي أوردتها في بيان تقريرات شيخ الإسلام لما يتعلق باسمي الجلالة: «الله» و«الإلـه» ـ: إنما هي نماذجُ فقط، وإلا فإن استقصاء جميع النقول الواردة في كل نقطة من النقاط التي سبق إيضاحها يطول طولًا عظيمًا؛ فإن شيخ الإسلام قد أولى هذه المباحث العنايةَ الفائقةَ في جميع مؤلفاته تقريبًا؛ فقدِ احتلت هذه المباحثُ المرتبة الأولى من جهود شيخ الإسلام في دعوته الإصلاحية التي قام بها في زمانه، ولا يسع مثلَ هذا البحثِ الإحاطةُ بذلك كله، وهناك العديد من الرسائل الجامعية التي اعتنت بإبراز جهود شيخ الإسلام ﷺ في باب التوحيد عمومًا، فليرجع إليها من طلب الاستزادة(٤).

---

(١) تفسير سورة الإخلاص ص: (١٣٩)، **وانظر**: رسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: (٢/ ٢٥ ـ ٢٦)، الصفدية: (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥)، درء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٢٩٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٢٩٠).

(٣) **انظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٩/ ٤١٥)، الرد على المنطقيين ص: (١٤٨).

(٤) **انظر** على سبيل المثال: منهج شيخ الإسلام ابن تيميّة في تقرير عقيدة التوحيد، =

۞ الفرع الثالث ۞

شرح اسم الجلال: «الربّ»

من أسماء الله تعالى التي تناولها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالشرح والبيان ـ: اسم الجلالة: «الربّ»، وهذا الفرع مخصَّصٌ لعرض هذه الجهود، وذلك من خلال التقريرات التالية:

أولًا: تقريره لمعنى اسم: «الرب»:

أوضح شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته معنى اسم الجلال: «الرب»؛ بأنه الخالق الذي يربي عبده بالنِّعم، ويُدَبِّر جميع شؤونه وأحواله، ثم يهديه إلى ما هو مسخر له، ومن تلك المواضع التي قرّر فيها هذا المعنى، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصودَ المدعوَّ المطلوبَ، وهو المعين على المطلوب، وما سواه هو المكروه؛ وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فإن **العبودية** تتضمن المقصودَ المطلوبَ؛ لكن على أكمل الوجوه، **والمستعان** هو الذي يستعان به على المطلوب، **فالأول**: من معنى ألوهيته، **والثاني**: من معنى الربوبية.

إذ **الإله** هو الذي يؤله، فيُعبد؛ محبةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا، **والرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها**»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

= د. إبراهيم بن محمد البريكان، فإنه بحث نفيس في بابه.

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٣١ ـ ٣٢)، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص: (١٤٠).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فجَمَعَ بين الاسمين: اسم الإلـه، واسم الرب؛ فإن «الإلـه» هو المعبود الذي يستحق أن يُعبد، و«**الرب**»: **هو الذي يَرُبُّ عبده فيدبره**»[1].

ثانيًا: تقريره أن دعاء المسألة يكون باسم «الرب»، ودعاء العبادة باسم «الله»:

سبق في أثناء شرح اسم الجلالة: «الله»، إيرادُ جهود شيخ الإسلام في تقرير تعلق العبادة باسم: «الله»، والسؤال والدعاء باسم «الرب»، ولا مانع هنا منَ الإشارة إلى ما يختص باسم: «الربِّ» من هذه الجهود؛ لمناسبته هذا الموضع من شرح الأسماء.

ومن تلك التقريرات قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو سبحانه مستحق التوحيد الذي هو دعاؤه وإخلاص الدين له: دعاءَ العبادة؛ بالمحبة، والإنابة، والطاعة، والإجلال، والإكرام، والخشية، والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته، ودعاءَ المسألة والاستعانة؛ بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، والسؤال له، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته، وهو سبحانه الأول والآخر، والباطن والظاهر.

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله، وفي السؤال باسم الرب؛ فيقول المصلِّي والذاكر: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، وكلمات الأذان: الله أكبر، الله أكبر، إلى آخرها ونحو ذلك.

وفي السؤال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ

(١) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧١)، **وانظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٩/ ٣٤١).

لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، ونحو ذلك»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «إنه إذا قيل: تعيينها(٢) على ما في حديث الترمذي مثلًا، ففي الكتاب والسُّنَّة أسماء ليست في ذلك الحديث؛ مثل اسم «الربّ»؛ فإنه ليس في حديث الترمذي(٣)، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم؛ كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]، وقول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقول المسيح: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، وأمثال ذلك، حتى إنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال: يا سيدي؛ بل يقال: يا رب؛ لأنه دعاء النبيين وغيرهم، كما ذكر الله في القرآن»(٤).

ثالثًا: تقريره لمنع إضافة اسم: «الربّ» إلى المكلفين:

وقد قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ هذا الموضوع بدرر من كلامه الذي مبناه على النصوص؛ كما هو منهجه دائمًا، لا يحيد عن كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ قِيد أنملة، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «فلا يكون شيءٌ منَ المخلوقات ربًّا لشيء من المخلوقات ربوبية مطلقة أصلًا؛ إذ رَبُّ الشيء:

---

(١) رسالة إلى نصر المنبجي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٥٦)، **وانظر**: قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٣١ ـ ٣٢)، (٦٦ ـ ٦٧)، تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧٠ ـ ٧٤)، مجموع الفتاوى: (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦)، (٨/ ٣٧٩)، شرح العمدة (كتاب الصلاة: ٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) **أي**: الأسماء الحسنى.

(٣) المراد الرواية التي جاء فيها تعيين الأسماء، وقد تقدم الكلام حولها، **انظر**: ص: (٢٤٥) وما بعدها.

(٤) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣)، **وانظر**: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٣)، تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٧١ ـ ٧٤)، شرح العمدة (كتاب الصلاة: ٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

مَن يَرُبُّهُ مطلقًا من جميع جهاته، وليس هذا إلا لله رب العالمين.

ولهذا مُنع في شريعتنا من إضافة الربِّ إلى المكلفين؛ كما قال ﷺ: **(لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اسْقِ رَبَّكَ، أَطْعِمْ رَبَّكَ)**[(١)].

بخلاف إضافته إلى غير المكلفين؛ كقول النبي ﷺ - لمالك بن عوف الجشمي[(٢)] -: **(أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَمْ رَبُّ شَاءٍ؟)**[(٣)]، وقولهم: رَبُّ الثوب والدار؛ فإنه ليس في هذه الإضافة ما يقتضي عبادة هذه الأمور لغير الله؛ فإن هذا لا يمكن فيها؛ فإن الله فطرها على أمر لا يتغير، بخلاف المكلفين؛ فإنهم يمكن أن يعبدوا غير الله؛ كما عبد المشركون به من الجن والإنس غيره، فمنع من الإضافة في حقهم؛ تحقيقًا للتوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ ولهذا لم يكن شيءٌ يستلزمُ وجودَ المفعولات إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء الله كان، وإن لم يشأ ذلك غيره، وما لم يشأ لا يكون، ولو شاءه جميع الخلق.

وإذا عُرف أنه ليس في المخلوقات ما هو مستقلٌ بمفعولٍ ولا معلولٍ، فليس في المخلوقات ما هو ربٌّ لغيره أصلًا؛ بل فِعلُ كل مخلوق له فيه شريكٌ، وقد يكون له مانع؛ وهذا مما يدل على إثبات الصانع تعالى ووحدانيته»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم: (٢٥٥٢).

ومسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد، برقم: (٥٨٣٨)، ولفظ مسلم: **(لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اسْقِ رَبَّكَ، أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ فَتَاتِي غُلَامِي)**.

(٢) مالك بن نضلة، ويقال: مالك بن عوف بن نضلة بن جريج الجشمي رضي الله عنه، والد أبي الأحوص الجشمي صاحب ابن مسعود رضي الله عنه، عداده في أهل الكوفة.
انظر ترجمته في: الاستيعاب: (٣/١٣٥٩)، تهذيب الكمال: (٢٧/١٦٣)، الإصابة في تمييز الصحابة: (٥/٧٤٤، ٧٥٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤/١٣٦)، بلفظ: **(أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَمْ رَبُّ غَنَمٍ؟)**، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، (٢٨/٤٦٤ - ٤٦٥) (ط الرسالة).

(٤) درء تعارض العقل والنقل: (٩/٣٤١ - ٣٤٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في موضع آخر في التأكيد على هذا المعنى ـ: «معلوم بالاضطرار أن الملائكة ليست أربابًا، ولا تسمى في الشريعة أربابًا؛ فقول القائل[١]: ولأجلها قد تسمى أربابًا:

يقال له: هذه التسمية هي من التسمية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣].

وكما قال يوسف الصديق: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]؛ بل لا ربَّ إلا الله، ربُّنا وربُّ آبائنا الأولين.

وإذا قيل في البشر: «ربُّ كذا»، فإنما يضاف إلى غير المكلف؛ كما يقال: «ربُّ الدار»، و«رَبُّ الثَّوب»؛ وكما قال ﷺ لأبي الأحوص الجُشميِّ[٢]: (**أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَوْ رَبُّ غَنَمٍ؟**).

وكما قال: (**إِذَا اخْتَلَفَ البَيِّعَانِ، فَالقَوْلُ مَا قَالَ رَبُّ السِّلْعَةِ**)[٣]»[٤].

---

(١) المراد قول أبي حامد الغزالي في مشكاة الأنوار، ضمن القصور العوالي من رسائل الغزالي ص: (٦٧).

(٢) الصحيح أن سؤال النبي ﷺ كان متوجهًا إلى والد أبي الأحوص مالك وليس لابنه؛ فأبو الأحوص هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، عداده في التابعين من كبار أصحاب ابن مسعود، **انظر** ترجمته في: تهذيب الكمال: (٢٢/٤٤٥)، وقد تقدم تخريج حديث أبيه قريبًا.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البيوع والإجارات، باب إذا اختلف البيعان والمبيع قائم، برقم: (٣٥١٢).
والترمذي في جامعه، كتاب البيوع، باب ما جاء إذا اختلف البيّعان، برقم: (١٢٧٠).
والنسائي في سننه، كتاب البيوع، باب اختلاف المتبايعين في الثمن، برقم: (٤٦٤٨).
وابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب البيعان يختلفان، برقم: (٢١٨٦).
بألفاظ مختلفة، أقربها لما أورده شيخ الإسلام لفظُ أبي داود: (**إِذَا اخْتَلَفَ البَيِّعَانِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَهُوَ مَا يَقُولُ رَبُّ السِّلْعَةِ**)، وقال عنه الألباني في المواضع المذكورة من السنن: «صحيح».
وانظر تخريجه بالتفصيل في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٧٩٨).

(٤) بغية المرتاد ص: (٣٧٧ ـ ٣٧٨).

۞ الفرع الرابع ۞

شرح اسم الجلال: «الملك»

قال رَحِمَهُ اللهُ ـ في بيان شيء من معاني اسم الجلال: «الملك»، أثناء بيانه لمعاني الربوبية التي ينفرد بها الله عَزَّ وَجَلَّ دون من سواه ـ: «وهو ربُّ كل شيء ومليكه، وهو مالك المُلك، يؤتي المُلك مَن يشاء، ويَنزِعُ المُلكَ ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، الرحمٰن على العرش استوى، له المُلك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ في موضع آخر أثناء رده على ابن سينا؛ في قصره معنى اسم الجلال ـ: «الملك» على أنه: الغني الحقُّ مطلقًا، وإقرار الرازيِّ له على ذلك، فردّ عليهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بأن اسم الجلال: «الملك» يدل على معاني أبلغ وأكمل من مجرد كونه غني عن كل ما سواه مطلقًا، فقال رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قلت: هذه الجملة(٢) متفق عليها في الجملة بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل؛ بل المشركون من العرب وغيرهم يقرّون بها؛ كما قال تعالى وتقدس: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، والأكثرون يقرؤون الآخرتين: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، كما اتفقوا على أن جواب الأول: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، وهو جواب مطابق لمعنى اللفظ؛ لأن معنى قوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ﴾، و﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: لمن ذلك؟! فكان الجواب بقوله:

---

(١) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٣٩٨).

(٢) وهي كون الله عَزَّ وَجَلَّ غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، هذا بيان؛ لأن المشركين يقرّون بأن ملكوت كل شيء لله، وذلك مبالغة في الملك؛ فإن الملكوت أبلغ من لفظ الملك، وما ذكروه من ذلك يتضمن غِناهُ عن كل شيء، وفَقْرَ كل شيء إليه؛ فهو حق؛ لكنه يتضمن أكمل من ذلك: من العلم، والقدرة، والتدبير على وَفقِ المشيئةِ والإرادة، وغير ذلك من المعاني التي تُبيِّن أن هؤلاء الفلاسفةَ لا يجعلونه ملكًا حقًّا، وكيف يكون ملكًا عندهم من لا يقدر على إحداث شيء، ولا دفع شيء، ولا له تصرف، لا بنفسه ولا في غيره بوجه من الوجوه؛ بل هو بمنزلة المقيَّد بحبل معلق به؟! من لا يقدر على دفعه عن نفسه، وما يثبتونه من غناهُ وافتقارِ ما سواه إليه، يتناقضون فيها؛ فإنهم يصفونه بما يمتنع معه أن يكون غَنيًّا، وأن يكون إليه شيء ما فقير؛ لكن ليس المقصود هنا كشفَ أسرارِ أقاويلهم كُلِّهم، وإنما المقصود التنبيه على فساد حُجَجِهمُ التي خالفوا بها أهل الملل في هذا ونحوه، وأنهم يتكلمون بجهل بسيط أو مركب.

فيقال: إن كان المقصود أن الله يستحق أن يُسمَّى مَلِكًا حقًّا؛ لثبوت هذا المعنى، فلا ريب أنه قد سمَّى نفسه مَلِكًا حقًّا، ولا ريب أن هذه المعانِيَ داخلةٌ في ضِمنِ هذا الاسمِ، وأكثر منها في صفات الكمال الثبوتية، وتنزيهه عن النقائص»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقريره لتضمن لفظ: «الملكوت» لمعنى اسم الجلال: «الملك» ـ: «وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ، وَالمَلَكُوتِ، وَالكِبْرِيَاءِ، وَالعَظَمَةِ**)(٢)، **والجبروت والملكوت**: فَعَلُوت الجَبرِ والمُلكِ؛ كالرَّحَمُوتِ، والرَّغَبُوتِ، والرَّهَبُوتِ، فعلوت من

---

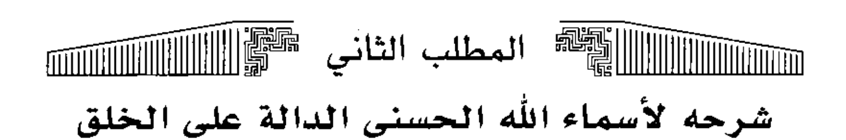
(١) بيان تلبيس الجهمية: (١/٥١٣ ـ ٥١٥)، **وانظر**: الكيلانية، ضمن مجموع الفتاوى: (١٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم: (٨٧٣).
والنسائي في سننه، كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم: (١٠٤٩).
وصححه الألباني في موضعه من السنن.

الرحمة، والرغبة، والرهبة، والعرب تقول: رَهَبوت خيرٌ من رَحموت؛ **أي**: أن ترهَبَ خيرٌ من أن ترحَمَ(١).

فالجَبَروتُ والمَلَكوت يتضمن من معاني أسماء الله تعالى وصفاته ما دلّ عليه معنى «المَلِك» «الجَبَّار»»(٢):

ففي هذه النقول بيان لشيء من معاني اسم الجلال: «الملك»، وما يدل عليه من تفرد الله ﷻ بملك كل شيء في هذا الكون صغيره وكبيره، جليله وحقيره، وأنه المتصرف في ذلك كله بمشيئته وقدرته، التي لا ينازعه فيها أحد من خلقه.



المطلب الثاني

شرحه لأسماء الله الحسنى الدالة على الخلق

الفرع الأول

شرح اسم الجلال: «الخالق»

يعتبر هذا الاسمُ الأصلَ في الأسماء الحسنى الدالة على صفة الخلق والإبداع، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في أثناء حديثه عن الفرق بين الخلق والكسب، عندما كان يَرُدُّ على معتقد الأشاعرة في الكسب في أبواب القدر، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الخلق يجمع معنيين:

أحدهما: الإبداع والبرء.

والثاني: التقدير والتصوير.

فإذا قيل: «خلق»، فلا بد أن يكون أبدع إبداعًا مقدرًا، ولما كان ﷻ أبدع جميع الأشياء من العدم، وجعل لكل شيءٍ قَدْرًا، صحَّ إضافةُ الخلق إليه بالقول المطلق، والتقدير في المخلوق لازم؛ إذ هو عبارة عن تحديده

(١) **انظر**: تهذيب اللغة: (٦/ ١٥٧)، لسان العرب: (١/ ٤٣٦).

(٢) الرد على المنطقيين ص: (١٩٦).

والإحاطة به، وهذا لازم لجميع الكائنات... وصحّ وصفه سبحانه بأنه خالق كل شيء»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مؤكدًا على تضمُّن اسم الجلال: «الخالق» لمعنى الإبداع والتقدير ـ: «فإن اسمه: «الخالق» يقتضي الإبداع والتقدير؛ فقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]»(٢).

وفي تقريره لإحاطة خلق وإبداع الله ﷻ لجميع الكائنات الموجودة في هذا العالم، وعدم خروج شيء من ذلك: صغيرًا أو كبيرًا، جليلًا أو حقيرًا ـ: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله رب العالمين، ومالك الملك، وخالق كل شيء؛ فليس شيء من العالمين خارجًا عن ربوبيته، ولا شيء من الملك خارجًا عن ملكه، ولا شيء من المحدثات خارجًا عن خلقه؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١ ـ ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

---

(١) أفعال العبد الاختيارية، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، وقد اختصرت الكلام مكتفيًا بالذي له صلة بالموضوع، ولوجود بياضات كثيرة في الأصل تخل بالمعنى فيما عدا الكلام المذكور.

(٢) فصل في اسمه تعالى «القيوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٦٨)، **وانظر**: حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٢١١).

[القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ١٧ ـ ٢١].

ولهذا كان أهل السُّنَّة والجماعة والحديث هم المُتَّبِعِينَ لكتاب الله، المعتقِدِينَ لموجَبِ هذه النصوصِ؛ حيث جعلوا كل مُحدَثٍ من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة، وكل حركة طبعية أو إرادية أو قسرية، فإن الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه ومليكه ووكيل عليه»(١).

وهذا المعنى الذي قرّره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا النص المتعلق باسم الجلال: «الخالق» ـ: من أوضح المعاني وأبينها، وقد تكرر تقريره له في عشرات المواضع من مؤلفاته، اكتفيتُ منها بهذا النصِّ مع الإشارة إلى بعض تلك المواضع؛ لظهوره وجلائه بالقدر الذي يغني عن كثرة النقول في تقريره.

۞ الفرع الثاني ۞

شرح اسم الجلال: «البديع»

من الأسماء الحسنى الدالة على الخلق والإبداع التي تناولها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بتقرير شيء من معانيها ـ: اسم الجلال: «البديع»؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «البديع لم يقع إلا مضافًا؛ في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، في موضعين، بديع: أي: مبدعهما.

---

(١) الكيلانية، ضمن مجموع الفتاوى: (١٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وانظر: العبودية ص: (١٤٤ ـ ١٤٥)، تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/١٨٧)، مسألة الأحرف التي أنزلها على آدم هل هي كلام الله، ضمن مجموع الفتاوى: (١٢/١١١)، التدمرية ص: (١٦٥)، الصفدية: (٢/٧٣ ـ ٧٤)، درء تعارض العقل والنقل: (٨/٢٨٠)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/٣٢٧)، منهاج السُّنَّة النبوية: (١/٣٣٦).

ومن زعم أنه خفض(١)، وجعله من(٢)... وأن المعنى بديعةٌ سمٰواتُهُ وأرضُهُ، فقد أخطأ»(٣).

وقرّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن معنى بديع في الآية: مبدعهما وخالقهما ومقدرهما؛ فقال: «فأما قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١]، فإن قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مبدعهما؛ كما ذكر مثل ذلك في البقرة، وليس المراد أنهما بديعة سماواته وأرضه، كما تحتمله العربية لولا السياق؛ لأن المقصود نفي ما زعموه من خرق البنين والبنات له، ومن كونه اتخذ ولدًا، وهذا ينتفي بضِدِّهِ؛ كونه أبدع السماوات»(٤).

فانظر إلى دقة شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كيف أنه يؤكد على أن اللغة محتملة للمعنى المرجوح؛ وهو أن السمٰوات والأرض من أبدع مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لكن السياق أوجب ترجيحَ المعنى الأولَ؛ وهو أن الله عَزَّ وَجَلَّ خالق ومبدع السمٰوات والأرض؛ لأن السياق في الرد على ضلال المشركين في اتخاذهم الشركاء مع الله عَزَّ وَجَلَّ من الجنة والملائكة وعبادتهم لهم، مع أن الجميع خلق الله عَزَّ وَجَلَّ بما في ذلك أعظم هذه المخلوقات؛ وهي السمٰوات والأرض؛ كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

وهذا الذي ذهب إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ؛ من أن معنى: «بديع

---

(١) في المطبوع: «حفض» بالحاء وهو تصحيف بيّن.

(٢) بياض بالأصل، وأشار المحقق الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ذلك بقوله: «كلمة مطموسة في التصوير ص: (٢٧٤)، وفي تفسير البيضاوي: وقرئ بديع مجرورًا على البدل من الضمير في قوله: (له)، وبديع منصوبًا على المدح»اهـ من حاشية المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).
وانظر: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (١/ ٣٩٠).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٤) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

السمٰوات والأرض»: مبدعهما وخالقهما على غير مثال سابق ـ: هو قول جمهور المفسرين[١] وعلى رأسهم إمامهم ومُقَدَّمُهم ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ؛ حين قال في تفسير «بديع» في الآية السابقة: «وإنما هو مُفْعِل، صُرِّف إلى فَعِيل؛ كما صرف المؤلم إلى أليم، والمُسْمِع إلى سميع.

ومعنى المبدع: المُنشئ، والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد»[٢].

وفي تقرير أن السياق الذي وردت فيه هذه الآيات إنما هو لإبطال قول المشركين بمختلف أصنافهم؛ يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١].

والكلام على هذه الآيات وما فيها من الأسرار مذكور في غير هذا الموضع، وقد بُيِّنَ هناك أن هؤلاء الآيات تضمنت إبطالَ قول المبطلين من المشركين والصابئين وأهل الكتاب، وتضمنت إبطالَ ما كان يقوله مشركو العرب، وما يقوله النصارى، وما يقوله مشركو الصابئة وفلاسفتهم، الذين يقولون بتولد العقول، أو العقول والنفوس عنه.

ومن أراد الجمع بين كلامهم وبين النبوات، سَمَّاها ملائكةً، ويقول: العقل كالذكر، والنفس كالأنثى، فهؤلاء خرقوا له بنين وبنات بغير علم.

ثم بَيَّنَ سبحانه أنه مبدعٌ للسمٰوات والأرض، **والإبداع**: خلق الشيء على غير مثال، بخلاف التولد، الذي يقتضي تناسب الأصل والفرع وتجانسهما.

---

(١) **انظر**: جامع البيان: (٧/ ٢٩٨)، تفسير ابن أبي حاتم: (١/ ٢١٤)، معالم التنزيل: (١/ ١٠٩)، زاد المسير في علم التفسير ص: (٨٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/ ١٥٣)، (٢/ ١٥٢)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (١/ ٢٧١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: (٧/ ١٩٦)، ونُسب هذا القول إلى مجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والسدّي، وابن زيد، **انظر**: المراجع السابقة.

(٢) جامع البيان: (١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

والإبداع: خلق الشيء بمشيئة الخالق وقدرته، مع استقلال الخالق به، وعدم شريك له، والتولد لا يكون إلا بجزء من المولِّد، بدون مشيئته وقدرته، ولا يكون إلا بانضمام أصلٍ آخر إليه»[1].

وبهذا البيان البديع اتضح جليًّا صحةُ ترجيحِ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لكون معنى البديع أنه المبدع؛ أي: الخالق المنشئ المقدِّر.

۞ الفرع الثالث ۞

شرح اسم الجلال: «الرَّزاق»

من الأسماء الدالة على الخلق والإبداع التي تطرق إليها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ببيان شيء من معانيها ـ: اسم الجلال: «الرَّزاق»، ومعنى هذا الاسم في غاية الوضوح؛ لدلالته على صفة من أعظم صفات الله عَجَّلَ؛ وهي: الرِّزق وما تكفل الله عَجَّلَ به من تولي شؤون خلقه من بني آدم وغيرهم في هذا الجانب دون استثناء لأحدٍ منهم، وفي إشارة إلى هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ على سبيل المثال ـ: «فإن قوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧، ٥٨]، دليل على أنه خلقهم ليعبدوه، لا ليرزقوا ويطعموا؛ بل هو المُطْعِم الرَّازِقُ، وإطعامه لهم، ورزقه إياهم هو من جملة تدبيرهم وتصريفهم»[2].

ولوضوح هذا المعنى وجلائه نكتفي بهذا النقل عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في بيان شيء من معاني هذا الاسم.

۞ الفرع الرابع ۞

شرح اسم الجلال: «المؤمن»

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ في تقرير أحد معاني هذا الاسم ـ: «وهو سبحانه اسمه «المؤمن»، وهو في أحد التفسيرين: **المصدِّق**، الذي يصدِّق

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٤٨١).

أنبياءه فيما أخبروا عنه بالدلائل التي دلّ بها على صدقه»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيانِ ما يجود به ﷻ على عباده المؤمنين من معرفته ومحبته والإيمان به، وأن ذلك كله من مقتضى اسمه: «المؤمن» ـ: «وهو سبحانه الذي يُطعِمُ عبادَهُ المؤمنين، ويَسقِيهم شرابَ معرفته ومحبته والإيمان به، وهو غني عن جميع خلقه في معرفته ومحبته وإيمانه؛ إذ كان من أسمائه «المؤمن»، وفي توحيده وشهادته وسائر شؤونه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في أثناء تفصيله القول في الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟: «وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد بالإيمان؟ أتريد به شيئًا من صفات الله وكلامه؛ كقوله: «لا إلـٰه إلا الله» و«إيمانه» الذي دلّ عليه اسمه «المؤمن»، فهو غير مخلوق، أو تريد شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم؟ فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة»(٣).

فبيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ من خلال هذا النص ـ أن اسم الجلال: «المؤمن» إنما يدل على صفة الإيمان في حق الله ﷻ، كما يدل على ما تكلم به من أمور الإيمان؛ مثل الشهادة ونحوها، كل ذلك داخل تحت مُسمَّى اسمِهِ: «المؤمن».

۞ الفرع الخامس ۞

شرح اسم الجلال: «الحَكَم»

من الأسماء الحسنى التي صنفها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت الأسماء الدالة على الخلق والإبداع ـ: اسم الجلال: «الحَكَم»، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٤/ ١٨٩)، والمعنى الثاني الذي لم يذكره شيخ الإسلام من معاني هذا الاسم: المُؤَمَّن من آمن به، **انظر**: معالم التنزيل: (٤/ ٣٢٦)، زاد المسير ص: (١٤٢١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ٣٤٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/ ١٢٣).

(٢) قاعدة شريفة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، ضمن جامع المسائل: (١/ ١٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى: (٧/ ٦٦٤).

تقرير دلالة هذا الاسم على اختصاص الله ﷻ بالحُكم بينَ الناس والفصل بينهم؛ وذلك بما أنزل ﷻ من الكتاب، الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ: «قال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وهذا يُبَيِّن أن الحَكَم بين الناس هو الله تعالى؛ بما أنزله من الكتاب المُفصَّل؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾، جملة في موضع الحال.

وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ يقول: كيف أطلب حكمًا غير الله، وقد أنزل كتابًا مفصلًا يحكم بيننا؟!

وقوله: ﴿مُفَصَّلًا﴾: يُبيِّنُ أن الكتابَ الحاكم مفصَّلٌ مُبيَّنٌ، بخلاف ما يزعمه من يعارضه بآراء الرجال، ويقول: إنه لا يُفهَمُ معناه، ولا يدلُّ على مَوردِ النزاعِ، فيجعله إما مُجمَلًا لا ظاهرَ له، أو مُؤَولًا لا يُعلم عينُ معناه، ولا دليل يدل على عين المعنى المراد به»[١].

وفي هذا التقرير ربطٌ بديع من شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بين كون الله ﷻ مُتَّصِفًا بصفة الحُكم بين الناس والفصل بينهم، وبين كونه ﷻ أنزل على عباده ما يظهر به مقتضى اتصافه بهذه الصفة؛ من إرجاعهم إلى المصدر الذي يقفون عنده على كل ما اختلفوا فيه، وهو منه ﷻ، ومما تكلم به.

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

۞ الفرع السادس ۞

شرح اسم الجلال: «الشكور»

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير شيء من معاني هذا الاسم الجليل عند ذكره صيغة اقتران هذا الاسم بالعليم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وبالغفور في قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠ و٣٤، الشورى: ٢٣] ـ: «وهذا من سَعَةِ الكَرمِ؛ فإنه قَرن العِلمَ بالشكر؛ لأن العلم يحيط بتفاصيل الأعمال، وقَرَنَ بالمغفرة الشكور ليُبيّن أن المسيء مع أنه يغفر له، يُضاعف له الحسنات»(١).

وفي التأكيد على هذا المعنى الأخير؛ في وجه اقتران الشكور بالغفور ـ: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن شَدَّادِ بن أوس(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: (**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**)(٣)، ففي قوله: (**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ**)، اعترافٌ بنعمتِهِ عليه في الحسنات وغيرها، وقوله: (**وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**)، اعترافٌ منه بأنه مُذنِبٌ ظالمٌ لنفسِهِ؛ وبهذا يصير العبد شكورًا لربه، مستغفرًا لذنبه، فيستوجب مزيدَ الخير وغفرانَ الشرِّ، منَ الشكور الغفور، الذي يشكر اليسير منَ العمل، ويغفر الكثيرَ منَ الزَّلَلِ»(٤).

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٨).

(٢) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي، أبو يعلى النجاري الأنصاري، ابن أخ حسان بن ثابت، أحد فضلاء الصحابة الذين اشتهروا بالعلم والحلم، توفي سنة: ٥٨هـ ببيت المقدس ودفن فيها.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: (٢/ ٤٦٠)، الإصابة في تمييز الصحابة: (٣/ ٣١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم: (٦٣٠٦).

(٤) شرح حديث أبي ذر: (**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**) ضمن مجموع الفتاوى: (١٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، **وانظر**: الحسنة والسيئة ص: (١٥٦).

وهذا المعنى في غاية الوضوح والبيان؛ مما يجعل الاكتفاء به يغني عن الإطالة في ذكر النقول عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه.

۞ الفرع السابع ۞

شرح اسم الجلال: «المُرسِل»

لم أقف على كلام مفصَّل لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح معاني هذا الاسم، ولعلّ ذلك لوضوحه وجلائه، وغايةُ ما وقفت عليه إشارته رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن معنى الإرسال الذي يدل عليه اسم الجلال: «المرسل»، يدل بدلالة اللزوم على وجود واسطة؛ هي المُرسَل، سواء كان نَبِيًّا أو مَلَكًا، وهذا ما تدل عليه الأدلةُ التي أوردها شيخ الإسلام لإثبات هذا الاسم؛ حيث قال فيه رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥]؛ لأن الإرسال والإمداد لا بد فيه من واسطة، ولكثرة معانيه»[١].

المطلب الثالث

شرحه لأسماء الله الحسنى الدالَّةِ على الوحدانية والأسماء الجامعة للتنزيه والتحميد

سبقتِ الإشارةُ إلى تقسيم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الأسماءَ الحسنى من حيث دلالتُها إلى ثلاثة أقسام، وهذا هو القسم الثالث منها؛ وهي الأسماءُ الحسنَى الدالَّةُ على الوحدانيةِ والجامعةُ للتنزيهِ والتحميدِ، وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تحت هذا النوعِ العديدَ منَ الأسماءِ، وسأتتبع ما شرحه من الأسماء المفردة الداخلة تحت هذا النوع، وذلك من خلال الفروع التالية:

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٤٧).

الفرع الأول

شرح أسماء الجلال: «الواحد»، «الأحد»، «الصمد»، و«الوتر»

لم أقف على كلام لشيخ الإسلام في شرح شيء من الأسماء الحسنى أكثر من كلامه في شرح هذه الأسماء الثلاثة: «الواحد»، «الأحد»، و«الصمد»، خاصة في كتابيه: تفسير سورة الإخلاص، وجواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن؛ من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن[1] وغيرهما، وقد اعتنى بذلك عناية فائقة، وربط هذه الأسماء بالعديد من الأصول والقواعد في توحيد الأسماء والصفات، وردّ ـ من خلال بيان معانيها ـ على كثير من المفاهيم الباطلة التي استند إليها من ضلّ في هذا الباب مما تمسكوا به في نفيهم لمدلول هذه الأسماء.

وقد ألحقتُ بها كلامَهُ في اسم الجلال: «الوتر»؛ لدلالته على الوحدانية والتفرد الذي تدل عليها أسماء الجلال: «الواحد» و«الأحد».

أولًا: تقريره لمعاني أسماء الله الحسنى: «الواحد»، «الأحد»، «الصمد»:

استطرد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معاني هذه الأسماء أكثر من غيرها من أسماء الله الحسنى، ولا يسع المجالُ لاستقصاء جميع كلامه في ذلك، وإنما أكتفي بالإشارة إلى بعضها، مع الإحالة قدر الإمكان إلى كلامه عنها في مختلِفِ مؤلفاته.

إن اسمَي الجلالِ: «الواحد» و«الأحد» من أسماء العظمة والجلال المتقاربةِ في المعنى[2]؛ إذ هما دالّانِ على عمومِ التنزيه والتسبيح لله عَزَّوَجَلَّ

(١) كما أخبر بذلك هو نفسه؛ فقال: «ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة، وآخر في بيان أنها تعدل ثلث القرآن»، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٥٤٣).

(٢) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

عن جميع النقائص، كما يدلان عمومًا على وحدانيته وانفراده بجميع معاني الكمال ونعوت العظمة والجلال، وعدم مثلية شيء من مخلوقاته له في ذلك، واسم الجلال: «الصمد» يدل على غِناهُ ﷻ عن كل ما سواه، وافتقار كل شيء إليه؛ فهو وحده الذي تَصْمُدُ إليه جميعُ المخلوقات؛ لما يَستحِقُّهُ ﷻ من جميع صفات الكمال، وفي تقرير معانيها بالتفصيل يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:

«فإن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وهذان الاسمان: «الأحد» و«الصمد» لم يذكرهما الله إلا في هذه السورة، وهما ينفيان عن الله ما هو منزهٌ عنه منَ التشبيه والتمثيل، ومن التركيب والانقسام والتجسيم؛ فإن اسمَهُ «الأَحَدَ» ينفي المِثلَ والنظيرَ؛ كما تقدم الكلام على ذلك في أدلته السمعية(١)، وبيّنا أن «الأحد» في أسماء الله ينفي عنه أن يكون له مِثلٌ في شيء منَ الأشياءِ؛ فهو أحد في كل ما هو له، واسمه «الصمد» ينفي عنه التفرقَ والانقسامَ والتمزقَ، وما يتبع ذلك من تركيبٍ ونحوه، فإن اسمَ «الصمد» يدل على الاجتماع.

وكذلك كل واحد من معنييه اللذين يتناولهما هذا الاسم؛ وهو أن الصَّمَدَ هو السيِّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدَدِهِ، ويُصمَدُ إليه في الأمور، **والصمد** هو الذي لا جَوفَ له؛ كما يقال: الملائكة صمد، والآدمي أَجْوَفُ، والمُصمَتُ ضِدُّ الأجوفِ؛ فإن اسم السيّد يقتضي الجمعَ والقوة؛ ولهذا يقال: السواد هو اللون الجامع للبصر، والبياض اللون المفرّق للبصر، ويقال للحليم: السيد؛ لأن نفسَهُ تجتمع فلا تتفرق، وتتميز من الغيظ والواردات عليها، وكذلك هو الذي يصبر على الأمور، والصبر يقتضي الجمع والحبس والضم، وضده الجَزَعُ الذي يقتضي التفرّق، وكذلك التعزّي والتعزّز، وعزّزته فتعزى، أو هو لا يتعزَّى، هو ضد الجزوع، فإن التعزّز

---

(١) أي: الأدلة السمعية التي أوردها الرازي على نفي الجسمية، **انظر**: بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٨٤) وما بعدها.

والتعزّي يقتضي الاجتماع والقوة، والجزع يقتضي التفرّق والضعف، والإنسان له في سؤدده وعزته حالان:

أحدهما: أن يستغنِيَ بنفسِهِ عن غيرِهِ، ويَعِزّ بنفسه عن غيره، فلا يحتاج إلى الغير الذي يحتاج إليه غيره لغناه، ولا يخاف منه لعزّته.

والثاني: أن يكونَ هو قد احتاج إليه غيره، ويكون قد أعزّ غيره فغلبه، وأعزّه فمنعه، فيكون الناس قد صمدوا له؛ **أي**: قصدوه وأجمعوا له، وهذا هو «الصمَّدُ» «السيِّدُ»، وذلك إنما يكون من كمال سُؤْدَدِهِ وصمديتِهِ، التي تنافي تفرُّقَهُ وتمزّقه وضعفه»(١).

ومما قرّره شيخ الإسلام ﷺ ـ فيما يتعلق بمعاني هذه الأسماء ـ أن اسم الجلال «الأحد» لا يوصف به شيءٌ في الإثبات إلا الله وحده، ويستعمل في حق غيره في النفي، بخلاف اسم الجلال «الصمد»؛ فإنه يستعمل في حق غير الله ﷻ، لكن المعنى المطلق فيه خاصٌّ بالله ﷻ، وفي ذلك يقول ﷺ: «والمقصود هنا أن لفظ «الأحد» لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما يستعمل في غير الله في النفي، قال أهل اللغة: تقول: لا أحد في الدار، ولا تقل: فيها أحدٌ؛ ولهذا لم يجئ في القرآن إلا في غير الموجَبِ؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وكقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦]، وفي الإضافة؛ كقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم﴾ [الكهف: ١٩]، و: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]، وأما اسم «الصمد»، فقدِ استعمَلَهُ أهلُ اللغة في حق المخلوقين كما تقدم، فلم يقل: «الله صمد»؛ بل قال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾؛ فبيّن أنه المستحق لأن يكون هو الصمدَ دون ما سواه؛ فإنه المستوجِبُ لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صَمَدًا من بعض الوجوه؛ فإن حقيقةَ الصمديةِ منتفيةٌ عنه؛

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٣)، **وانظر**: (٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣).

فإنه يقبل التفرّق والتجزئة، وهو أيضًا محتاج إلى غيره؛ فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحدٌ يَصمُدُ إليه كلُّ شيءٍ، ولا يَصمُدُ هو إلى شيءٍ إلا الله تبارك وتعالى، وليس في المخلوقاتِ إلا ما يقبل أن يتجزأَ ويتفرَّقَ ويتقسَّمَ وينفصِلَ بعضُهُ من بعضٍ، والله سبحانه هو الصمدُ؛ الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك؛ بل حقيقة الصمّديةِ وكمالُها له وحدَهُ، واجبةٌ لازمةٌ، لا يمكن عدم صمديتِهِ بوجهٍ منَ الوجوهِ، كما لا يمكن تثنيةُ أحديتِهِ بوجهٍ من الوجوه؛ فهو أحدٌ لا يماثله شيءٌ منَ الأشياءِ بوجه من الوجوه؛ كما قال في آخرِ السورةِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]؛ استعملها هنا في النفي؛ أي: ليس شيءٌ منَ الأشياء كفوًا له في شيء من الأشياء؛ لأنه أحد، وقال رجل للنبي ﷺ: أنت سيدنا، فقال: **«السَّيِّدُ اللهُ»**[(١)]»[(٢)].

وقد قرّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع عدة من مؤلفاته أن هذا الذي ذكره في معنى اسم الجلال: «الصمد» هو التفسير المأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم، وأن المشهور عنهم في تفسير هذا الاسم قولان، وأنه ليس في كلامهم تناقض، وهو الموافق للغة العرب التي نزل بها القرآن ـ: فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والاسم «الصمد» فيه للسلف أقوال متعددة، قد يُظن أنها مختلفة، وليس كذلك؛ بل كلها صوابٌ، والمشهورُ منها قولان: **أحدهما**: أن «الصمد» هو الذي لا جوف له، **والثاني**: أنه السيِّدَ الذي يُصمَدُ إليه في الحوائجِ، **والأول**: هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، **والثاني**: قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين. . .».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤/ ٢٤)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، (٢٦/ ٢٣٥) (ط الرسالة).
وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، برقم: (٤٨٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) تفسير سورة الإخلاص ص: (٦٣ ـ ٦٤)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ١٩٣ ـ ١٩٨)، (٣/ ٤٨٧ ـ ٤٩٠)، جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٧٥ ـ ١٧٦)، درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ١٢١).

«. . . والاشتقاق يشهد للقولين جميعًا، وهو على الأول أدلُّ، وكون «الصمد» يُصمَدُ إليه في الحوائج هو حقٌّ أيضًا، وهو مُقرِّرٌ للتفسير الأول، ودالٌّ عليه، فلا يُنافي أن يكونَ هو نفسُهُ مجتمعًا لا جَوفَ له؛ بل كونه في نفسه كذلك، فهو الموجِبُ لاحتياج الناس إليه»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «ولفظ «الصمد» يدل على أنه لا جوف له، وعلى أنه السيّد، ليس كما تقول طائفة من الناس: إن الصمد في اللغة إنما هو السيّد، ويتعجبون مما نقل عن الصحابة والتابعين من أن الصمد هو الذي لا جوف له؛ فإن أكثر الصحابة والتابعين فسّروه بهذا، وهم أعلم باللغة وبتفسير القرآن، ودلالة اللفظ على هذا أظهر من دلالتها على السؤدد؛ وذلك أن لفظ «ص م د» يدل على الاجتماع والانضمام المنافي للتفرق والخُلُوِّ والتجويفِ؛ كما يقال: صمد المال، وصمّده وتصمّد، إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض، ومنه في الاشتقاق الأكبر الصَّمْتُ والتَّصَمُّتُ؛ فإن التاء والدال أخوان متقاربان إلى بعض في المخرج، **والاشتقاق الأكبر هو**: ما يكون فيه الكلمتان قد اشتركتا في جنس الحرف، فالكلمتان اشتركت في الصاد والتاء، والتاء والدال أخوان، يقال: صمت يصمت صماتًا وصموتًا، وأصمت إصماتًا، وهو جمع وضم ينافي الانفتاح والتفريج؛ ولهذا يقال للعظام ونحوها من الأجسام: منها أجوف، ومنها مصمت»(٢).

---

(١) تفسير سورة الإخلاص ص: (٣٥، ٥٢)، **وانظر**: ص: (٣٥ ـ ٦٠)، فقد أطال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في نقل أقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة وأهل اللغة بألفاظها وبعضها بأسانيدها.

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/٤٦٣ ـ ٤٦٦)، **وانظر**: (١/٢٧٣ ـ ٢٨١) (٤/٩٨ ـ ٩٩)، شرح حديث النزول ص: (١١٥ ـ ١١٧)، جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٧٥ ـ ١٧٦)، الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص: (٢٤٨ ـ ٢٤٩)، الرسالة الأكملية ص: (٨)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/١٨٦)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/١٤٩ ـ ١٥٠)، التدمرية ص: (١٤٢)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/٥٤٣ ـ ٥٤٤).

كما أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ إضافة إلى المعاني السابقة من معاني اسمي الجلال «الأحد» و«الصمد»، إلى دلالة هذين الاسمين على ما ورد في آخر سورة الإخلاص؛ من أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يلد ولم يولد، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «ودلّ قوله: «الأحد الصمد» على أنه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، فإن «الصَّمَدَ» هو الذي لا جوف له ولا أحشاءَ؛ فلا يدخل فيه شيءٌ؛ فلا يأكل ولا يشرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وفي قراءة الأعمش[(١)] وغيره: ولا يَطْعَم ـ بالفتح ـ[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، ومن مخلوقاته الملائكة، وهم صمد؛ لا يأكلون ولا يشربون، فالخالق لهم عَزَّ وَجَلَّ أحق بكل غِنًى وكمالٍ جعله لبعض مخلوقاته؛ فلهذا فَسَّرَ بعضُ السلفِ الصَّمَدَ بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمدُ المصمد الذي لا جوف له، فلا يخرج منه عين من الأعيان؛ فلا يلد.

ولذلك قال من قال من السلف[(٣)]: «هو الذي لا يخرج منه شيءٌ»... كلام صحيح، بمعنى: أنه لا يفارقه شيءٌ منه؛ ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد، وذلك أن الولادةَ والتولُّدَ، وكل ما يكون من هذه الألفاظ، لا يكون إلا من أصلين، وما كان من المتولد عينًا قائمةً بنفسها، فلا بد لها من مادة

---

(١) سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم، الكوفي الإمام الحافظ، شيخ المقرئين والمحدثين، رأى أنس بن مالك وروى عنه، فهو من صغار التابعين، توفي سنة: ١٤٨هـ.

انظر ترجمته في: الجرح والتعديل: (٤/ ١٤٦)، سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٢٦)، تهذيب التهذيب: (٢/ ١٠٩).

(٢) **انظر**: قاعدة شريفة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، ضمن جامع المسائل: (١/ ١١١ ـ ١١٢)، زاد المسير في علم التفسير ص: (٤٢٨)، البحر المحيط لأبي حيان: (٤/ ٩٠).

(٣) هذا التفسير محكي عن عكرمة، **انظر**: جامع البيان: (٣٠/ ٣٤٥).

تخرج منها، وما كان عرضًا قائمًا بغيره، فلا بد له من محلّ يقوم به، فالأول نفاه بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾؛ فإن **الأحد** هو الذي لا كفؤ له ولا نظير، فيمتنع أن تكون له صاحبة، والتولّد إنما يكون بين شيئين؛ قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ فنفى سبحانه الولدَ بامتناع لازمه عليه؛ فإن **انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم**، وبأنه خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، ليس فيه شيء مولود له.

والثاني: نفاه بكونه سبحانه «الصمد»، وهذا المتولّد من أصلين يكون بجزأين ينفصلان منَ الأصلينِ؛ كتولّد الحيوان من أبيه وأمه بالمَنِيِّ الذي ينفصل من أبيه وأمه، فهذا التولّد يفتقر إلى أصلٍ آخر، وإلى أن يخرج منهما شيءٌ، وكل ذلك ممتنعٌ في حق الله تعالى، فإنه أحد؛ فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيرًا، وهو صَمدٌ؛ لا يخرج منه شيء، فكل واحد من كونه أحدًا، ومن كونه صمدًا، يمنع أن يكون والدًا، ويمنع أن يكون مولودًا بطريق الأولى والأحرى.

وكما أن التوالد في الحيوان لا يكون إلا من أصلين، سواء كان الأصلان من جنس الولد؛ وهو الحيوان المتوالد، أو من غير جنسه؛ وهو المتولّد، فكذلك في غير الحيوان؛ كالنّار المتولدة من الزندين، سواء كانا خشبتين، أو كانا حجرًا وحديدًا أو غير ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿فَالْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧١ ـ ٧٣]»[١].

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ مقررًا انتظام هذين الاسمين لأصول التوحيد والإيمان، وما يستوجبانه من إخلاص الدين لله، والاستسلام له وحده، واستلزامِهما لجميع معاني بقية أسماء الله الحسنى ـ: «وقد قدمنا أن كلا النوعين[٢] يوجب

(١) تفسير سورة الإخلاص ص: (٦٤ ـ ٦٦)، **وانظر**: ص: (٢٣٢ ـ ٢٣٣)، بيان تلبيس الجهمية: (٤/٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٢) يقصد: نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

اختصاصَ الربِّ ﷻ بأنه «الأحد» وبأنه «الصمد»، فإن كونه «أحدًا» يوجب أن لا يُشرك به في العبادة ولا الاستعانة؛ فلا يُدعى غيره، والاسم: «الصمد» جاء معرفًا؛ ليُبين أنه هو الصمد الذي يستحق أن يصمد إليه بكلا نوعَيِ الصمد، وهذان الاسمان لم يذكرا في القرآن إلا في هذه السورة التي قد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنها تعدل ثلث القرآن؛ مثل ما روي عن أبي سعيد الخدري[1] قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَن يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟!**)، فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟! قال: (**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**)، رواه البخاري[2]...»[3].

«... وقد قال من قال من العلماء[4]: «هي ثلث القرآن؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام: قسمٌ توحيدٌ، وقسمٌ قصصٌ، وقسمٌ أمرٌ ونهيٌ، وهذه فيها التوحيد»، وهذا الذي قاله إنما يتم إذا كانت جامعةً للتوحيد، والأمر كذلك؛ فإن هذين الاسمين يستلزمان سائر أسماء الله الحسنى، وما فيها من التوحيد كله قولًا وعملًا، والنبي ﷺ ذكر هذين الاسمين؛ فقال: (**اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ تَعْدِلَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**)[5]؛ وذلك أن كونه أحدًا وكونه الصمد، يتضمن أنه الذي يقصده كل شيء لذاته ولما يطلب منه، وأنه مستغنٍ بنفسه

---

(١) سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الخدري الخزرجي الأنصاري، أحد أئمة الصحابة الفقهاء المجتهدين، مفتي المدينة، وأحد المكثرين من الرواية، توفي سنة: ٧٣هـ.
انظر ترجمته في: أسد الغابة: (٢/ ٢٨٩)، سير أعلام النبلاء: (٣/ ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، برقم: (٥٠١٥).

(٣) أفاض شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر الأدلة التي تدل على فضل سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، وقد آثرت عدم ذكرها اختصارًا، ويكفي في بيان ذلك حديث البخاري الذي أورده.

(٤) نقله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسندًا عن أبي العباس بن سريج، **انظر**: جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٣٣).

(٥) هذه الرواية أخرجها ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، برقم: (٣٧٨٩).

عن كل شيء، وأنه بحيث لا يجوز عليه التفرق والفناء، وأنه لا نظير له في شيء من صفاته، ونحو ذلك مما ينافي الصمدية، وهذا يوجب أن يكون حيًّا، عالمًا، قديرًا، ملكًا، قدوسًا، سلامًا، مهيمنًا، عزيزًا، جبارًا، متكبرًا»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «فاسمُهُ: «الأحد» مَنَعَ التشبيهَ الممتنع عليه، واسمُهُ: «الصمد» منع الانقسام والتركيب الممتنع عليه؛ ولكن هؤلاء النفاة غَلَوْا في ذلك، وتعدَّوْا حدودَ الله فيه، فزادوا على الحق من الباطل شيئًا كثيرًا، كما أن من المُثبتةِ مَن غلا في الإثبات، وتعدى حدود الله حتى زاد على إثبات الحق زيادات باطلة، والله يهدينا الصراط المستقيم، وليس هذا موضع الشرح والبسط لما تضمنته هذه السورة العظيمة من أصول التوحيد والإيمان؛ فإنها كثيرة عظيمة؛ إذ «الأحدية» و«الصمدية» ينتظمان أصول التوحيد والإيمان والدين، فأسماء الله وصفاته من دينه؛ إذ دينه الحق يتبع ما هو عليه سبحانه في نفسه.

ولما كان الدين عند الله هو الإسلامَ، والإسلامُ هو الاستسلامُ لله وحده، وله ضدان: الإشراك والاستكبار، فالمستكبر استكبر عن الإسلام له، والمشرك استسلم لغيره، وإن كان قد استسلم له، فمعنى «الأحد» يوجب الإخلاصَ لله المنافِيَ للشرك، ومعنى «الصمد» يوجب الاستسلامَ لله وحده المنافِيَ للاستكبارِ؛ فإن «الصمد» يتضمن صمود كل شيء إليه، وفقره إليه.

وأيضًا: فدين الله واحد لا تفرق فيه، و«الصمد» يناسب اجتماعه، فالله ﷻ هو الإلـٰه الواحد، ودينه واحد، وعباده المؤمنون مجتمعون يعتصمون بحبله غير مفترقين، واسمه «الأحد» يقتضي التوحيد، والصمد يقتضي الاجتماع وعدم التفرق، فإن «الصمد» فيه معنى الاجتماع وعدم التفريق، والتوحيد أبدًا قرين الاجتماع؛ لأن الاجتماع فيه الوحدة، والتفرق لا بد فيه من التثنية والتعدد، كما أن الإشراك مقرون بالتفرق؛ قال تعالى:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٤/٥٣٩ ـ ٥٤٢) بتصرف بالحذف فقط.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢]؛ ولهذا كان شعار الطائفة الناجية هو السُّنَّة والجماعة، دون البدعة والفرقة، فإن أصل توحيد الله عبادته وحده لا شريك له، وأصل البدع: الإشراك بالله شركًا أصغر أو أكبر»(١).

وفي خلاصة جامعة لمعاني هذين الاسمين الجليلين، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فظهر أن اسمه «الأحد» يُوجب تنزيهه عمَّا يجب نفيه عنه؛ من التشبيه ومماثلة غيره له في شيء من الأشياء، واسمه «الصمد» يُوجب تنزيهه عما يجب نفيه؛ من الانقسام والتفرق ونحو ذلك، مما ينافي كمال صمديته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا»(٢).

ثانيًا: رَدُّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ على المفاهيم الخاطئة حول هذه الأسماء:

من جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ المتعلقة بشرح هذه الأسماء وبيان معانيها ـ: التصدي لما وقع فيه العديد ممن ضل من الطوائف المنحرفة في هذا الباب؛ من تحريف معاني هذه الأسماء، أو الاستدلال بها على مذاهبهم الباطلة، وقد كانت لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ جهودٌ بارزة في كشف أباطيلهم والردّ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٤/٢٢٣ ـ ٢٢٥)، **وانظر**: (٢/٣٩٢)، التدمرية ص: (١٤٢)، التسعينية: (٣/٨٠٢).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/٤٦٦)، **وانظر**: (٣/٤٨٧)، (٤/٨٢، ٢٢٣، ٥٣٩ ـ ٥٤٢)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١/٥٤) (٢/٣٥١، ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ٥٤٣ ـ ٥٤٤)، الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص: (٢٤٨ ـ ٢٤٩)، جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٣٦، ١٧٥)، شرح حديث النزول ص: (٧٨، ٢٤٧)، مجموع الفتاوى: (٨/٤٢)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/١٨٦ ـ ١٨٧، ٥٢٩ ـ ٥٣٠)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/١٤٩)، الرد على المنطقيين ص: (٣٤٦)، اقتضاء الصراط المستقيم: (٢/٧٩٦).

عليها، وخاصة فيما يتعلق باسم الجلال: «الواحد» و«الأحد»؛ إذ إن النفاة عمومًا ـ وهم أغلب خصوم أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ـ أَصَّلُوا لمذهبهم في النفي أصولًا باطلة، أرادوا أن يستدلوا لها من النصوص الشرعية؛ ومن ذلك مفهوم التوحيد الذي أخذوه ـ بزعمهم ـ من اسمَي الله تعالى: «الواحد» و«الأحد»، وفي بيان ذلك وكشف عواره يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:

«وهؤلاء يفسرون التوحيد واسم الله الواحد في أصول دينهم بثلاثة معان، وليس في شيء منها التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ثم يختلفون في تحقيق تلك المعاني اختلافًا عظيمًا؛ فيقولون في اسم الله «الواحد» «الأحد» له ثلاثة معان[(١)]:

. . .**أحدها**: أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب، وربما قال بعضهم: هذا تفسير الاسم «الأحد»، وهذه الوحدانية هي التي ذكروها هنا، إذ ليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلٰهين اثنين، ونحو ذلك مما يقول نحوًا منه النصارى والمشركون؛ فإن هذا مما لا ينازعهم فيه المسلمون، وهو حق لا ريب فيه، وكذلك كان علماء السلف ينفون التبعيض عن الله بهذا المعنى، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يُشهد ولا يُرى منه شيء دون شيء، ولا يُدرك منه شيء دون شيء، ولا يُعلم منه شيء دون شيء، ولا يمكن أن يشار إلى شيء منه دون شيء، بحيث إنه ليس له في نفسه حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء، أو يُرِي عباده منها شيئًا دون شيء، بحيث إذا تجلى لعباده يُرِيهم من نفسه المقدسة ما شاء، فإن ذلك غير ممكن عندهم، ولا يتصور عندهم أن يكون العباد محجوبين عنه بحجاب منفصل عنهم يمنع أبصارَهم رؤيته؛ فإن

(١) التسعينية: (٣/ ٧٤٨)، وبعده ينقل شيخ الإسلام كلامًا لأبي المعالي الجويني في إرشاده في بيان معاني الوحدانية من اسم الله: «الواحد»، ويستطرد في الردّ عليه، إلى أن يعود إلى بيان المعاني الثلاثة التي أشار إليها بداية من: (٣/ ٧٨٠).

الحجاب لا يحجب إلا ما هو جسم منقسم، ولا يُتصور عندهم أن الله يكشف عن وجهه الحجاب ليراه المؤمنون، ولا أن يكون على وجهه حجابٌ أصلًا، ولا أن يكون بحيث يلقاه العبد، أو يصل إليه، أو يدنو منه، أو يَقرَبُ إليه في الحقيقة، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم؛ إذ كل ما ثبت له ذلك، كان جسمًا منقسمًا مركبًا، والباري منزه عندهم عن هذه المعاني.

والمعنى الثاني من معاني الواحد ـ عندهم ـ: هو الذي لا شبيه له، وهذه الكلمة أقرب إلى الإسلام، لكن أجملوها فجعلوا نفيَ الصفاتِ أو بعضِها داخلًا في نفي التشبيه، واضطربوا في ذلك على درجات لا تنضبط، والمعتزلة تزعم أن نفي العلم والقدرة وغير ذلك من التوحيد ونفي التشبيه والتجسيم، والصفاتية تقول: ليس ذلك من التوحيد ونفي التجسيم والتشبيه، ثم هؤلاء مضطربون فيما ينفونه من ذلك؛ لكن وافقوا[(١)] أولئك على أن ما نفوه من التشبيه، وما نفوه من المعنى الذي سَمَّوْه تجسيمًا هو التوحيد الذي لا يتم الدين إلا به، وهو أصل الدين عندهم...[(٢)].

... **والمعنى الثالث** من معاني التوحيد عند هؤلاء الأشعرية ـ كالقاضي أبي بكر وغيره ـ: هو أنه سبحانه لا شريك له في الملك؛ بل هو ربُّ كلِّ شيء وهذا معنى صحيح، وهو حَقٌّ، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم؛ حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومُرَبِّيهِ ومدبره، والمعتزلة وغيرهم يخالفوهم في ذلك، حيث يجعلون بعض المخلوقات لم يخلقها الله ولم يحدثها؛ لكن مع هذا قد ردوا قولهم ببدع غَلَوْا فيها، وأنكروا ما خلقه الله من الأسباب، وأنكروا ما نطق به الكتاب والسُّنَّة من أن الله يخلق الأشياء بعضها ببعض، وغير ذلك مما ليس هذا موضعه.

---

(١) ساقطة من المطبوع، وأثبتها من طبعة الفتاوى الكبرى: (٥/ ٢٤٣) (ط المعرفة).

(٢) ثم استطرد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في الرد على هذين المعنيين إلى: (٣/ ٧٩٦)، وسيأتي الرد عليهم؛ لكن المقصود هنا بيان المعاني الثلاثة للتوحيد عند النفاة.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي يقولون: إنها معنى اسم الله «الواحد»، وهي التوحيد، وفيها من البدع التي خولف بها الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، ما قد نبهنا على بعضه»(١).

ثم شرع رَحِمَهُ اللهُ في الردّ على ما في هذا الكلام من الباطل، مع التنبيه على بعض الحق الذي فيه، وهذا من إنصافه وعدله ـ كما هو شأنه دائمًا ـ رَحِمَهُ اللهُ ودقة منهجه في الردّ على الخصوم؛ فقد فنّد باطلهم هذا في هذا الموضع وغيره من مؤلفاته، من جهة الشرع والعقل واللغة؛ وذلك حين قال رَحِمَهُ اللهُ: «إن ما فسّر به هؤلاء اسم «الواحد» من هذه التفاسير التي لا أصل لها في الكتاب والسُّنَّة وكلام السلف والأئمة ـ: باطلٌ بلا ريب شرعًا وعقلًا ولغةً»(٢).

ثم شرع رَحِمَهُ اللهُ في بيان أوجه بطلان هذه المعاني التي ادَّعَوْها؛ وذلك ببيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الأنبياء والرسل، وأنزلت به الكتب، وحقيقة الشرك الذي نهت عنه ـ: فقال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه، وأنزل به كتبه، وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة، فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إلـه إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما بيّن ذلك بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فأخبر أن الإلـه إلـه واحد، لا يجوز أن يتخذ إلـهًا غيره، فلا يعبد إلا إياه... والشرك الذي ذكره في كتابه إنما هو عبادة غيره من المخلوقات؛ كعبادة الملائكة، أوِ الكواكب، أوِ الشمس، أوِ القمر، أوِ الأنبياء، أو تماثيلهم، أو قبورهم، أو غيرهم من الآدميين، ونحو ذلك مما هو كثير في هؤلاء الجهمية ونحوهم، ممن يزعم أنه محقق في التوحيد، وهو من أعظم الناس إشراكًا، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) التسعينية: (٣/٧٤٧، ٧٨٠ ـ ٧٨١، ٧٩٦ ـ ٧٩٧). بتصرف بالحذف فقط، **وانظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٧/١٢٢ ـ ١٢٧)، بيان تلبيس الجهمية: (٣/١١٥ ـ ١٣٠).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/١٤٦).

إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦]»[(١)].

كما ردّ عليهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ؛ ببيان أن هذا التوحيد الذي ادَّعَوْهُ ليس مما دعا إليه الرسول ﷺ ولا أصحابه، فقال: «وكل من سمع ما جاءت به الرسل يعلم بالاضطرار أن هذه الأمور ليست مما بعث الله به رسوله، ولم يكنِ الرسولُ يُعَلِّمُ أمته هذه الأمورَ، ولا كان أصحاب رسول الله ﷺ عليها، فكيف يكون هذا التوحيد ـ الذي هو أصل الدين ـ لم يدع إليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون؟! بل يعلم بالاضطرار أن الذي جاء به الرسول من الكتاب والسُّنَّة يخالف هذا المعنى الذي سماه هؤلاء الجهمية توحيدًا، ولهذا ما زال سلف الأمة وأئمتها ينكرون ذلك»[(٢)].

ومنَ الردّ التفصيليِّ على المعنى الأول من معاني أسماء الجلال: «الواحد» و«الأحد» و«الصمد» عندهم بأنه الذي لا ينقسم ـ يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ومن عجيب ما يحتجون به، أنهم يقولون: لو كان متصفًا بذلك، لكان جسمًا، ولو كان جسمًا، لكان منقسمًا، والمنقسم ليس بواحد، والله قد أخبر أنه واحد، مع أنه لا يوجد في لغة العرب؛ بل ولا غيرهم من الأمم ـ: استعمالُ «الواحد» «الأحد» و«التوحيد» إلا فيما يسمونه هم جسمًا ومنقسمًا؛ كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ [النساء: ١١]، . . .[(٣)]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

---

(١) التسعينية: (٣/ ٧٩٧ ـ ٧٩٨). (٢) التسعينية: (٣/ ٧٨٢).

(٣) ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ خمسة عشر شاهدًا على ما ذكره من إطلاق الواحد والأحد على ما هو جسم، اكتفيت بذكر ثلاثة منها؛ لدلالتها على نفس المعنى.

والعرب وغيرهم من الأمم يقولون: رجلٌ، ورجلان اثنان، وثلاثة رجال، وفرس واحد، وجَمَلٌ واحد، ودرهمٌ واحد، وثوبٌ واحد، ورأسٌ واحد، وذكرٌ واحد، وأميرٌ واحد، وملكٌ واحد، ومسكنٌ واحد، وسيِّدٌ واحد، وأمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى.

فلفظ «الواحد» وما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم ـ: لا يطلق إلا على ما يسمونه هم جسمًا منقسمًا؛ لأن ما لا يسمونه هم جسمًا منقسمًا ليس هو شيئًا يعقله الناس، ولا يعلمون وجوده حتى يعبِّروا عنه؛ بل عقول الناس وفِطَرهم مجبولة على إنكاره ونفيه، فلو قُدِّرَ وجود هذا في الخارج أو إمكان وجوده، لاحتيج بعد ذلك إلى أن يثبت لفظ «الواحد» في لغة العرب يعبِّرون بها عنه، إذ ليس كل ما وجد أو أمكن وجوده، يجب أن يتصوره أهل اللغة، ويكون داخلًا فيما عبَّروا عنه من لغتهم.

وإذا قُدِّرَ أن أهل اللغة عبَّروا بلفظ «الواحد» و«الأحد» في لغتهم عن هذا، لم يجز أن يُقال: إن لفظ الواحد في لغتهم لا يقع إلا عليه؛ لما ذكرناه من أن لفظ «الواحد» وما اشتق منه إنما عُرِفَ واشتهر استعماله في اللغة فيما يجعلونه هم جسمًا منقسمًا، وذلك ليس بواحد عندهم، فَمُسَمَّى الواحد عندهم منتفٍ في اللغة، وإن قُدِّرَ وجوده، لكان نادرًا في اللغة.

والغالب المشهور في اللغة أن اسم «الواحد» يتناول ما ليس هو الواحد في اصطلاحهم، وإذا كان كذلك، لم يجز أن يحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، ونحو ذلك مما أنزله الله بلغة العرب، وأخبرنا فيه أنه أحد، وأنه إلـٰه واحدٌ، على أن المراد ما سَمَّوْهُ هم في اصطلاحهم واحدًا مما ليس معروفًا في لغة العرب؛ بل إذا قال القائل: دَلالةُ القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر، كان قد قال الحق؛ فإن القرآن نزل بلغة العرب، وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان قديمًا بنفسه، متصفًا بالصفات، مباينًا لغيره، مشارًا إليه.

وما لم يكن مشارًا إليه أصلًا، ولا مباينًا لغيره، ولا مداخلًا له،

فالعرب لا تسميه واحدًا ولا أحدًا؛ بل ولا تعرفه، فيكون الاسم «الواحد» و«الأحد» دلَّ على نقيض مطلوبهم منه، لا على مطلوبهم.

يؤيد هذا أنهم يقولون: اللفظ المشهور في اللغة الذي يتداوله الخاصُّ والعامُّ، لا يجوز أن يكون موضوعًا بإزاء المعنى الدقيق الذي لا يفهمه إلا خواصُّ الناس، وهذا مما استدل به نفاة الأحوال على مثبتيها، وقالوا: المعروفُ في اللغة أن الحركة هي كونُ الجسمِ متحركًا، وأما ما يدّعونه من أن الحركة أمر يوجب كون الجسم متحركًا، فهذا المعنى لا يفهمه إلا الخاصَّةُ، فضلًا عن أن يعلموا أن لفظ «الحركة» موضوعٌ له.

ولفظ الحركة لفظٌ مشهور يتداوله الخاصَّةُ والعامَّةُ، فلا يجوز أن يكون مفهومه ما لا يتصوره المتخاطبون به، وهذا بعينه يقال لهؤلاء النفاة الذين يسمون نفيهم توحيدًا، فيقال: هذا الواحد الذي تثبتونه؛ وهو أنه لا يشار إليه، ولا يتميز منه شيءٌ عن شيءٍ ونحو ذلك ـ: أمرٌ لا يتصوره إلا بعض الناس؛ بل قليل منهم، والذين تصوّروه تنازعوا في إمكان وجوده في الخارج؛ فمنهم من قال: وجود هذا في الخارج ممتنع، وإذا كان كذلك ـ ولفظ «الواحد» مشهورٌ في اللغات كلها، أشهر من لفظ «الحركة» ـ فلا يجوز أن يكون مسمَّى هذا الاسمِ في اللغة المعروفة معنًى لا يتصوره إلا قليلٌ منَ الناس، وهم متنازعون في إمكان ثبوته في الخارج، وإذا لم يكن هذا المعنى هو المرادَ بلفظِ «الواحد» و«الأحد»، لم يجز الاستدلال بالسمع الوارد بلغة العرب على هذا.

ولو قيل: إنه يجوز استعمال لفظ «الواحد» في لغتهم في هذا المعنى إما بطريق المجاز، والاشتراك، أو التواطؤ:

قيل: هَبْ أنه يجوز لمن بعدهم أن يستعمل ذلك، لكن نحن نعلم أنهم لم يستعملوه في ذلك؛ لأنهم لم يكونوا يثبتون هذا المعنى، وبتقدير أن يكون مستعمَلًا في هذا وهذا، فإنه يكون دَالًّا على ما به الاشتراك، فلا يدل على ما يمتاز به أحدهما عن الآخر؛ فلا يدل على محل النزاع، ولو قدِّر

أنه حقيقة في أحدهما، مجاز في الآخر؛ لكان حقيقة في المعنى الذي يسبق إلى أفهام الناس عند الإطلاق، وهو المعروف. ولو قدِّر أنه مشترك اشتراكًا لفظيًّا، لم يجز تعيين محل النزاع إلا بقرينة تدل على تعيينه، والقرائن اللفظية إنما تدل على نقيض قولهم؛ لا على عين قولهم، فإنه ليس في الكتاب إثبات واحد بالمعنى الذي ادّعوه، فضلًا عن أن يكون الله موصوفًا به.

وهذا «الواحد» الذي يثبته هؤلاء من جنس الأحوال التي يثبتها أولئك، ومن جنس الشيء المعدوم الذي يثبته من يقول: المعدومُ شيءٌ، ومن جنس الكليّات والمجردات؛ كالعقول والمادة والصورة العقلية التي يثبتها الفلاسفة، فهؤلاء يُثبِتون في الخارج ما لا وجود له في الخارج، لكن مثبتة الأحوال أعقل؛ ولهذا كان فيهم من هو من أهل الإثبات، فإنهم عرفوا أنها ليست موجودة في الخارج، لكن تناقضوا؛ حيث قالوا: لا موجودة ولا معدومة، فصاروا مشابهين للقرامطة الباطنية المتفلسفة الذين يقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حيٌّ ولا مَيِّتٌ، ومن قال: المعدوم شيء، وهو ثابت وليس بموجود، يشبه المتفلسفة الذين جعلوا الكليات المجردات أمورًا موجودةً في الخارج؛ لكن تناقضوا؛ حيث فرّقوا بين الوجود والثبوت.

والمقصود: أن كل هؤلاء يجمعهم إثبات أمور يدعون أنها موجودة في الخارج، وهي لا يتصورها إلا طائفة قليلة من الناس، فضلًا عن أن تكون الألفاظُ المعروفةُ المشهورةُ في اللغة دالَّةً عليها، ولا ريبَ أنهم أخطئوا في المعاني المعقولة، ثم في مدلول الألفاظ المسموعة.

فتبيّن لك أن قولَهُم يتضمَّنُ من الفِريةِ على اللغة والعقل، من جنس ما تضمن من الفرية على الشرع، وأنهم لا يمكنهم أن يقولوا: إن الشرع دلّ على قولهم بوجه من الوجوه، لا بطريق الحقيقة، ولا بطريق المجاز.

فإذا أريد بيان انتفاء دَلالةِ النصِّ على ما ادَّعَوْهُ من مسمَّى الواحد، كان هنا طرق:

أحدهـا: أن هذا اللفظ لم يستعمل إلا فيما نَفَوْهُ دون ما أثبتوه.

الثاني: أن نبيّن انتفاءَ ما أثبتوه في الخارج، وحينئذ فلا يكون كلام الله دَالًّا على وجود ما ليس بموجود.

الثالث: أن ما يذكرونه لا يتصوره عامَّةُ الناس، لا العربُ ولا غيرهم، فلا يكون اللفظ موضوعًا له ودالًّا عليه، وإن كان له وجود، ولا يقال: هو بتقدير وجوده يشمَلُه لفظُ: «الواحد»؛ لما تقدم من أن اللفظ المشهور بين الخاصِّ والعامِّ لا يكون مسمَّاهُ مما لا يتصوَّرُهُ إلا الخاصَّةُ.

الرابع: أنه بتقدير شموله لما أثبتوه وما نفوه، فلا ريبَ أن شموله لما نفوه أظهرُ؛ إذ لم يُعرَفِ استعمالُهُ في ذلك، فلا يمكنهم دعوى اختصاصِ معنَى الواحد بما ادَّعَوْهُ.

الخامس: أنه ـ بتقدير عمومه وكونه متواطئًا ـ إنما يدل على القدر المشترك، لا على خصوص ما أثبتوه.

السادس: أنه بتقدير كون أحدهما مجازًا، فالحقيقة هي ما نفوه دون ما أثبتوه؛ لأنه المعنى الذي يسبق إلى أفهام المخاطبين.

السابع: أنه بتقدير الاشتراكِ اللفظيِّ لا يجوز إرادة ما ادّعوه إلا بقرينة، ويكفينا في هذا المقام ألا نستدل به على أحدهما.

الثامن: أن من يستدل به على ما نفوه؛ لأن القرائن اللفظية المذكورة في القرآن تدل عليه؛ لأنه أثبت لهذا الواحد صفات متعددة، وأفعالًا متعددة، وتلك تستلزم ما نفوه لا ما أثبتوه.

التاسع: أن يقال: اسم «الأحد» لا يُستعمَلُ في حقِّ غيرِ اللهِ إلا مع الإضافة، أو في غير الموجب؛ كقوله: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]؛ فهو أبلغ في إثبات الوحدانية من اسم «الواحد»، ومع هذا، فلم يستعمل إلا فيما نفوه؛ في مثل قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وأمثاله، لا يعرف استعمال

«الأحد» فيما ادَّعَوْهُ، لا في النفي والإثبات[1]، فكيف اسم «الواحد»؟!

العاشر: أن القرآن أثبت الوحدانية في الإلـٰهية؛ بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، وقوله ـ حكاية عن المشركين ـ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وأمثال ذلك.

وأما كون القديم واحدًا، أو الواجب واحدًا، فهذا إنما يُعرف عن الجهمية من المتكلمين والفلاسفة؛ فإنهم قالوا: القديم واحد، وهو لفظ مُجمَلٌ، يُراد به: أن الإلـٰه القديم واحد، وهذا حقٌّ، ويُراد به أن مُسمَّى القديم واحد، ثم قالوا: لو أثبتنا له الصفات، لكان القديم أكثر من واحد.

وقالتِ جهميةُ الفلاسفةُ: الواجبُ واحدٌ، وهو مُجمَلٌ، يُراد به: الإلـٰه الواجب بذاته، وهذا حقٌّ، ويُراد به مسمّى الواجب، ثم قالوا: لو أثبتنا له الصفات، لتعدد الواجب.

ومعلوم أن التوحيد الذي في القرآن هو الأول لا هذا، وكذلك التوحيد الذي جاءت به السُّنَّة، واتفق عليه الأئمة، فتبيّن أن لفظ «التوحيد» و«الواحد» و«الأحد» في وضعهم واصطلاحهم غير «التوحيد» و«الواحد» و«الأحد» في القرآن والسُّنَّة والإجماع، وفي اللغة التي جاء بها القرآن، وحينئذ فلا يمكنهم الاستدلال بما جاء في كلام الله ورسله، وفي لفظ التوحيد على ما يدّعونه هم؛ لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه، لا بلغةٍ وعادةٍ واصطلاحٍ أحدثه قومٌ آخرون، بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ بل لفظ «التوحيد» و«الأحد» و«الواحد» الموجود في كلام الله ورسوله ـ: يَدُلُّ على نقيض قولهم، وأنه موصوف بالصفات الثبوتية؛ كما تقدم التنبيه عليه من أنه لا يُعرف مُسمَّى «الواحد» في لغة العرب إلا ما كان كذلك، ومن أن الله وصف هذا «الواحد» بالصفات الثبوتية، وسمّاه

---

(١) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «لا في النفي ولا في الإثبات»، والله أعلم.

بالأسماء المتضمنة للمعاني الثبوتية في غير موضع، فلو قُدِّر أن لفظ «الواحد» فيه اشتراك وإجمال، لكان ما بيّنه القرآن؛ من اتصافه بالصفات الثبوتية ـ: رافعًا للإجمال والاشتراك، موافقًا لقول أهل الإثبات دون النفاة»(١).

ومن ردوده على ما استدلوا به من اسم «الواحد» على نفي الصفات، وهو المعنى الثاني الذي ذكره للتوحيد عندهم ـ: أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما استدلالهم(٢) بما في القرآن؛ من تسمية الله «أحدًا» و«واحدًا» ـ: على نفي الصفات، الذي بنوه على نفي التجسيم.

فيقال لهم: ليس في كلام العرب ـ بل ولا عامة أهل اللغات ـ أن الذات الموصوفة بالصفات لا تُسَمَّى «واحدًا»، ولا تُسَمَّى «أحدًا» في النفي والإثبات؛ بل المنقول بالتواتر عن العرب تسميةُ الموصوفِ بالصفات «واحدًا» و«أحدًا»؛ حيث أطلقوا ذلك و«وحيدًا».

قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، وهو الوليد ابن المغيرة، وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ [النساء: ١١]، فسمَّاها واحدة، وهي امرأة واحدة متصفة بالصفات؛ بل جسم حامل للأعراض...

فإن كان لفظ «الأحد» لا يقال على ما قامت به الصفات؛ بل ولا على شيء من الأجسام التي تقوم بها الأعراض لأنها منقسمة، لم يكن في الوجود غير الله؛ من الملائكة والإنس والجن والبهائم ـ: من يدخل في لفظ «أحد»، بل لم يكن في الموجودين ما يقال عليه في النفي: إنه أحد، فإذا قيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، لم يكن هذا نفيًا لمكافأة الربّ إلا عمّن لا وجود له، ولم يكن في الموجودات ما أُخبر عنه بهذا الخطاب أنه ليس كفؤًا لله.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ١١٤ ـ ١٢٣)، بتصرف بالحذف فقط، **وانظر**: تفسير سورة الإخلاص ص: (٢٣٠ ـ ٢٣٤)، الرسالة الأكملية ص: (٤٦)، بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ١٤٦ ـ ١٥٢)، (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٦).

(٢) المراد: المتكلمون ومن وافقهم من النفاة عمومًا.

وكذلك قوله: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ فإنه إذا لم يكن الأحدُ إلا ما لا ينقسم، وكل مخلوق وجسمٌ منقسمٌ؛ لم يكن في المخلوق ما يدخل في مُسمَّى أحد، فيكون التقدير: ولا أشرك به ما لم يوجد، ولا يشرك بربه ما لا يوجد.

وإذا كان المرادُ النفيَ العامَّ، وأن كل موجود من الإنس والجن يدخل في مسمّى «أحد»، ويقال: إنه أحد الرجلين، ويقال للأنثى: إحدى المرأتين، ويقال للمرأة: واحدة، وللرجل: واحد، ووحيد ـ: عُلِم أن اللغة التي نزل بها القرآن، لفظ «الواحد» و«الأحد» فيها يتناول الموصوفات؛ بل يتناول الجسمَ الحاملَ للأعراض، ولم يُعرف أنهم أرادوا بهذا اللفظ ما لم يوصف أصلًا؛ بل ولا عُرف منهم أنهم لا يستعملونه إلا في غير الجسم؛ بل ليس في كلامهم ما يبين استعمالهم له في غير ما يسمّيه هؤلاء جسمًا، فكيف يُقال: لا يدل إلا على نقيض ذلك، ولم يُعرفِ استعمالُهُ إلا في النقيض ـ الذي أخرجوه منه ـ الوجوديّ، دون النقيض الذي خصوه به؛ وهو العدميُّ، وهل يكون في تبديل اللغة والقرآن أبلغ من هذا؟!

وكذلك اسمه «الصمد»، ليس في قول الصحابة: «إنه الذي لا جوف له»، ما يدل على أنه ليس بموصوف بالصفات؛ بل هو على إثبات الصفات أدلُّ منه على نفيها، من وجوه مبسوطة في غير هذا الموضع.

وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ونحو ذلك؛ فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه؛ بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسمًا بوجه من الوجوه»[(١)].

ويلاحظ على هذه الردود تداخُلُها في بعضها من بعض الجهات، وذلك لارتباط الكلام عنها بعضه ببعض، ولتداخُلِ الأصول التي بنى عليها النفاة مذهبهم الفاسد.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١/ ١١٣ ـ ١١٥)، وانظر: (٥/ ١٦٣)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦، ٥٨٩)، بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ١٦٥ ـ ٢١٩).

وفي خلاصة جيدة لهذه الردود يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذا «الواحد» الذي يثبتونه في العلم الإلٰهي والطبيعي والمنطقي، لا حقيقة له إلا في الذهن، ومن تصوّر هذا حقَّ التصوُّرِ، تبين له من غلط هؤلاء وضلالهم ما يطول وصفه، وتبين له أن ضلال هؤلاء في العقليات من جنس ضلالهم في السمعيات، وأنهم ـ كما أخبر تعالى عن أصحاب النار ـ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]»[(١)].

وحقيقة التوحيد الذي يدعونه إنما يستلزم العدمَ المحضَ والنفيَ الكليَّ لوجود الله عَزَّ وَجَلَّ، فضلًا عن اتصافه بصفات الكمال، وتسميته بأسماء الجلال[(٢)].

نكتفي بهذا القدر من بيان جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح أسماء الجلال: «الواحد» و«الأحد» و«الصمد»، وهذه الإطالة إنما تعود إلى وفرة المادة العلمية في بيان معاني هذه الأسماء، والردّ على المفاهيم الخاطئة الدائرة حولها، والذي وقف على ما وقفت عليه في مؤلفات شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الخصوص، يعلم أن ما ذكرته إنما هو نزر يسير بالنسبة إلى ما تركته واكتفيتُ بالإحالة إليه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثًا: تقريره لمعنى اسم الجلال: «الوتر»:

من الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية التي أثبتها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: اسم الجلال: «الوتر»، وقد سبق بيان دليل ثبوته، وفي تقرير شيء من معانيه ودلالته على الوحدانية؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء رده على النفاة من الفلاسفة القائلين بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ـ: «﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣]، وهؤلاء الصابئة قد أتوا بِمَثَلٍ؛ وهو قولهم: الواحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، وانظر: (٦/ ٦ ـ ٧).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ١٦٤)، (٤/ ٥٥٥).

لا يصدر عنه ويتولد عنه إلا واحد، والربُّ واحدٌ؛ فلا يصدر عنه إلا واحد؛ يتولد عنه، فأتى الله بالحقِّ وأَحسنَ تفسيرًا، وبيّن أن الواحد لا يصدر عنه شيءٌ، ولا يتولد عنه شيءٌ أصلًا، وأنه لم يتولد عنه شيءٌ، ولم يصدر عنه شيءٌ، ولكن خَلَقَ كلَّ شيء خَلْقًا، وأنه خلق من كل شيء زوجينِ اثنينِ، ولهذا قال مجاهدٌ وذكره البخاري في صحيحه[1] في ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]: إن الشفع هو الخلق، فكل مخلوق له نظير، والوتر هو الله الذي لا شبيه له؛ فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]»[2].

فبيّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال هذا النقل تطابُقَ دَلالةِ اسم الجلال: «الوتر» على الوحدانية، التي يدلّ عليها اسمه تعالى: «الواحد» و«الأحد»، وذلك يظهر جَلِيًّا حين استدلّ بالأثر الوارد عن الإمام مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾، والذي جاء فيه؛ من أن الوتر هو الله الواحد الأحد، الذي لا شبيه له ولا نظير، وهذا التفسير مطابق لما جاء في تفسير اسمي الجلال: «الواحد» و«الأحد».

۞ الفرع الثاني ۞

شرح أسماء الجلال: «الغَنِيّ»، و«الحميد»، و«المجيد»

نصّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند بيانه لصيغ ورود هذه الأسماء في النصوص ـ على أنها كثيرًا ما ترد مقترنة إما فيما بينها، أو مع أسماء أخرى[3]، ومما أفاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان بعض أوجه اقتران اسمي الجلال: «الغني» و«الحميد»، و«الكريم» ـ: أنْ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**)[4]، وفي القرآن: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

(١) كتاب التفسير، باب سورة الفجر.
(٢) نقض المنطق ص: (٩٣)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٤/ ١٣٠).
(٣) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى: (١/ ٦١ ـ ٦٢).
(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٢).

[النصر: ٣]، وقالتِ الملائكةُ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وهاتان الكلمتان إحداهما مقرونة بالتحميد، والأخرى بالتعظيم، فإنا قد ذكرنا أن التسبيح فيه نفي السوء والنقائص المتضمنُ إثباتَ المحاسنِ والكمالِ، والحمدُ إنما يكون على المحاسن، وقرن بين الحمد والتعظيم، كما قرن بين الجلال والإكرام؛ إذ ليس كل معظَّم محبوبًا محمودًا، ولا كل محبوب محمودًا معظمًا، وقد تقدم أن العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد، وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن، وفيها الذل له الناشئُ عن عظمته وكبريائه؛ ففيها إجلاله وإكرامه، وهو سبحانه المستحق للجلال والإكرام، فهو مستحق غاية الإجلال وغاية الإكرام.

ومن الناس من يَحسَبُ أن «الجلال» هو الصفات السلبية، و«الإكرام» الصفات الثبوتية؛ كما ذكر ذلك الرازيُّ ونحوُهُ، والتحقيقُ أن كِليهما صفات ثبوتية، **وإثبات الكمال يستلزم نفي النقائص**، لكن ذكر نوعي الثبوت؛ وهو ما يستحق أن يحب وما يستحق أن يعظم؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، وقول سليمان عليه السلام: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وكذلك قوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

فإن كثيرًا ممن يكون له الملك والغنى لا يكون محمودًا؛ بل مذمومًا؛ إذ الحمد يتضمن الإخبار عن المحمود بمحاسنه المحبوبة، فيتضمن إخبارًا بمحاسن المحبوب؛ محبةً له.

وكثير ممن له نصيب من الحمد والمحبة يكون فيه عجزٌ وضعفٌ وذلٌّ؛ ينفي العظمة والغنى والملك، فالأول يُهاب ويُخاف ولا يُحب، وهذا يُحب ويُحمد ولا يُهاب ولا يُخاف، والكمال اجتماع الوصفين؛ كما ورد في الأثر: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ رُزِقَ حَلَاوَةً وَمَهَابَةً»[١]، وفي نعت النبي ﷺ: (**مَنْ رَآهُ**

(١) تقدم الكلام على الأثر، **انظر**: ص: (٣٠٢).

بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ)(١):

فقرن التسبيح بالتحميد، وقرن التهليل بالتكبير؛ كما في كلمات الأذان، ثم إن كل واحد من النوعين يتضمن الآخر إذا أفرد؛ فإن التسبيح والتحميد يتضمن التعظيمَ، ويتضمن إثباتَ ما يُحمد عليه، وذلك يستلزم الإلـٰهية؛ فإن الإلـٰهية تتضمن كونه محبوبًا؛ بل تتضمن أنه لا يستحق كمال الحب إلا هو، **والحمد**: هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن يُحب، فالإلـٰهية تتضمن كمال الحمد؛ ولهذا كان «الحمد لله» مفتاح الخطاب، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم(٢)، و«سبحان الله» فيها إثبات عظمته كما قدمناه؛ ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]، وقد قال النبي ﷺ: **(اِجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ)**، رواه أهل السنن(٣)، وقال: **(أَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)**، رواه مسلم(٤)، فجعل التعظيم في الركوع أخصَّ منه بالسجود، والتسبيح يتضمن التعظيم.

ففي قوله: **(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)** إثباتُ تنزيهِهِ وتعظيمِهِ وإلهيتِهِ وحمدِهِ، وأما قوله: **(لا إلـٰه إلا الله والله أكبر)**، ففي «لا إلـٰه إلا الله» إثباتُ محامِدِهِ؛ فإنها كلها داخلة في إثبات إلـٰهيته، وفي قوله: «الله أكبر» إثباتُ عظمتِهِ؛ فإن الكبرياء تتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل.

ولهذا جاءتِ الألفاظُ المشروعةُ في الصلاة والأذان بقول: «الله أكبر»؛ فإن ذلك أكمل من قول: «الله أعظم»، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، عَذَّبْتُهُ)**(٥)، فجعل العظمةَ كالإزار، والكبرياءَ كالرداء،

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٢) يشير إلى حديث: **(كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ، فَهُوَ أَجْذَمُ)**، تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٣).

(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٣).

ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم، صرّح بلفظه، وتضمن ذلك التعظيم، وفي قوله: «سبحان الله» صرّح فيها بالتنزيه من السوء المتضمنِ للتعظيم، فصار كلٌّ من الكلمتين متضمنًا معنى الكلمتين الأُخريَينِ إذا أُفرِدَتا، وعند الاقتران تُعطى كل كلمة خاصيتها.

وهذا كما أن كل اسم من أسماء الله فإنه يستلزم معنى الآخر؛ فإنه يدل على الذات، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر؛ لكن هذا باللزوم، وأما دلالة كل اسم على خاصيته وعلى الذات بمجموعهما فبالمطابقة، ودلالتها على أحدهما بالتضمن:

فقول الداعي: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، يتضمن معنى الكلمات الأربع اللاتي هنّ أفضل الكلام بعد القرآن، وهذه الكلمات تتضمن معانِيَ أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، ففيها كمال المدح»[1].

وهذا الكلام نقلته بطوله مع أن المراد منه بيانُ وجه اقتران اسمَيِ الله ﷻ: «الغنيّ الحميد» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، وبين اسمي الله ﷻ: «الغني والكريم»؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]؛ لأن وجه الاقتران لا يتضح إلا بمجموع الكلام.

ومما أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من معاني اسم الله ﷻ «الغني» مستدلًّا له بما سبق إيراده من الآيات التي ورد فيها هذا الاسم ـ: ما ذكره أثناء كلامه عن العبد؛ مبينًا أنه لا حق له على الله تعالى بعبادته وعمله الذي يؤديه، وإنما هو حق أوجبه الله على نفسه، فالله غني عن العبد وعبادته، وقد «بيّن سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه، وأن الله غني عن الخلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ

(١) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٢٧ ـ ٣٢)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٤).

بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد بيّن سبحانه أنه المانّ بالعمل؛ فقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

وفي الحديث الصحيح الإلـهي: (**يَا عِبَادي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي، أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ من مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**)(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (٦٥١٧).

وبين الخالق تعالى والمخلوق من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة:

منها: أن الربّ تعالى غنيٌّ بنفسه عما سواه، ويمتنع أن يكون مفتقرًا إلى غيره بوجه من الوجوه، والملوك وسادة العبيد محتاجون إلى غيرهم حاجة ضرورية»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء ردّه على الجهمية والمعتزلة؛ الذين فرّوا من إثبات الحكمة والمحبة والإرادة عن الله تعالى؛ لأنها لا تتصور إلا في حق من يتألم ويتلذذ وينتفع ويتضرر، والله منزه عن ذلك كله بزعمهم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الردّ عليهم ـ: «إن أردتم أن ذلك يقتضي حاجته إلى العباد، وأنهم يضرونه أو ينفعونه، فهذا ليس بلازم؛ ولهذا كان الله منزهًا عن ذلك؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الإلـٰهي: (**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**)[2]، فالله أجلُّ من أن يحتاج إلى عباده لينفعوه، أو يخاف منهم أن يضرّوه، وإذا كان المخلوق العزيز لا يتمكن غيره من قهره، فمن له العزّة جميعًا، وكل عزّةٍ فمن عزّته، أبعد عن ذلك، وكذلك الحكيم المخلوق إذا كان لا يفعل بنفسه ما يضرها، فالخالق عَزَّ وَجَلَّ أولى أن لا يفعل ذلك لو كان ممكنًا، فكيف إذا كان ممتنعًا؟!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]؛ فقد بيّن أن العُصاةَ لا يضرّونه، ولا يظلمونه، كعصاة المخلوقين؛ فإن مماليك السيّد،

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (١٠٣ ـ ١٠٥)، وانظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٧١ ـ ٧٣)، رسالة في دخول الجنة، هل يدخل الجنة أحد بعمله؟ ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، بيان تلبيس الجهمية: (٢/ ٣٠١)، رسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة، ضمن مجموع الفتاوى: (١/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٢) جزء من الحديث السابق الذي تقدم تخريجه قريبًا.

وجند الملك، وأعوان الرجل وشركاءه، إذا عَصَوْهُ فيما يأمرهم ويطلبه منهم، فقد يحصل له بذلك ضررٌ في نفسِهِ، أو ماله، أو عرضه، أو غير ذلك، وقد يكون ذلك ظلمًا له، والله تعالى لا يقدر أحدٌ على أن يَضُرَّهُ ولا يظلمه، وإن كان الكافر على ربه ظهيرًا، فمظاهرته على ربه، ومعاداته له، ومشاقته ومحاربته، عادت عليه بضرره وظلمه لنفسه، وعقوبته في الدنيا والآخرة، وأما النفعُ، فهو سبحانه غنيٌّ عن الخلق، لا يستطيعون نفعه فينفعوه، فما أمرهم به إذا لم يفعلوه، لم يضروه بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [الزمر: ٧]»[١].

وقال أيضًا ـ في بيان لزوم وصفِ الغنيِّ في حقِّ الله ﷻ ووجوبه له بنفسه؛ لما له من أسماء الجلال وصفات العظمة والكمال ـ: «والصواب أن الأشياء مفتقرة إلى الخالق لذواتها، لا لأمرٍ آخَرَ جَعَلَها مفتقرة إليه؛ بل فقرها لازم لها، لا يمكن أن تكون غير مفتقرة إليه، كما أن غَنَاءَ الربِّ وصفٌ لازم له، لا يمكن أن يكون غير غَنِيٍّ، فهو غنيٌّ بنفسه لا بوصف جعله غَنِيًّا»[٢]، «والله سبحانه الغنيُّ بما له من الأسماء والصفات، وليس بمفتقرٍ إلى غيره بوجه من الوجوه»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ في نفس المعنى ـ: «وهو الغني عن خلقه، والعباد أعجَزُ من أن يبلغوا ضُرَّهُ فيضروه، ولا يبلغوا نفعه فينفعوه؛ من وجهين:

من جهة الأسماء والصفات: وهو الله سبحانه أحدٌ صَمَدٌ قَيُّومٌ، لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، ويمتنع عليه أضدادُ أسمائِهِ الحسنى التي وجبت له بنفسه.

---

(١) النبوات: (١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥).

(٢) رسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة، ضمن مجموع الفتاوى: (١/ ٤٦).

(٣) بيان تلبيس الجهمية: (٢/ ١٣٤).

ومن جهة القضاء والقدر: وهو أنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده، ولا حول ولا قوة إلا به؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به»[(١)].

ومما ذكره رحمه الله فيما يختص باسمي الجلال: «الحميد» و«المجيد» ـ: إشارته إلى أنه كثيرًا ما يربط بين معانيهما في النصوص، فلما كانت «أسماؤه تتضمن صفاته؛ ليست أسماءَ أعلامٍ محضةً؛ كاسمه: العليم، والقدير، والرحيم، والكريم، والمجيد، والسميع، والبصير، وسائر أسمائه الحسنى تبارك وتعالى»[(٢)]؛ فإن لشيخ الإسلام رحمه الله كلاماً كثيراً في بيان ما تضمنه اسْمَا الجلال: «الحميد» و«المجيد» من معاني الحمد والمجد اللَّذَيْنِ يقتضيهما هذان الاسمان، ومن أجمع تلك المواضع قوله رحمه الله: «فالله تعالى يحب الذين يحبونه؛ فهو المستحق أن يكون هو المحبوبَ المألوهَ المعبودَ وأن يكون غاية كلِّ حبٍّ، كيف وهو سبحانه الذي يحمد المعبود ويثني على نفسه ويحب الحمد من خلقه؟! كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (**لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ**)[(٣)]، وقال له الأسود بن سريع: يا رسول الله إني حَمَدتُّ ربي بمحامِدَ، فقال: (**إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الحَمْدَ**)[(٤)].

وفي الحديث الصحيح: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**)[(٥)]، وقد روي أنه كان يقول ذلك في آخر الوتر[(٦)]، فهو المثني على نفسِهِ، وهو كما أثنى على نفسه؛ إذ أفضل خَلقِهِ لا يُحصِي ثناءً عليه، **والثناء**: تكريرُ المحامدِ وتثنيتها؛ كما في الحديث

---

(١) قاعدة في الإخلاص، ضمن المجموعة العلية: (٢/ ٦٤)، **وانظر**: فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٧٣).

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/ ١٦٠)، وقد سبق بحث هذا الموضوع، **انظر**: ص: (٣٠٠) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٥).

(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٥).

(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٥).

(٦) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٥).

الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**إِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي**)(١).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع، قال: (**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْت، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)(٢)؛ فذكر الحمد والثناء والمجد هنا كما ذكره في أول الفاتحة، فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكريرها وتعديدها والزيادة في عددها، والمجد يقتضي تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها؛ فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يُحسِنُ أن يَحمَدَهُ كما يحمَدُ نفسَهُ، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجّده كما يمجّد نفسه؛ كما في حديث ابن عمر الذي في الصحيح، لمَّا قرأ النبيُّ ﷺ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ [الزمر: ٦٧]، قال: (**يَقْبِضُ اللهُ سَمٰوَاتِهِ بِيَدِهِ وَالأَرَضُونَ بِيَدِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يُمَجِّدُ نَفْسَهُ؛ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا القُدُّوسُ، أَنَا السَّلَامُ، أَنَا المُؤْمِنُ، أَنَا المُهَيْمِنُ، أَنَا العَزِيزُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، أَنَا الَّذِي أَعَدْتُهَا، أَيْنَ المُلُوكُ؟! أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟! أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟!**)(٣)، أو كما قال، وفي الحديث الآخر: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ وَاجِدٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ**)(٤)»(٥).

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦). (٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦).
(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦). (٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٦).
(٥) درء تعارض العقل والنقل: (٤/ ١٥ ـ ١٨)، **وانظر**: رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٦٥ ـ ٦٨)، الرسالة الأكملية ص: (٢٠)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ١٧٥)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، مجموع الفتاوى: (١١/ ١٣٣).

الفرع الثالث

شرح أسماء الجلال: «القدوس» و«السلام» و«السُّبّوح»

من الأسماء الحسنى الجامعة للتنزيه والتحميد، التي اعتنى شيخ الإسلام رحمه الله ببيان شيء من معانيها ـ: أسماء الجلال: «القدوس» و«السلام» و«السُّبوح».

وفي تقرير شيء من معاني أسماء الجلال هذه، وإيضاح دلالتها على تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص والعيوب ـ: يقول شيخ الإسلام رحمه الله ـ في مقدمة مجموع الفتاوى معدِّدًا جملة من أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العلى، ومنها ـ: «وهو القدوس السلام، المتنزِّهُ أن يماثِلَهُ شيءٌ في نعوت الكمال، أو يلحقه شيء من الآفات، فسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا»[1].

وقال رحمه الله ـ في إشارة إلى نفس المعنى ـ: «ولا ريب أن الله يجب تنزيهُهُ عن كل عيب ونقص وآفة؛ فإنه القدّوسُ السّلامُ، الصمدُ السيّدُ، الكاملُ في كل نعت من نعوت الكمال، كمالًا يُدْرِكُ[2] الخلقُ حقيقتَهُ، منزَّهٌ عن كل نقص، تنزيهًا لا يدرك الخلق كماله، وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص، فالخالقُ تعالى أحقُّ به وأكملُ فيه منه، وكل نقصٍ ينزه عنه مخلوقٌ، فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه»[3].

وقال رحمه الله ـ في موضع آخر، وهو يتحدث عن معاني الظلم، وما يجب تنزيه الله عز وجل عنه ـ: «له الملك والحَمدُ، فهو على كل شيء قدير، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو خالق كل شيء، وهو عادل في

(١) مجموع الفتاوى: (١/١)، **وانظر**: الردّ على الشاذلي في حزبيه ص: (٢١٤).

(٢) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «لا يدرك» والله أعلم.

(٣) أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ١٤٩)، **وانظر**: شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٧٤)، النبوات: (٢/ ٨٩٥)، درء تعارض العقل والنقل: (١/ ٢٩٨).

كل ما خلقه، واضعٌ للأشياء مواضِعَها، وهو قادر على أن يظلم؛ لكنه سبحانه منزَّهٌ عن ذلك لا يفعله؛ لأنه السَّلام القُدُّوس المستحِقُّ للتنزيهِ عن السوء، وهو سبحانه سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، يسبِّح له ما في السمٰوات والأرض، وسبحان الله كلمة ـ كما قال ميمون بن مهران(١) ـ: «هي كلمة يعظَّم بها الربُّ، ويُحاشَى بها منَ السوء»(٢)، وكذلك قال ابن عباس وغير واحد من السلف: إنها تنزيه الله من السوء(٣)»(٤).

فهذه النصوص فيها بيان لمعاني هذه الأسماء الثلاثة مجتمعة، ومما ذكره في معنى اسمه تعالى: «القدّوس» خصوصًا، قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو سبحانه: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴿٢٣﴾﴾، **والقدّوس** مأخوذ من التّقديس؛ وهو: التطهير، ومنه سُمِّيَ القدّوسُ قدّوسًا»(٥).

وفيما يخص اسم الجلال: «السّلام» قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في معرض بيانه لبعض أنواع الدعاء غير المشروع أو المنهي عنه أو عن صفته ـ: (ومثلما كانوا يقولون في أول الإسلام: السّلام على الله قِبَلَ عبادِهِ، فقال النبي ﷺ: **(إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ؛ فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ)**(٦).

---

(١) ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الرّقي، التابعي الإمام، عالم الجزيرة ومفتيها، نشأ بالكوفة ثم سكن الرقة، كان ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا البخاري، توفي سنة: ١١٩هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: (٢٩/ ٢١٠)، سير أعلام النبلاء: (٥/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١/ ٨١)، وأورده ابن كثير في تفسيره: (١/ ٧١)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير القرآن العظيم: (١/ ٨١)، وأورده ابن كثير في تفسيره: (١/ ٧١)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٦٩)، فقال: «وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والمحاملي في أماليه عن ابن عباس» فذكره.

(٤) رسالة في معنى كون الرب عادلًا وتنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

(٥) بيان تلبيس الجهمية: (٢/ ٥٣٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، برقم: (٨٣١). ومسلم في صحيحه، كتاب، الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم: (٨٩٥).

أشار بذلك إلى أن «السّلام» إنما يطلب لمن يحتاج إليه، والله هو «السلام»، فالسّلام يُطلَبُ منه لا يُطلَبُ له؛ بل يُثنَى عليه؛ فيقال: التحيات لله والصلوات والطيبات، فالحق سبحانه يُثنى عليه ويطلب منه، وأما المخلوق، فيطلب له، فيقال: السّلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين»[(١)].

۞ الفرع الرابع ۞

شرح أسماء الجلال: «الحيّ» «القيّوم»

من جهوده رَحِمَهُ اللَّهُ المفردة في هذين الاسمين الجليلين، تخصيصهما بالشرح في مؤلف خاص بعنوان: «فصل في معنى «الحي القيّوم»[(٢)]، وآخر بعنوان: «فصل في اسمه تعالى «القيّوم»[(٣)].

وقد سبق ـ في الفصل الثالث من هذا الباب ـ تخصيصُ مطلبٍ في بيان جهود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في تعيين الاسم الأعظم، والذي اختاره رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاسم الأعظم هو: «الحي القيّوم»[(٤)].

وهذا دليل على شرف هذين الاسمين لشرف ما دَلَّا عليه من المعاني الجليلة، وقد كانت لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ جهود حثيثة في تقرير تلك المعاني في العديد من المواضع من مؤلفاته، وسأحاول إبراز تلك الجهود من خلال النقاط التالية:

أولًا: تقريره رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذين الاسمين قد جمعا أصل معاني أسماء الله تعالى وصفاته:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «واسمه «الحي القيّوم» يجمع أصل معاني الأسماء

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

(٢) مطبوع ضمن جامع المسائل: (١/ ٣٥ ـ ٥٩).

(٣) مطبوع ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٥٩ ـ ١٧٦).

(٤) **انظر**: ص: (٣٧٣) من هذه الرسالة.

والصفات؛ كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقوله إذا اجتهد في الدعاء[(١)]»[(٢)].

ثانيًا: استلزام اسم الجلال: «الحيِّ» للعديدِ منَ الصفات والأفعال:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن الحركةَ مستلزمةٌ للإرادة والحياة، فالحياة أيضًا مستلزمةٌ للحركة والإرادة؛ ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالاسم: «الحي» مستلزمٌ لصفاته وأفعاله، وهو من أعظم البراهينِ العقليةِ على ثبوت صفات الكمال، والمصحِّح لها، والمستلزمِ ثبوتَها ونفيَ نقيضِها؛ كالعلم والكلام والسمع والبصر، وغير ذلك»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان اشتقاق اسم الجلال: «الحيّ» من صفة الكمال: «الحياة» في أثناء ردّه على من يقول بأن أسماء الله الحسنى لا تدل على الصفات المشتقة منها ـ: «قولهم[(٤)]: تجري مجرى أسماء، فإن أرادوا بذلك أسماء أعلام أو جامدة وسائرها صفات، **فاسم الحي والعالم اسم مشتق يدل على معنى العلم والحياة**، كما يدل القدير على القدرة، وإن أرادوا أنه يسمى بها؛ فللَّه تعالى أسماء كثيرة؛ فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى»[(٥)].

ثالثًا: تقريره لارتباط معنى «القيّوم» بمعنى «الحيّ»:

ارتباط معنى «القيّوم» الذي هو: القائم بنفسه المقيم لغيره، بمعنى «الحيّ» صاحبِ الحياةِ الكاملةِ التي لا يعتريها نقص من موت أو سِنَةٍ أو نوم

---

(١) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا كربه أمر قال: **(يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)**، تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٢).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٣).

(٣) قاعدة في المحبة، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٣٨٣).

(٤) **أي**: النصارى، وشيخ الإسلام أورد هذا الكلام في معرض رده عليهم في دعواهم أن الأقانيم التي يزعمونها صفات جوهرية تجري مجرى أسماء.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ١٧٤).

يؤكدُهُ شيخُ الإسلام في العديد من مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ومنها قوله ـ عندما بيّن أن طريقة القرآن الكريم وصفُ الله ﷻ بالصفات الثبوتية، ووصفه بالصفات السلبية المتضمنة للثبوت؛ ومن أمثلة ذلك: «قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾:

فنفيُ أَخذِ السِّنَةِ والنَّوم يتضمن كمال حياته وقيّوميته؛ إذ النَّوم أخو الموت؛ ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة، كما لا يموتون.

والقيُّومُ القائمُ المقيم لما سواه، فلو جعلت له سِنَة أو نوم، لنقصت حياته وقيّوميته؛ فلم يكن قائمًا ولا قيومًا، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل لما سألوا موسى: هل ينام ربك؟ فأرَّقَهُ ثلاثًا، ثم أعطاه قواريرَ، فأخذه النوم فتكسرت[1]، بيّن بهذا المثال أن خالق العالم لو نام لنفد العالم»[2].

رابعًا: تقريره رَحِمَهُ اللَّهُ لشيء من معاني اسم الجلال: «القيّوم»:

وفي خصوص اسم الجلال: «القيّوم» يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان تصريف هذا الاسم وارتباط ذلك بمعناه ـ: «قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١]، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره[3]: «الحيُّ القَيَّام»، و«القيّام» فَيْعَال، و«القيّوم»: فَيْعُول،

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٧/ ٣٣)، وذكر أنه أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني وابن مردويه والبيهقي والخطيب البغدادي، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم: (١٠٣٤)، وقال عنه: «منكر» ورجح أنه موقوف على عكرمة، وأنه من الإسرائيليات التي يجب عدم التصديق بها؛ لما فيها من نسبة موسى عليه السلام إلى الجهل بمثل هذه الصفات الواضحة في حق الله ﷻ.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ١٢٣)، **وانظر**: الاستقامة: (١/ ١٢٥)، مجموع الفتاوى: (٧/ ١٧٣).

(٣) أوردها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة نوح، معلقةً عن عمر بن الخطاب، وأوردها الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٨/ ٥٣٤)، موصولة من تخريج أبي عبيدة في فضائل القرآن، وابن أبي داود في المصاحف، **انظر**: المصاحف ص: (١٦٢ ـ ١٦٤، ١٧٤، ٢٢٤). =

وفَيْعَال من جنس فعَّال، وفَيْعُول من جنس فَعُول؛ لأن الحرف المُضَعَّف يعاقِبُ الحرفَ المعتلَّ؛ كقولهم: تقضَّى البازيّ، وتقضَّض.

والقيُّوم والقيَّام من قام يقوم؛ فهو معتلّ، فإن عينَهُ واوٌ؛ فلهذا قيل فيه: فَيْعال وفَيْعُول، ولو لم يكن في ألفاظه حرفٌ معتلٌّ لا ياء ولا واو، لقيل: فعّال، كما قيل: «سُبُّوح» و«قُدُّوس»، والغالب فَعُّول بالفتح، وهو القياس في شرح «قُدُّوس»، ولكن جاءت دلالة اللفظ على غير القياس بالضم سبُّوح وقُدُّوس وذو الروح.

وقد تبين أن قراءة الجمهور «القيّوم» أتم معنى من قراءة «القيّام»؛ فإن «فعُّول» و«فَيْعُول» أبلغُ من فعَّال وفَيْعَال؛ لأن الواوَ أقوى من الألف، والضمَّ أقوى من الفتح، وهذا عينه مضمومة، والمعتل منه واو، فهو أبلغ مما عينه مفتوحة والمعتلُّ منه أَلِفٌ»[(١)].

وفي نفس السياق، وبعد استطراد في بيان قوة الحركات وأثر ذلك في معاني الكلمات، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتبيّن أن «القيّوم» أبلغ من القيّام»، ذلك يفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلومٌ بالضرورةِ، وهل يفيد إقامته لغيره، وقيامه عليه؟ فيه قولان، وهو يفيد دوامَ قيامه وكمال قيامه؛ لما فيه من المبالغة لقيّوم وقيّام؛ ولهذا قال غير واحد من السلف: القيوم الذي لا يزول[(٢)]»[(٣)].

= وذكر الطبري في جامع البيان: (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤) أن هذه القراءة مروية عن عمر وابن مسعود وعلقمة بن قيس، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ص: (١٥٦) على من ذكرهم الطبري: بأنها قراءة ابن أبي عبلة والأعمش، كما زاد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٣/ ٢٧٢) عليهم أنها قراءة النخعي.

(١) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/ ٣٧ ـ ٣٨)، **وانظر**: فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٦١، ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) أورد ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٥٨٦) أثرين عن الحسن البصري ومحمد بن إسحاق بهذا المعنى، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ص: (١٥٦) هذا المعنى عن أبي عبيدة والخطابي.

(٣) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/ ٤٠)، **وانظر**: فصل في =

وقال رَحِمَهُ اللهُ جامعًا المعانِيَ التي يدلُّ عليها اسمُهُ تعالى «القيّوم»: «فاسمه سبحانه «القيّوم» يقتضي الدوام والثبات والقوة، ويقتضي الاعتدال والاستقامة»(١).

ثم استطرد رَحِمَهُ اللهُ في الردّ على المفاهيم الخاطئة حول هذا الاسم قائلًا: «وقد ظن طائفة من النفاة، كبشر المريسي(٢) وغيره، أن مرادهم بذلك أن لا تقومَ به الأفعالُ الاختياريةُ، ولا يتحرك ونحو ذلك، وردّ عليهم عثمان بن سعيد الدارميُّ وغيرُهُ، وبيّنوا خطأه فيما فهمه من ذلك عمن نقل ذلك عنه من السلف، وهو إنما نقله عن الكلبي(٣)، عن أبي صالح(٤)، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(٥)، وهذا الإسناد وحده مما لا يعتمد عليه أهل الحديث، فذكروا ضعفه، ثم ذكروا عدم دلالته على ما طلبه، ولكن قد رُوِيَ هذا بغير هذا الإسناد(٦)، فبيّنوا خطأَ مَن فهم ذلك المعنى، وأن المراد بقولهم:

= اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(١) فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) بِشْر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم، البغدادي المريسي، كان من كبار الفقهاء، إلا أنه اشتغل بالكلام، فحُكي عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها، وقد كفره الأئمة لمقالته السيئة، وقد بسط الرد عليه الإمام الدارمي في كتابه، توفي سنة: ٢١٨هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٧/ ٥٦)، سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١٩٩)، ميزان الاعتدال: (١/ ٣٢٢).

(٣) محمد بن السائب بن بشر الكلبي الأخباري والمفسر المشهور وأحد علماء الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث. توفي سنة: ١٤٦هـ.
انظر ترجمته في: الجرح والتعديل: (٧/ ٢٧٠)، سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٤٨).

(٤) اسمه باذام ويقال: باذان أبو صالح، مولى أم هانئ، ضعيف الحديث، وقال عنه ابن معين: ليس به بأس فإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.
انظر ترجمته في: الجرح والتعديل: (٢/ ٤٣١)، سير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٧).

(٥) **انظر**: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّ وَجَلَّ من التوحيد: (١/ ٢١٤ وما بعدها).

(٦) سبقت الإشارة إلى أن هذا التفسير مروي عن الحسن البصري، ومحمد بن إسحاق، وأبي عبيدة، والخطابي .

«لا يزول»: أنه دائمٌ باقٍ، لا ينقص عن كماله، فضلًا عن أن يفنى أو يُعدم»[(١)].

ثم استطرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى الزوال في اللغة وربطه بالنصوص التي ورد فيها هذا اللفظ إلى أن قال: «فلهذا كان اسمه «القيّوم» يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كماله، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائمًا باقيًا أزليًّا أبديًّا، موصوفًا بصفات الكمال، من غير حدوث نقص، أو تغيّرٍ بفساد واستحالة ونحو ذلك مما يعتري ما يزول من الموجودات؛ فإنه ﷻ «القيّوم»؛ ولهذا كان من تمام كونه قيّومًا لا يزول أنه لا تأخذه سِنَة ولا نوم، فإن السِّنَةَ والنوم فيهما زوالٌ ينافي القيوميةَ؛ لما فيهما من النقص بزوال كمال الحياة والعلم والقدرة؛ فإن النائمَ يحصل له من نقص العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك مما يظهر نقصه بالنسبة إلى اليقظان؛ ولهذا كان النومُ أخا الموتِ، وسئل النبيُّ ﷺ عن أهل الجنة: أينامون؟ فقال: (**لَا، النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ**)[(٢)]»[(٣)].

ثم استطردَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى الأُفولِ وأنه الغياب والاحتجاب، وهو أبلغ في النقص من الزوال، إلى أن قال ـ في بيان ما يتضمنه اسم الجلال ـ: «القيّوم» منَ المعاني الأخرى: «فالحيُّ القيّوم ﷻ الذي لا يزول ولا يأفل؛ فإن الآفِلَ قد زال قطعًا، واسم «القيّوم» تضمن أنه لا يزول، ولا ينقص شيءٌ من صفات كماله، ولا يفنى ولا يُعدم؛ بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال، وهذا يتضمَّنُ كونه قديمًا، فالقيّوم يتضمن معنَى القديم، وزيادات صفات الكمال دوامُها الذي لا يدلّ عليه

---

(١) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/ ٤١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (١/ ٢٨٢)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: (٤/ ٢١٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء: (٧/ ٩٠)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (١٠/ ٤١٥) وقال: «أخرجه الطبراني في الأوسط، والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح».اهـ، ولم أقف عليه في مسند البزار.
وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (١٠٨٧)، **وانظر** تخريجه بالتفصيل هناك.

(٣) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/ ٥٥).

لفظ القديم، ويتضمَّن أيضًا كونَهُ مَوجودًا بنفسِهِ، وهو معنى كونه واجبَ الوجودِ؛ فإن الموجودَ بغيره كان معدومًا ثم وُجد، وكل مفعول فهو محدَثٌ، وتقدير قديمٍ أزليّ مفعولٍ ـ كما يقوله بعض المتفلسفة ـ باطلٌ في صريحِ العقلِ، وهو خِلافُ ما عليه جماهيرُ العقلاء المتقدمين والمتأخرين.

فالقيّوم الذي لم يزل ولا يزال لا يكون إلا موجودًا بنفسه، والموجود بنفسه لا يكون إلا قديمًا واجب الوجود؛ فإن وجوده لو لم يكن واجبًا، لكان ممكنًا، يمكن وجوده ويمكن عدمُهُ، وما أمكن وجوده وعدمه، لم يكن إلا مُحدَثًا؛ كائنًا بعد أن لم يكن، فليس هو القيّومَ الذي لا يزولُ؛ بل لم يزل ولا يزال»[(١)].

ومن المعاني التي يتضمنها اسم الجلال: «القيّوم» والتي أشار إليها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إضافة إلى المعاني السابقة ـ: ما في هذا الاسم من معنى الثبات والقوة، والعدل، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تقرير ذلك: «ولما كان «القيّام» يقتضي الثباتَ ـ وهو ضد الزوال ـ قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وهو يقتضي الاعتدالَ مع الثبات، وهو خلقهما معتدلتين؛ كما قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، والعدل لازم في كل مخلوق، ومأمور به كل أحد»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان معنى التقدير الذي يتضمنه اسم «القيّوم» ـ: «إن كل ما يقدّر، فإما أن يكون ثابتًا في الأعيان والموجود في الخارج، أو في العلم والوجود الذهني، وهو سبحانه خالق هذا ومعلّم هذا، فلا يخرج شيء أصلًا عن تخليقه وتعليمه؛ بل هو الذي خَلَقَ فَسَوَّى، وقدّر فهدى، وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]؛ فهو خالق كل

---

(١) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/٥٨ ـ ٥٩).

(٢) فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/١٦٦)، **وانظر**: (٥/١٦١).

شيء وقيّومه، وكل ما أقامه القيّوم، فله قيام، والحركة وإن وُجدت شيئًا فشيئًا، فلا بد لها من لُبث، لا يُتصور أن تُعدم قبل أن تلبث زمنًا من الأزمان، **وقيّوم السمٰوات** هو الخالق الذي يبدعه ويجعل له ذلك القدر، فجعل للأعيان قدرًا، وللحركات قدرًا، ولزمانها قدرًا، وبعض ذلك يطابق بعضًا؛ فإن الزمان مُساوقٌ للحركة، والحركةَ هي مبدأُ الأحداث»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مبينًا حاجة العبد إلى ربه في كل حين ووقت، وعدم غِنَاه عنه طرفة عين ـ: «والمقصود الكلام على اسمه «القيّوم»، والتنبيه على بعض ما دلّ عليه من المعارف والعلوم، فهو سبحانه قيّوم السمٰوات والأرض، لو أخذته سنة أو نوم، لهلكت السمٰوات والأرض، والمخلوق ليس له من نفسه شيء؛ بل الربّ أبدع ذاته، فلا قوام لذاته بدون الربّ، والمخلوق بذاته فقير إلى خالقه، كما أن الخالق بذاته غني عن المخلوق، فهو الأجَلُّ الصمدُ، والمخلوق لا يكون إلا فقيرًا إليه، والخالق لا يكون إلا غنيًّا عن المخلوق، وغِناهُ من لوازمِ ذاته، كما أن فقر المخلوق إلى خالقه من لوازم ذاته، وهذا المعنى مما يتعلق بقول الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، تعلقًا قويًّا»(٢).

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في خُلاصةٍ لمعاني اسم الجلال «القيّوم» وكون اقترانه باسم الجلال «الحي» يستلزم سائر صفات الكمال؛ فقال ـ: «فقد تبيّن أن الوجودَ الواجبَ القديمَ وما يستلزم ذلك من صفات الكمال ودوام ذلك وبقائه، كل ذلك يدخل في اسمه «القيّوم»، واقترانه بـ«الحي» يستلزم سائر صفات الكمال، فجميعُ صفاتِ الكمال يدل عليها اسمُ «الحيِّ القيوم»، ويدل أيضًا على بقائها ودوامها وانتفاء النقصِ والعدم عنها أزلًا؛ ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أعظمَ آيةٍ في

---

(١) فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٦٩).

(٢) فصل في اسمه تعالى «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (٥/ ١٧٣)، قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: (٣٥)، **وانظر**: فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/ ٤٩، ٥٦ ـ ٥٨).

كتاب الله ﷻ، كما ثبت ذلك في الصحيح[١] عن النبي ﷺ»[٢].

۞ الفرع الخامس ۞

شرح أسماء الجلال: «النّور»، «الهادي»، «الحق»

أولًا: تقريره رَحِمَهُ اللهُ لجملة من معاني اسم الجلال: «النور»:

من الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية التي تناولها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بالشرح والبيان ـ: أسماء الجلال: «النّور»، و«الهادي»، و«الحق»، ومن جهوده المباركة في هذا الباب إفرادُ الكلامِ على اسمَيِ اللهِ ﷻ: «النّور» و«الهادي»[٣]، في فصل خاص، والتصدي فيه لمن يقول بعدم تسمية الله ﷻ «النّور»، وأنه يجب تأويل هذا الاسم، وأبطل هذا القولَ بشيء منَ التفصيلِ، فقد تدرج شيخ الإسلام في نقض كلام هذا المعترض[٤] على تسمية الله ﷻ بالنّور والهادي، أولًا ببيان تناقضه من أوجه عدة، ثم شرع في بيان فساد كلامه؛ فقال رَحِمَهُ اللهُ: «أما قوله: «يجب تأويله قطعًا»، فلا نُسلّم أنه يجب تأويله، ولا نُسلّم أن ذلك لو وجب قطعيٌّ؛ بل جماهيرُ المسلمين لا يتأولون هذا الاسمَ «النّور»، وهذا مذهب السلفية، وجمهور الصفاتية، من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم، وهو قول أبي سعيد بن كلاب ذكره في الصفات[٥]، وردَّ على الجهمية تأويلَ اسم «النّور»، وهو شيخ المتكلمين الصفاتية من الأشعرية ـ الشيخ الأول ـ وحكاه عنه أبو بكر بن فورك في كتاب مقالات ابن كلاب والأشعري، ولم يذكروا تأويله إلا عن الجهمية المذمومين باتفاق، وهو أيضًا قول أبي الحسن الأشعري؛ ذكره في «الموجز»[٦]»[٧].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٦٤).
(٢) فصل في معنى اسمه «الحيّ» «القيّوم»، ضمن جامع المسائل: (١/٥٩).
(٣) مطبوع ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٤ ـ ٣٩٦).
(٤) لم يتبين لي من هو، والذي يظهر من مناقشة شيخ الإسلام له أنه أحد معاصريه، والله أعلم.
(٥) هو من كتب ابن كلاب المفقودة، **انظر**: سير أعلام النبلاء: (١١/١٧٦).
(٦) هو من كتب الأشعري المفقودة، **انظر**: سير أعلام النبلاء: (١٥/٨٧).
(٧) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٩).

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله في أسمائه الحسنى: «النّور» «الهاد»، لو نازعه منازع في ثبوت ذلك عن النبي ﷺ، لم تكن له حجة، ولكن جاء ذلك في أحاديثَ صِحاحٍ؛ مثل قوله ـ: في الحديث الذي في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يقول ـ **(اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ)**،، الحديثَ[1]، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ فقال: **(نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!)**[2]، أو قال: **(رَأَيْتُ نُورًا)**[3].

فالذي في القرآن والحديث الصحيح إضافةُ النّور؛ كقوله: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أو: **(نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ)**»[4].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «وقال[5] قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

فيقال: قد ثبت في الصحيح أن النبيَّ ﷺ كان يقول في دعائه: **(اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ)**؛ فليس مفهومُ اللفظِ أنه شُعاع الشمس والنار، فإن هذا ليس هو نورَ السمٰواتِ والأرضِ، كما ظنّ بعض

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، برقم: (١١٢٠).
ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم: (١٨٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: **(نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!)** وفي قوله: **(رَأَيْتُ نُورًا)**، برقم: (٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: **(نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!)** وفي قوله: **(رَأَيْتُ نُورًا)**، برقم: (٤٤٣).

(٤) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٥) المراد به الآمدي فيما ذكره من أمثلة على ما جاء من المجاز في القرآن، **انظر**: الإحكام في أصول الأحكام: (١/ ٧٧).

الغالطين[١] أن هذا مدلول اللفظ، والنّور يراد به المستنير المنير لغيره بهديه، فيدخل في هذا: «أنت الهادي لأهل السمٰوات والأرض»، وقد قال ابن مسعود: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السمٰوات من نور وجهه»[٢]، وإذا كان كونه رب السمٰوات والأرض وقيّمها لا يناقض أن يكون قد جعل بعض عباده يَرُبُّ بعضًا من بعض الوجوه ويفهمه؛ فكذلك كونه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ منيرها، لا يناقض أن يجعل بعض مخلوقاته منيرًا لبعض.

واسم «النّور» إذا تضمن صفته وفعله، كان ذلك داخلًا في مُسمَّى النّور؛ فإنه لما جعل القمر نورًا كان متصفًا بالنّور، وكان منيرًا على غيره، وهو مخلوق من مخلوقاته، والخالق أولى بصفة الكمال الذي لا نقص فيه من كل ما سواه»[٣].

فبذلك يتبيّن أن النّور يطلق على الله باعتبار الذات؛ **أي**: إنه في نفسه نور، وباعتبار الصفة، وذلك بما ينوّر الله ﷻ به عباده ويهديهم إليه، وضرب شيخ الإسلام رحمه الله لذلك مثلًا باسم الجلال: «الحقّ»، فقال: «وكذلك اسم: «الحقّ» يقع على ذات الله تعالى، وعلى صفاته القدسية؛

---

(١) لعله نفس المردود عليه في فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٤) وما بعدها.

(٢) أخرجه الدارمي في نقضه على بشر المريسي: (١/ ٤٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير: (٩/ ١٧٩)، وأبو الشيخ في العظمة: (١/ ٤٠٥)، برقم: (١١١)، وفي: (٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨) برقم: (١٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء: (١/ ١٣٧)، وابن منده في الرد على الجهمية ص: (٩٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢/ ١١١) برقم: (٦٧٤) وقال: «هذا موقوف وراويه غير معروف»، وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٧/ ٣٣٩) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وأبي الشيخ في العظمة، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (١/ ٨٥)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وعبد الله بن مكرّز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره». اهـ.

(٣) رسالة الحقيقة والمجاز، ضمن مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩).

كقول النبي ﷺ: **(أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ)**[(١)]»[(٢)].

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «فأنت إذا قلت: «هادٍ»، أو: «مُنَوِّر»، أو غير ذلك، فالمسمَّى: «نورًا» هو الربُّ نفسُهُ، ليس هو النُّورَ المضافَ إليه، فإذا قلتَ: هو «الهادي فنُورُهُ الهُدَى»، جعلتَ أحد النّورينِ عينًا قائمة، والآخَرَ صفةً، فهكذا يقول من يسميه نورًا»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ في شمول اسم الجلال: «النّور» للمعنيين ـ: «هذا القول الذي قاله بعض المفسرين في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]؛ أي: هادي أهل السمٰوات والأرض[(٤)] لا يضرنا ولا يخالف ما قلناه؛ فإنهم قالوه في تفسير الآية التي ذكر النّور فيها مضافًا، لم يذكروه في تفسير «نور» مطلق، كما ادعيتَ أنتَ من ورود الحديث به، فأين هذا من هذا؟!

ثم قَول من قال من السلف: هادي أهل السمٰوات والأرض، لا يمنع أن يكون في نفسه نورًا، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المُفَسَّر من الأسماء، أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوتَ بقية الصفات للمُسمَّى؛ بل قد يكونانِ متلازمينِ، ولا دخول لبقية الأنواع فيه»[(٥)].

ثم ختم رَحِمَهُ اللهُ رده على هذا المبطِلِ بقولٍ جامعٍ؛ فقال: «فقد تبين أن جميع ما ذُكِرَ مِنَ الأقوالِ يرجع إلى معنيينِ من معاني كونه نورَ السمٰواتِ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا، وهو جزء من حديث: **(اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ...)** الحديث.

(٢) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٤)، **وانظر**: (٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨).

(٣) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٨).

(٤) هذا الذي اختاره إمام المفسرين ابن جرير الطبري كما في جامع البيان: (١٨/ ١٣٥)، وأسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وأنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٩٠)، **وانظر**: (٦/ ٣٩١ ـ ٣٩٣).

والأرض[١]، وليس في ذلك دَلالةٌ على أنه في نفسه ليس بنور»[٢].

فهذه خلاصة كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في معاني اسم الجلال: «النّور»، والتي قرّر فيها أنه مقاربٌ في أحد معانيه لاسم الجلال: «الهادي»؛ بل إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أشار في موضع آخر إلى أن هذين الاسمين مما يقوم أحدهما مقام الآخر في المعنى، وذلك حين قال: «فالحديث الذي فيه ذِكرُ ذلك[٣] هو حديثُ الترمذيِّ[٤] روى الأسماء الحسنى في جامعه... وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ؛ وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه.

ولهذا اختلفت أعيانهما عنه، فروي عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى؛ لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة، وهذا تارة، واعتقدوا هم وغيرهم أن الأسماء الحسنى ـ التي مَن أحصاها دخل الجنة ـ ليست شيئًا معينًا؛ بل من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معيّنة، فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد والواحد...

ولهذا جمعها قوم آخرون على غير هذا الجمع واستخرجوها من القرآن؛ منهم سفيان بن عيينة[٥]، والإمام أحمد بن حنبل[٦] وغيرهم، كما قد ذكرت ذلك فيما تكلمت به قديمًا على هذا، وهذا كله يقتضي أنها

---

(١) **الأول**: أنه هادي أهل السمٰوات والأرض، والثاني: أنه منوّر السمٰوات والأرض بالكواكب.

(٢) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٩٦).

(٣) إشارة إلى اسم الله ﷻ: «الهادي».

(٤) تقدم الكلام عليه، **انظر**: ص: (٢٤٥) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٥) تقدم الكلام على جمعه، **انظر**: ص: (٢٤٨) من هذه الرسالة.

(٦) لم أقف على هذا الجمع، ولا على من أشار إلى أن للإمام أحمد جمعًا للأسماء الحسنى، والله أعلم.

عندهم مما يقبل البدل»[١].

وبهذا التقرير نكون قد استوفينا شيئًا من جهود شيخ الإسلام رحمه الله الواسعة في بيان معاني اسم الجلال: «النور» وما يتعلق به[٢].

ثانيًا: تقريره رحمه الله لجملة من معاني اسم الجلال: «الهادي»:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن أسمائه «الهادي»، وقد جاء أيضًا: البرهان؛ ولهذا يُذكر عن بعضهم أنه قال: «عرفتُ الأشياء بربي، ولم أعرف ربي بالأشياء»[٣]، وقال بعضهم: «هو الدليل لي على كل شيء، وإن كان كل شيء ـ لئلا يعذبني ـ عليه دليلًا»[٤]، وقيل لابن عباس: بماذا عرفت ربك؟ فقال: «من طلب دينه بالقياسْ، لم يزل دَهرَهُ في التباسْ، خارجًا عنِ المنهاجْ، ظاعنًا في الاعوجاجْ، عرفته بما عَرَّفَ به نفسَهُ، ووصفتُهُ بما وَصَفَ به نفسَهْ»[٥]؛ فأخبر أن معرفة القلب حصلت بتعريف الله، وهو نور الإيمان، وأن وصف اللسان حصل بكلام الله، وهو نور القرآن.

وقال آخر للشيخ:

قَالُوا ائْتِنَا بِبَرَاهِينٍ فَقُلْتُ لَهُمْ ... أَنَّى يَقُومُ عَلَى البُرْهَانِ بُرْهَانُ[٦]

وقال الشيخ العارف للمتكلم: «اليقين عندنا وارداتٌ تَرِدُ على النفوس، تعجِزُ النفوسُ عن رَدِّهَا، فأجابه: بأنه ضروريٌّ»[٧].

---

(١) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، باختصار.

(٢) **انظر** للاستزادة: بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ٤٨٦ ـ ٥٣٠)، (٨/ ٦٦ ـ ٧٦).

(٣) من كلام الشهرستاني في نهاية الإقدام ص: (١٢٦)، وفيه: «وما عرفت ربي بالأشياء»، بدل: «ولم أعرف ربي بالأشياء».

(٤) لم أقف على القائل.

(٥) تقدم تخريجه والكلام عليه، **انظر**: ص: (١١٥).

(٦) لم أقف على القائل.

(٧) الأثر لنجم الدين أحمد بن عمر بن محمد الكبري الخوارزمي الصوفي، وتقدم الكلام عليه، **انظر**: ص: (١١٦).

وقال الشيخ إسماعيل الكوراني[١] للشيخ المتكلم[٢]: «أنتم تقولون: إن الله يُعرَفُ بالدليل، ونحن نقول: إنه تعرَّفَ إلينا؛ فعرفناه»[٣]؛ **يعني**: أنه تعرَّف بنفسه وبفضله...

فإذا كان الحقُّ الحيُّ القيومُ الذي هو ربُّ كلِّ شيء ومليكه، ومؤصل كل أصل، ومسبب كل سبب وعلة ـ: هو الدليلَ والبرهانَ والأولَ والأصلَ الذي يستدِلُّ به العبدُ، ويفزع إليه، ويَرُدُّ جميعَ الأواخرِ إليه في العلم ـ: كان ذلك سبيل الهدى وطريقه...

والعبد لما كان مخلوقًا مربوبًا مفطورًا مصنوعًا، عاد في علمه وعمله إلى خالقه وفاطره وربه وصانعه؛ فصار ذلك ترتيبًا مطابقًا للحَقِّ، وتأليفًا موافقًا للحقيقة؛ إذ بناء الفرع على الأصل وتقديم الأصل على الفرع هو الحقُّ، فهذه الطريقةُ الصحيحةُ الموافقةُ لفطرة الله وخلقته ولكتابه وسُنَّته»[٤].

وقد قرّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن الهداية والدَّلالةَ من مقتضى اسم الله عَزَّ وَجَلَّ: «الهادي»، فقال ـ في أثناء كلامه على سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى التي تناسب مقصود السائل ومطلوبه ـ: «فهذا سؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته، وليس ذلك إقسامًا عليه؛ فإن أفعاله هي مقتضَى أسمائه وصفاته، فمغفرتُهُ ورحمتُهُ من مقتضَى اسمِهِ «الغفور» «الرحيم»، وعفوه من مقتضَى اسمِهِ «العفوِّ»؛ ولهذا لما قالت عائشة للنبي ﷺ: إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال: (**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**)[٥]، وهدايته ودَلالتُهُ من مقتضى اسمه الهادي...

---

(١) تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (١١٦).

(٢) المراد به العز بن عبد السلام كما في مجموع الفتاوى: (٢/ ٧٦).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوى: (٢/ ٧٦).

(٤) قاعدة أولية في أصل العلم الإلـٰهي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ١٧ ـ ٢٠)، بتصرف يسير، **وانظر**: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: (٩٣)، مقدمة الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٢/ ٥).

(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢١).

فإذا سُئِل المسئول بشيء ـ والباء للسبب ـ سئل بسبب يقتضي وجود المسؤول»[(١)].

وفي أثناء ردّه على من قال: إن المقصودَ بالهادي؛ في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] ـ: هو الله ﷻ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، في أصح الأقوال؛ أي: ولكل قوم داعٍ يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته كما أنت هاد؛ أي: داع لمن أُرسلتَ إليه، **والهادي**: بمعنى الداعي المعلّم المبلِّغ، لا بمعنى الذي يجعل الهُدى في القلوب؛ كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]»[(٢)].

فبيّن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال كلامه هذا الفرقَ بينَ الهدايةِ المنسوبة إلى النبيِّ ﷺ أو الداعي عمومًا؛ وهي الدَّلالةُ والإرشادُ، وبينَ الهداية التي أشار إلى أنها من مقتضى اسم الله ﷻ «الهادي»؛ وهي الدلالةُ المؤثرة؛ فإن الله ﷻ هو الذي يقيمها في القلوب؛ و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف: ١٧٨].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، مع قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فقد اتفق المسلمون على أن تلك الهداية المنفية ليست هي الهدايةَ المثبتةَ له، لا نزاع في هذا بين أهل السُّنَّة والقدرية.

وأما الهداية الثابتة، فهي: الدعوة والبيان، وهذا يشترك فيه من يُحبه ومن لا يُحبه؛ فإن عليه البلاغ المبين، وقد بلَّغَ ﷺ البلاغَ المُبِينَ، وقال في آخِرِ عُمرِهِ في حَجَّة الوداع: (**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟!** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **اللَّهُمَّ اشْهَدْ**)[(٣)]،

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٢ ـ ٩٤) بتصرف بالحذف فقط.
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١/٣٢٦).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم: (١٧٣٩).

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، وقوله: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، **والهداية**: هي الدَّلالةُ والإرشادُ، بكلامه وبعلمه وأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، وأما حصول الهُدَى في القلب، فهذا لا يقدر عليه إلا الله باتفاق المسلمين سُنِّيِّهم وقَدَرِيِّهم.

أما أهل السُّنَّة فيقولون: إن الاهتداء الذي في القلب لا يقدر عليه إلا الله، ولكن العبد يقدر على أسبابه، وهو المطلوب منه بقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وهو المنفيُّ عن الرسول؛ بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وقوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وأما القدرية فيقولون: إن ذلك مقدورٌ للعبد»[(١)].

وبهذا التفريق المتقَنِ بين هداية الداعي وهداية الله ﷻ، نختتم كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لاسم الجلال: «الهادي».

ثالثًا: تقريره رَحِمَهُ ٱللَّهُ لجملة من معاني اسم الجلال: «الحق»:

فيما يخص هذا الاسم تطرق إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال التقريرات التالية:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان دَلالةِ هذا الاسم على ذات الله ﷻ المقدسة، ودَلالتِهِ على صفاتِ الكمالِ فيه ـ: «وكذلك اسمُ: «الحقِّ» يقع على ذات الله تعالى، وعلى صفاته القدسية؛ كقول النبي ﷺ: **(أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ)**[(٢)]»[(٣)].

= ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم: (٤٣٦٢).

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦١٧)، وهو جزء من حديث: **(اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ...)** الحديث.

(٣) فصل في الكلام على اسم الله «النّور» و«الهادي»، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٨٤).

ففي الحديث بيانُ أن «الحقَّ» يطلق على الله ﷻ ويراد به ذاته؛ كما في قوله ﷺ: **(أَنْتَ الحَقُّ)**، وقد يطلق ويراد به صفاته العُلَى؛ كما في قوله ﷺ: **(وَقَوْلُكَ الحَقُّ)**، فأُطلق هنا مرادًا به صفة الكلام.

وفي تقرير أن الله ﷻ هو الحق المطلق في هذا الوجود، والمراد بهذه الحقيقة، وما يقابلها من معاني الباطل ـ: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الباطل ضِدُّ الحقِّ، والله هو الحقُّ المبينُ.

والحقُّ له معنيانِ: أحدهما: الوجود الثابت، **والثاني**: المقصود النافع؛ كقول النبي ﷺ: **(الوِتْرُ حَقٌّ)**(١).

والباطل نوعان أيضًا: أحدهما: المعدوم، وإذا كان معدومًا، كان اعتقاد وجوده والخبر عن وجوده باطلًا؛ لأن الاعتقاد والخبر تابع للمعتقَدِ المخبَرِ عنه، يَصِحُّ بصحته، ويبطل ببطلانه، فإذا كان المعتقَدُ المخبَرُ عنه باطلًا، كان الاعتقاد والخبر كذلك، وهو الكذب.

الثاني: ما ليس بنافع ولا مفيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص: ٢٧]»(٢).

وفي تقرير المعنى الأول من معاني الحق؛ وهو الوجود الثابت قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله سبحانه هو الحقُّ الموجودُ بنفسِهِ، وسائر ما سواه خلق من خلقه، مربوبٌ مقهورٌ تحتَ قدرته، وهو خالقُ الأشياءَ، مسبِّبُ أسبابها؛ فالعلمُ به أصلٌ للعلم بما سواه وسببٌ، كما أن ذاته كذلك، والعلم بالسبب يفيد العلم بالمسبب»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب كم الوتر، برقم: (١٤٢٢).
والنسائي في سننه، كتاب قيام الليل، باب ذكر الاختلاف على الزهري في حديث أبي أيوب في الوتر، برقم: (١٧١٠).
وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الوتر بثلاث وخمس وسبع وتسع، برقم: (١١٩٠).
وصححه الألباني في المواضع المذكورة من السنن.

(٢) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤١٥).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢/ ٨٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تقرير المعنى الثاني من معاني الحق؛ وهو المقصود النافع، عند بيانه افتقار الأشياء كلها لله عَزَّوَجَلَّ من جهة ربوبيته ومن جهة ألوهيته ـ: «فلولا أنه المعبودُ المحبوبُ لذاته، لم يصلح قطُّ شيءٌ منَ الأعمال والحركاتِ؛ بل كان العالم يَفسُدُ، وهذا معنى قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ولم يقل: لَعَدِمَتَا وهذا معنى قولِ لَبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ(١)

وهو كالدعاء المأثور: «أشهدُ أن كُلَّ معبودٍ من لَدُن عرشِكَ إلى قرار أرضِكَ باطلٌ، إلا وجهَكَ الكريمَ»(٢).

ولفظ «الباطل»: يراد به المعدومُ، ويرادُ به ما لا ينفع؛ كقول النبيِّ ﷺ: **(كُلُّ لَهْوٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ، فَهُوَ بَاطِلٌ، إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتَهُ لِزَوْجَتِهِ)**(٣).

وقوله عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(إِنَّ هَذَا رَجُلٌ لَا يُحِبُّ البَاطِلَ)**(٤).

---

(١) سبقت ترجمة لبيد بن ربيعة العامري الصحابي الشاعر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتخريج شعره، **انظر**: ص: (٥٥٠).

(٢) لم أقف عليه مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وأورده ابن قدامة في كتابه التوابين ص: (٥١ ـ ٥٦)، في قصة طويلة بعنوان: توبة رجل من بني إسرائيل كان يعبد الأصنام، بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا عليه؛ فهو من الإسرائيليات التي يُتوقف عن تصديقها أو تكذيبها، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرمي، برقم: (٢٥١٣)، والترمذي في جامعه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، برقم: (١٦٣٧)، والنسائي في سننه، كتاب الخيل، باب تأديب الرجل فرسه، برقم: (٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله، برقم: (٢٨١١).
وقد صحح الألباني: هذه الجملة من الحديث؛ لأنه جزء من حديث طويل؛ كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٣١٥)، إلا قوله ﷺ: **(فَإِنَّهُنَّ مِنَ الحَقِّ)**؛ فقد ضعف هذه الزيادة.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤/ ١٤٤)، وحكم عليه محققو المسند بأنه حسن بمجموع طرقه، المسند: (٢٨/ ٥٣٣) (ط الرسالة).

(٤) جزء من حديث طويل عن الأسود بن سريع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٣/ ٤٣٥)، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف»: (٢٤/ ٣٥١) (ط الرسالة). =

ومنه قول القاسم بن محمد[١] ـ لما سئل عن الغناء ـ قال: «إذا ميّز الله يومَ القيامة الحقَّ منَ الباطل، في أيِّهما يُجعَلُ الغِناءُ؟ قال السائل: من الباطل، قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]»[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]؛ فإن الآلهةَ موجودة، ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع، والمقصود منها لا يحصل، فهو باطل، واعتقاد ألوهيتها باطل؛ أي: غير مطابق، واتصافها بالإلـٰهية في أنفسها باطل، لا بمعنى أنه معدوم.

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]؛ فإن الكَذِبَ باطل؛ لأنه غير مطابق، وكلُّ فعلٍ ما لا ينفع باطلٌ؛ لأنه ليس له غاية موجودة محمودة.

فقول النبي ﷺ: (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ)[٣]

هذا معناه: أن كُلَّ معبودٍ من دون الله باطل.

كقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

وقد قال قبل هذا: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا

= وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٣٥٣)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٧١٢)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: معمر له مناكير، كما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١/ ٤٦).

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، أبو محمد القرشي، عالم المدينة ومفتيها، الإمام القدوة الحافظ الحجة، من كبار التابعين، توفي بالمدينة سنة: ١٠٦هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: (٢٣/ ٤٢٧)، سير أعلام النبلاء: (٥/ ٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي برقم: (٤٦).
وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦/ ٥٠٦)، ونسبه إلى ابن أبي الدنيا والبيهقي.

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٥٠).

﴿يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، كما قال في الأنعام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

ودخل عثمان أو غيره على ابن مسعود ـ وهو مريض ـ فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مردودًا إلى الله مولايَ الحقِّ»[(١)]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤، ٢٥].

وقد أقروا بوجوده في الدنيا؛ لكن في ذلك اليوم يعلمون أنه الحق المبينُ دون ما سواه؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، بصيغة الحَصْرِ؛ فإنه يومئذ لا يبقى أحدٌ يَدَّعي فيه الإلـهيةَ، ولا أحدٌ يُشرِكُ بربه أحدًا»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في موضع آخر وهو يتكلم عن جنس المناظرة، وأن منها محمودًا ومذمومًا، ومنها حقًّا وباطلًا، مقررًا نفس المعنى الثاني للحق ـ: «ومنشأُ الباطلِ من نقص العلم، أو سوء القصد؛ كما قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

ومنشأُ الحقِّ من معرفة الحق والمحبة له، **والله هو الحقُّ المبينُ**، ومحبته أصل كل عبادة؛ فلهذا كان أفضلُ الأمور على الإطلاق معرفةَ الله ومحبتَهُ، وهذا هو ملةُ إبراهيمَ خليلِ الله تعالى، الذي جعله الله للناس إمامًا، وجعله أُمةً يأتم به الخلق، وهو الذي ناظر المعطلين والمشركين»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في نفس السياق والمعنى، في رسالته في القلب وأنه خلق ليعلم به الحق، مبينًا بعض الحكم من خلق القلب في العبد ـ: «إذا كان حق

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي رواه العديد ممن ترجموا لابن مسعود أنه لما مرض، جاءه عثمان بن عفان عائدًا، فقال له: «ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟! فقال: الطبيب أمرضني»، **انظر**: تاريخ دمشق: (٣٣/ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء: (١/ ٤٩٨)، البداية والنهاية: (١٠/ ٢٥٢).

(٢) شرح حديث النزول ص: (٣٨٤ ـ ٣٨٧)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٥/ ٥١٥ ـ ٥١٧)، الرد على المنطقيين ص: (٤٣٣ ـ ٤٣٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ١٧٤).

القلب أن يعلم الحق، **فإن الله هو الحق المبين**؛ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، إذ كان كل ما يقع عليه لمحة ناظر، أو يجول في لفتة خاطر، فالله ربّه ومنشئه وفاطره ومبدئه، لا يحيط علمًا إلا بما هو من آياته البيّنة في أرضه وسمائه، وأصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ[١] ....

أي: ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه، إلا وجدته إلى العدم، وما هو فقير إلى الحيّ القيّوم، فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية ـ بتقدير من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ رأيته حينئذٍ موجودًا مَكسوًّا حُلَلَ الفَضلِ والإحسان، فقد استبان أن القلب إنما خُلق لذكر الله سبحانه»[٢].

۞ الفرع السادس ۞

شرح أسماء الجلال: «الواسع» «العليم» «الخبير» «اللطيف»

من أسماء الله الحسنى التي صنفها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية، والجامعة للتنزيه والتحميد ـ: أسماء الجلال: «الواسع»، و«العليم»، و«الخبير» و«اللطيف»، وقد وقفتُ على عدة مواضع من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير شيء من معانيها:

ففي تقرير بعض معاني كون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واسعًا عليمًا، وهو يتكلم على صفة السمع في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيف أن الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع دعاء الداعين، ويجيب السائلين، مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات ـ: «فالربّ تعالى واسع عليم، وَسِعَ سَمعُهُ الأصواتَ كلَّها، وعطاؤه الحاجاتِ كلَّها»[٣].

---

(١) تقدم الكلام عليه، **انظر**: ص: (٥٥٠).
(٢) رسالة في القلب وأنه خلق ليعلم به الحق ص: (٢١)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٩/ ٣١٢).
(٣) مجموع الفتاوى: (٥/ ١٣٣)، **وانظر**: (٥/ ٢٤٦).

وفي تقرير سَعَةِ عطائه مما يدل عليه اسم الجلال: «الواسع» يقول رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] -: «تدل هذه الآية على عطيةٍ كثيرةٍ، صادرةٍ عن معطٍ كبيرٍ غنيٍّ واسعٍ»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ - في أثناء كلامه على الأصلينِ العظيمينِ، وهما: عموم ربوبيته وخلقه، وعموم إحسانه وحكمته -: «وهو الحكيم **العليم** الرحيم، الذي أظهر من آثار **علمه** وحكمته ورحمته ما لا يحصيه إلا هو:

فهو ربّ العالمين، والعالمون ممتلئون بما فيهم من آثار أسمائه وصفاته، وكل شيء يسبِّحُ بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، من الناس من يدرك ما فيها من **الدلالةِ والشهادةِ بالعلم والمعرفة**»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ - في موضع آخَرَ، أثناء تقريره لتعلق كل اسم من أسماء الله الحسنى بما يناسب معناه والصفة التي يدل عليها، قال رَحِمَهُ اللهُ في اسمه تعالى «العليم» -: «وأسماء الله المطلقة: كاسمِهِ السميع، والبصير، والغفور، والشكور، والمجيب، والقريب، لا يجب أن تتعلقَ بكل موجود؛ بل يتعلق كل اسم بما يناسِبُهُ، واسمه العليم لمَّا كان كل شيء يصلح أن يكون معلومًا، تعلّق بكل شيء»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ - في بيان ما يدل عليه اسم العليم، إضافة إلى كونه عالمًا بكل معلوم، من اختصاصه ﷻ بتعليم كل معلوم -: «قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فنفى أن يَعلم أحدٌ شيئًا من علمه إلا بمشيئته، ليس إلا أنه منفرد بالتعليم؛ فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحدٌ شيئًا إلا بتعليمه؛ كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]»(٤).

---

(١) تفسير سورة الكوثر، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٥٢٩).
(٢) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٠١).
(٣) شرح حديث النزول ص: (٣٥٥).
(٤) الجواب الصحيح: (٢/ ١٢٣ - ١٢٤)، **وانظر**: تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣٥٣ - ٣٥٤).

هذا بالنسبة لتقريرِ شيءٍ من معاني اسمَي الجلال: «الواسع» و«العليم»، وأما تقريره لمعاني اسمي الجلال: «اللطيف» «الخبير»، فقد اعتنى شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ببيانها في العديد من المواطن من مؤلفاته؛ ومن ذلك:

قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أثناء ردِّه على ابن عربي؛ من أصحاب مذهب وَحدةِ الوجودِ، حولَ ما تضمنه كلامه عن علم الله بالعبد، فوصف الله تعالى بالفقر إلى الأعيان وغِنَاها عنه، وَنَفَى ما استحقَّهُ بنفسِهِ من كمال علمه وقدرته ولزوم التجهيل والتعجيز ـ: فقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الرد على هذا الباطل بتقرير أحد الأصول العظيمة التي اتفق عليها المسلمون بمختلف طوائفهم فيما يتعلق بصفة العلم التي تضمنها اسمَا الجلال ـ: «اللطيف» «الخبير»: «والمسلمون يعلمون أن الله عالمٌ بالأشياء قبل كونها بعلمه القديم الأزلي الذي هو من لوازم نفسِهِ المقدَّسَةِ، لم يستفد علمه بها منها؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فقد دلَّتْ هذه الآيةُ على وجوبِ علمه بالأشياء من وجوه، انتظمتِ البراهينَ المذكورة لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي، من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم:

أحدها: أنه خالقٌ لها، والخلقُ هو الإبداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزمٌ للإرادة والمشيئة، والإرادةُ مستلزمةٌ لتصوُّرِ المرادِ والشعور به، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام.

الثالث: أنها صادرةٌ عنه، وهو سببها التامُّ، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجبُ العلمَ بالفرع المسبَّب، فعلمه بنفسه مستلزمٌ العلمَ بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه «**لطيفٌ**» يُدرك الدقيق، «**خبيرٌ**» يُدرك الخَفِيَّ، وهذا هو مقتضَى العلم بالأشياء، فيجبُ وجودُ المُقتضَى لوجود السبب التامِّ، فهو في علمه بالأشياء مستغنٍ بنفسِهِ عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته، ثم إذا رأى الأشياءَ بعد وجودها، وسمع كلام عباده ونحو

ذلك، فإنما يُدرك ما أبدع، وما خلق، وما هو مفتقر إليه، ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتج في علمه وإدراكه إلى غيره البَتَّةَ»(١).

فقرّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال هذا الكلام لمعاني اسمي الجلال: «اللطيف» «الخبير» في الآية ـ: أن كليهما يدل على صفة العلم، و«اللطيف» يقتضِي إدراك الدقيق من الأمور، و«الخبير» يقتضي إدراك خَفِيها.

وهذا الذي قرّره في معنى اسم الجلال «الخبير»، هو ما أشار إليه من معنى الخبير في اللغة؛ وذلك بقوله: «وقد يقال: الخبر في الأصل عن الأمور الباطنة؛ ومنه الخِبرةُ بالأشياء، وهو العلم ببواطنها، وفلان من أهل الخبرة بكذا، والخبير بالأمور: المطلع على بواطنها؛ ومنه الخبير: وهو الفلاح، الذي يجعل باطن الأرض ظاهرًا، **والأرض الخبار**: اللينة التي تنقلب، والمخابرة من ذلك»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء استدلاله بآية الملك هذه على استلزام صفة الخلق للعلم ـ: «والخلق أيضًا يستلزم العلم؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]؛ وذلك من جهة أن الخلق يستلزم الإرادة؛ فإن فعل الشيء على صفة مخصوصة ومقدار مخصوص دون ما هو خلاف ذلك لا يكون إلا بإرادة تخصص هذا عن ذاك، والإرادة تستلزم العلم، فلا يريد المُريد إلا ما شعر به، وتَصَوَّرَهُ في نفسه، والإرادة بدون الشعور ممتنعة.

وأيضًا: فنفس الخلق ـ خلق الإنسان ـ هو فعل لهذا الإنسان الذي هو من عجائب المخلوقات، وفيه من الإحكام والإتقان ما قد بهر العقول، **والفعل المحكم المتقن لا يكون إلا من عالم بما فعل**، وهذا معلوم بالضرورة:

فالخلقُ يدلُّ على العلمِ من هذا الوجه، ومن هذا الوجه.

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٢١١).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٨/ ٣١)، **وانظر**: تهذيب اللغة: (٧/ ١٥٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢/ ٧، ٥١٣)، لسان العرب: (٣/ ٢٣٩)، (٤/ ٢٢٨).

وقد قال في سورة المُلكِ: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وهو بيان ما في المخلوقات من لطف الحكمة التي تتضمن إيصال الأمور إلى غاياتها بألطف الوجوه؛ كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وهذا يستلزم العلمَ بالغايةِ المقصودةِ، والعلمَ بالطريقِ المُوَصِّل، وكذلك الخبرة»[١].

وقال رحمه الله ـ في بيان دلالة آية الملك على علمه تعالى بالجزئيات ـ: «وهذه الآية تدل على كونه عالمًا بالجزئيات من طرق:

أحدها: من جهة كون الخلق يستلزم العلمَ بالمخلوقِ.

والثاني: من جهة كونِهِ في نفسِهِ لطيفًا خبيرًا، وذلك يوجِبُ علمه بدقيق الأشياء وخَفِيِّها.

ثم يقال: «اللطيفُ الخبيرُ» علمه بنفسه أولى من علمه بغيره، وعلمه بنفسه مستلزمٌ لعلمه بلوازمِ ذاته كما تقدم، فقد تضمنت الآية هذه الطرق الثلاثة»[٢].

۞ الفرع السابع ۞

شرح أسماء الجلال: «السميع» «البصير»، و«الرقيب» «الشهيد»

من الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية، والتي تناولها شيخ الإسلام رحمه الله ببيان شيء من معانيها ـ: أسماء العظمة والجلال: «السميع» «البصير»، و«الرقيب» «الشهيد»؛ فقد قرّر شيخ الإسلام رحمه الله جملة من ذلك في العديد من المواضع من كتبه:

ففي إشارته رحمه الله إلى الطرق التي يثبت بها كون الله عز وجل «سميعًا بصيرًا»، في أثناء تعليقه على كلام صاحب العقيدة الأصفهانية لمَّا قال: «والدليل على كونه سميعًا بصيرًا السمعياتُ» ـ: قال شيخ الإسلام رحمه الله:

---

(١) تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل: (١٠/ ١١٧)، **وانظر**: (١٠/ ١٢٤).

«قلت: إثبات كونه سميعًا بصيرًا، وأنه ليس هو مجردَ العلمِ بالمسموعاتِ والمرئياتِ، هو قول أهل الإثبات قاطبة، من أهل السُّنَّة والجماعة، من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف، والمتكلمين من الصفاتية؛ كأبي محمد بن كُلَّاب، وأبي العباس القَلَانِسِيِّ[1]، وأبي الحسنِ الأشعريِّ، وأصحابه، وطائفةٍ منَ المعتزلةِ البصريينَ؛ بل قدماؤهم على ذلك، ويجعلونه سميعًا بصيرًا لنفسه، كما يجعلونه عالمًا قادرًا لنفسه، وإثبات ذلك كإثبات كونه متكلمًا؛ بل هو أقوى من بعض الوجوه؛ فإن المعتزلة البصريين يثبتونه مدركًا، مثل كونه عليمًا قديرًا، بخلاف كونه متكلمًا؛ فإنه من باب كونه خالقًا.

وللناس في إثبات كونه سميعًا بصيرًا طرق؛ أحدُها: السمعُ، كما ذكره، وهو ما في الكتاب والسُّنَّة من وَصفِهِ بأنه سميعٌ بصيرٌ، ولا يجوز أن يُراد بذلك مجردُ العلمِ بما يُسمَع ويُرَى؛ لأن الله فرّق بين العلم وبين السمع والبصر، وفرَّق بين السمع والبصر، وهو لا يفرِّقُ بين علم وعلم لتنوع المعلومات؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧]؛ ذكر سمعه لأقوالهم وعلمه، ليتناول باطن أحوالهم، وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وفي السنن عن النبي ﷺ: (**أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى المِنْبَرِ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، **وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَسَبَّابَتَهُ عَلَى عَيْنِهِ**)[2]، ولا ريب

(١) أحمد بن عبد الرحمٰن بن خالد القلانسي، أبو العباس الرازي، عاصر أبا الحسن الأشعري، وكان على اعتقاد ابن كُلَّاب، تصانيفه زادت على المائة وخمسين كتابًا، منها ردوده على النظام المعتزلي.
انظر ترجمته في: تبيين كذب المفتري ص: (٣٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية، برقم: (٤٧٢٨)، وصححه الألباني.

أن مقصوده بذلك تحقيقُ الصفةِ، لا تمثيلُ الخالقِ بالمخلوق، فلو كان السمع والبصر العلمَ، لم يَصِحَّ ذلك»(١).

وفي بيان شمول بصره ﷻ للمُبصَرات، وسَمعِهِ للمسموعاتِ وذلك من مقتضى اسمَيهِ «السميع» «البصير» ـ: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعضُ الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم، فهو كافر؛ بل هو سبحانه يعلم السِّرَّ وأخفَى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير، يسمع ضَجِيجَ الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في السياق نفسه ـ: «وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ورُوِيَ أن بعض الصحابة قال: يا رسول الله، هل ربنا قريبٌ فنناجيه؟ أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ فهو سبحانه سميع قريب مجيب رحيم»(٣).

وفي تقرير أن السمعَ إذا ورد في النصوص، يراد به السمع العام؛ الذي هو إدراك المسموعات، ويراد به أحيانًا السمعُ الخاصُّ؛ وهو سمع الإجابة ـ: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، فالمراد بالسمع ها هنا السمعُ الخاصُّ، وهو سمع الإجابة والقَبولِ، لا السمعُ العامُّ؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك، فالدعاء دعاء العبادة ودعاء الطلب، وسَمْعُ الربِّ تعالى له، إثابته على الثناء، وإجابته للطلب، فهو سميع هذا وهذا»(٤).

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) الواسطة بين الحق والخلق ص: (٢٦)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١/١٢٧)، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم ضمن مجموع الفتاوى: (٢/٣٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى: (١١/٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٥/١٤)، **وانظر**: الفرقان بين الحق والباطل ص: (١٥٦ ـ ١٥٧)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٤ ـ ٩٦).

وفي تفصيلٍ بديعٍ لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ لمعاني بعض الآيات التي ورد فيها اسم الجلال «الشهيد» ـ: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ فيها وجهان:

قيل: هو جواب السائل، وقوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ خبر مبتدأ؛ أي: هو شهيد.

وقيل: هو مبتدأٌ، وقوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ خَبَرُهُ؛ فأغنى ذلك عن جواب الاستفهام.

والأول: على قراءة من يقف على قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، **والثاني**: على قراءة من لا يقف، وكلاهما صحيح، لكن الثانِيَ أحسَنُ، وهو أَتَمُّ، وكل أحد يعلم أن الله أكبر شهادة، فلما قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، عُلم أن الله أكبر شهادة من كل شيء، فقيل له: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ولما قال: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، كان في هذا ما يغني عن قوله: إن الله أكبر شهادة؛ وذلك أن كونَ الله أكبرَ شهادةً هو معلومٌ، ولا يثبت بمجرد قوله: أكبر شهادة، بخلاف كونه شهيدًا بينه وبينهم؛ فإن هذا مما يعلم بالنصِّ والاستدلال، فينظر هل شهد الله بصدقه وكذبهم في تكذيبه، أم شهد بكذبه وصدقهم في تكذيبه، وإذا نظر في ذلك، عُلِمَ أن اللهَ شَهِدَ بصدقه وكذبهم بالنوعين من الآيات: بكلامه الذي أنزله، وبما بيّن أنه رسولٌ صادقٌ؛ ولهذا أعقبه بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فإن هذا القرآن فيه الإنذار، وهو آية شَهِدَ بها أنه صادق، وبالآيات التي يظهرها في الآفاق، وفي الأنفس حتى يتبين لهم أن القرآن حق، وقوله في هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

وكذلك قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣]، وكذلك قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت: ٥٢]، وكذلك قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأحقاف: ٨]؛ فذكر سبحانه أنه شهيد بينه وبينهم، ولم يقل شاهد علينا، ولا شاهد لي؛ لأنه

ضمّن الشهادة الحُكْمَ؛ فهو شهيد يحكم بشهادته بيني وبينكم، والحُكمُ قَدْرٌ زائدٌ على مجرد الشهادةِ؛ فإن الشاهد قد يؤدي الشهادة، وأما الحاكم، فإنه يحكم بالحق للمُحِقِّ على المبطل، ويأخذ حَقَّهُ منه، ويعامل المُحِقَّ بما يستحِقُّهُ، والمبطِلَ بما يستحِقُّهُ، وهكذا شهادة الله بين الرسول ومتبعيه وبين مكذبيه؛ فإنها تتضمن حُكمَ الله للرسول وأتباعه، يحكم بما يظهره من الآيات الدالة على صدق الرسول على أنها الحق، وتلك الآيات أنواع متعددة، ويحكم له أيضًا بالنجاة والنصر والتأييد وسعادة الدنيا والآخرة، ولمكذبيه بالهلاك والعذاب وشقاء الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨]؛ فيُظهِرُهُ بالدلائل والآيات العلميةِ التي تبيّن أنه حقٌّ، ويُظهِرُهُ أيضًا بنَصرِهِ وتأييده على مخالفيه، ويكون منصورًا؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهذه شهادة حُكمٍ، كما قدمنا ذلك في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال مجاهد، والفَرَّاءُ[1]، وأبو عُبيدةَ[2]: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: «حكم وقضى»[3]، لكن الحكم في قوله: ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أظهر، وقد يقول الإنسان لآخر: فلان شاهِدٌ بيني وبينك؛ أي: يَتحمَّلُ الشهادةَ بما بيننا، فالله يشهد بما أنزله ويقوله، وهذا مثل الشهادة على أعمال العباد، ولَكِنِ المكذبون ما

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، أبو زكريا الديلمي الإمام الأديب، النحوي، اللغوي، الحجة، صاحب التصانيف، توفي سنة: ٢٠٧هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١١٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٢/ ١٩).

(٢) مَعْمَر بن المثنى التيمي مولاهم، أبو عبيدة البصري، النحوي، صاحب التصانيف التي تقارب مائتي مصنف، ولد سنة: ١١٠هـ، وتوفي سنة: ٢٠٩ أو ٢١٠هـ، وكان يرى رأي الخوارج.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (١٣/ ٢٥٢)، سير أعلام النبلاء: (٩/ ٤٤٥).

(٣) **انظر**: زاد المسير في علم التفسير ص: (١٨٣).

كانوا ينكرون التكذيب، ولا كانوا يتهمون الرسول بأنه ينكر دعوى الرسالة، فيكون الشهيد بتضمن الحُكم أثبتَ وأشبَهَ بالقرآن، والله أعلم»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير بعض ما دلّ عليه اسم الجلال «الشهيد» من المعاني، في معرض بيان المعنى الصحيح للخلافة، أنها لا تعني بحال في النصوص التي وردت فيها ـ: «أن الله يخلفه غيره؛ فإن الخلافة إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه **شَهِيدٌ** مُدَبِّرٌ لخَلقِهِ، لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو سبحانه خالقُ الأسبابِ والمُسَبَّبَاتِ جميعًا؛ بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن، إذا غاب عن أهله»[(٢)].

وفي تقرير المعنى نفسِهِ؛ من تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكون غائبًا عن المخلوقات؛ بل هو الشهيدُ عليهم بكل حال، المُطَّلع على جميع أحوالهم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو سبحانه شَهِدَ وَحْدانيتهم في إلاهيته، متضمنة شهادته لجميع خلقه؛ فإنه **شهيد** عليم، ليس عن المخلوقات بغائب»[(٣)].

كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير شيء من معاني اسمه تعالى «الرقيب» في أثناء رده على ما نسبه النصارى الضُّلَّال من هذه المعاني المختصة بالله عَزَّ وَجَلَّ نسبوها زورًا وبهتانًا إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلا الله؛ فإن قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ﴾ يدل على الحصر؛ كقوله: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] ونحو ذلك؛ فعُلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيبًا على أتباعه؛ بل الله هو الرقيب المُطَّلِع عليهم، المُحصِي أعمالَهُم، المُجازِي

(١) مجموع الفتاوى: (١٤/١٩٣ ـ ١٩٥)، **وانظر**: (١٤/١٨٩ ـ ١٩٠)، (١٥/٧٣)، الحسنة والسيئة ص: (٣٨)، النبوات: (٢/٨٦٢ ـ ٨٦٣)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٣/٢٣٩)، بيان تلبيس الجهمية: (٥/٩١).

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: (١/٥١٠)، **وانظر**: بيان تلبيس الجهمية: (٦/٥٨٩ ـ ٦١١).

(٣) الاستقامة: (١/١٩٥).

عليها، والمسيح ليس برقيب؛ فلا يطلع على أعمالهم، ولا يحصيها، ولا يجازيهم بها»(١).

۞ الفرع الثامن ۞

شرح أسماء الجلال: «القريب» «المجيب»

من الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية التي عيّنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في جَمعِهِ للأسماء الحسنى ضمن هذا النوع ـ: اسما الجلال: «القريب» «المجيب»، وكثيرًا ما يورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذين الاسمين في سياق كلامه عن صفة المعية والقرب في حق الله عَزَّوَجَلَّ؛ ومن ذلك ما ورد في جواب له عن سؤال عن الطريقة الصحيحة في الجمع بين استواء الله على عرشه ومعيته وقربه من خلقه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أنه تعالى وَصَفَ نفسَهُ بالمعية وبالقرب، والمعية معيتان: عامة وخاصة:

فالأولى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ،، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما القرب، فهو كقوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]»(٢).

ثم استطرد رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان افتراق الناس في صفة العلو والمعية والقرب، إلى أن قال ـ في الصنف الرابع وهم أهل السُّنَّة والجماعة من سلف هذه الأمة وأئمتها ـ: «الرابع: هم سلف الأمة وأئمتها، أئمة أهل العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة؛ فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، أثبتوا أن الله فوق سمٰواته على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائنون منه.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٣٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (٥/ ١٢٢)، وانظر: (٥/ ٢٢٧).

وهو أيضًا مع العباد عمومًا بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضًا **قريب مجيب**، ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم، وكان النبي ﷺ يقول: (**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**)(١)؛ فهو سبحانه مع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الردّ على من وصف الله ﷻ بالقرب المطلق، وبيان أن القرب الوارد في النصوص إنما هو قرب خاصٌّ لا عامٌّ ـ: «وليس في القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلًا؛ بل قربه الذي في القرآن خاص لا عامٌّ؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهو سبحانه قريب ممن دعاه، وكذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**)(٣)، فقال: (**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ**)، لم يقل: إنه قريبٌ إلى كل موجود، وكذلك قول صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، هو كقول شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، ومعلوم أن قوله: ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به: قريب مجيب لاستغفارِ المستغفرينَ التائبينَ إليه، كما أنه رحيم ودود بهم، وقد قرن **القريب بالمجيب**، ومعلوم أنه لا يقال: إنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه ﷻ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج أو غيره، برقم: (٣٢٦٢).
(٢) مجموع الفتاوى: (٥/١٢٦ ـ ١٢٧)، **وانظر**: (٥/١٢٨ ـ ١٣١، ٢٣١، ٢٣٢ ـ ٢٣٤).
(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٦٤).

وأسماء الله المطلقة كاسمه: «السميع»، و«البصير»، و«الغفور»، و«الشكور»، و«المجيب»، و«القريب» ـ: لا يجب أن تتعلق بكل موجود؛ بل يتعلق كل اسم بما يناسبه، واسمه: «العليم» لمَّا كان كل شيء يصلح أن يكون معلومًا، تعلق بكل شيء.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٥]، فالمراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف، قالوا: مَلَكُ المَوت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون الملائكة(١)، وقد قال طائفة: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: بالعلم، وقال بعضهم: بالعلم والقدرة، ولفظ بعضهم: بالقدرة والرؤية(٢).

وهذه الأقوال ضعيفة؛ فإنه ليس في الكتاب والسُّنَّة وَصفُهُ بقربٍ عامٍّ من كل موجود، حتى يحتاجوا أن يقولوا: بالعلم والقدرة والرؤية؛ ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يُوصَفُ بالقرب من كل شيء، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء.

وكأنهم ظنوا أن لفظ: «القرب» مثل لفظ: «المعية»؛ فإن لفظ «المعية» في سورتي الحديد والمجادلة؛ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) **انظر**: جامع البيان: (٢٠٩/٢٧)، زاد المسير في علم التفسير ص: (١٣٩٤).

(٢) **انظر**: معالم التنزيل: (٢٩١/٤)، زاد المسير في علم التفسير ص: (١٣٩٤).

وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه[١]، وقد ذكر ابن عبد البر[٢] وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان معنى قربه وإجابته التي يقتضيها اسماه تعالى: «القريب» «المجيب»: «وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

وروي أن بعضَ الصحابة قال: يا رسول الله، هل ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤]؛ فهو سبحانه سميع قريب مجيب رحيم، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وهو يعلم من أحوال العباد ما لا يعلمه غيره، ويقدر على قضاء حوائجهم التي لا يقدر عليها غيره، ويرحمهم رحمة لا يرحمهم بها غيره»[٥].

ومن باب تفسير الأسماء بعضها ببعض لقرب معناها، أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن من معاني اسم الجلال: «المغيث» هو: «المجيب»؛ فقد نقل هذا التفسير عن بعض المصنفين في شرح الأسماء الحسنى، وأقرّه؛ بل احتج به في بيان معنى اسم الجلال: «المغيث»، وسيأتي تفصيل الكلام عليه قريبًا، ومما قاله في ذلك: «يقال: أغاثه، إغاثةً، وغياثًا، وغوثًا، وهذا الاسم في هذا المعنى: المجيب والمستجيب؛ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ﴾ [الأنفال: ٩]، إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال، والاستجابة

---

(١) **انظر**: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/٤٨ ـ ٤٩).
(٢) **انظر**: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (٧/١٣٨ ـ ١٣٩).
(٣) شرح حديث النزول ص: (٣٥٤ ـ ٣٥٦)، **وانظر**: ص: (٣٦٤ ـ ٤٦٥)، مجموع الفتاوى: (٦/١٢ ـ ٢٤)، (١٥/١٧)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٣٠٦ ـ ٣٠٧)، العقيدة الواسطية ص: (٨٥).
(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٦٤).
(٥) مجموع الفتاوى: (١١/٤٩٨ ـ ٤٩٩)، **وانظر**: فصل في الفاتحة، ضمن مجموع الفتاوى: (١٤/٣٣).

أحق بالأقوال، وقد يقع كل منهما موقع الآخر»(١).

۞ الفرع التاسع ۞

شرح أسماء الجلال:

«القدير» «القهار» «الجبار» «المتكبر» «المهيمن»

تناول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ المعانِيَ التي تضمنتها هذه الأسماء في مواضع عدة من مؤلفاته، من ذلك:

ما جاء في بيانه لبعض المعاني التي تضمنها اسم الجلال: «القدير»؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولهم(٢): تجري مجرى أسماء، فإن أرادوا بذلك أسماء أعلام أو جامدة وسائرها صفات، فاسم الحيِّ والعالِم اسمٌ مشتقٌّ يدل على معنى العلم والحياة، كما يدل القدير على القدرة، وإن أرادوا أنه يسمى بها؛ فللَّه تعالى أسماءٌ كثيرةٌ، فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى.

ومن أسمائه القدير، والقدرة تستلزم من قدرته على المخلوقات ما لا يدل عليه العلم، وخلقه للمخلوقات يدل على قدرته أبلغ من دلالته على علمه، واختصاصه بالقدرة أظهر من اختصاصه بالعلم، حتى إن طائفة من النظار؛ كأبي الحسن الأشعري وغيره، يقول: أخصُّ وصفه القدرة على الاختراع، فلا يوصف بذلك غيره.

والجهم بن صفوان قبله يقول: ليس في الوجود قادر غيره، ولا لغيره قدرة، والأشعري وإن أثبت للمخلوق قدرةً؛ لكن يثبت قدرة لا تؤثر في المقدور، ولم يقل أحد من العقلاء: إن أخص وصفه الحياة والعلم، ولا: إن غيره ليس بحي ولا عالم، فكان جعل القدير اسمًا وغيره صفة ـ إن كان الفرق حقًّا ـ أولى من العكس؛ فكيف إذا كان الفرق باطلًا؛ فإن أسماءه

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٢) أي: النصارى، وشيخ الإسلام أورد هذا الكلام في معرض رده عليهم في دعواهم أن الأقانيم التي يزعمونها صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء.

تعالى التي يعرفها الناس هي أسماء، وهي صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معانٍ، وهي صفاته القائمة به:

فالحي يدل على الحياة، والعليم يدل على العلم، والقدير يدل على القدرة، هذا مذهب سلف الأمة وجماهير الأمم، ومن الناس فرقة شاذة تزعم أن هذه الأسماءَ لا تدلُّ على معانٍ، كأسماء الأعلام»[(١)].

وفي تقرير بعض المعاني التي ذُكرت في اسم الجلال: «الجبار»، والتي بحثها رَحِمَهُ اللَّهُ عند كلامه على لفظ «الجبر» مفصِّلًا القولَ فيه ـ: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لفظ «الجبر» لم يرد في كتاب ولا سُنَّة، لا بنفي ولا إثبات، واللفظ إنما يكون له حُرمةٌ إذا ثبت عنِ المعصومِ، وهي ألفاظُ النصوصِ، فتلك علينا أن نتبع معانيها، وأما الألفاظ المحدثة؛ مثل: لفظ «الجبر»؛ فهو مثل لفظ «الجهة» و«الحيز» ونحو ذلك.

ولهذا كان المنصوصُ عن أئمة الإسلام؛ مثل الأوزاعيِّ[(٢)]، والثوريِّ[(٣)]، وعبد الرحمٰن بن مهدي[(٤)]، وأحمد بن حنبل[(٥)] وغيرهم ـ: أن هذا اللفظَ لا يُثْبَت ولا يُنْفَى مطلقًا؛ فلا يقال مطلقًا: جَبَرَ، ولا يقال: لم يجبر؛ فإنه لفظ مجمل.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، **وانظر**: (٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، شرح حديث جبريل ص: (٤٧٠ ـ ٤٧١).

(٢) **انظر** الأثر الذي أشار إليه شيخ الإسلام في: كتاب «السُّنَّة» للخلال: (٣/ ٥٥٥)، برقم: (٩٣٢).

(٣) **انظر** الأثر الذي أشار إليه شيخ الإسلام في: كتاب «السُّنَّة» للخلال: (٣/ ٥٥٣)، برقم: (٩٢٩).

(٤) عبد الرحمٰن بن مهدي بن حسان العنبريُّ أبو سعيد البصريُّ اللؤلؤيُّ، الحافظ الكبير، الإمام الثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم، توفي بالبصرة سنة: ١٩٨هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي: (١٧/ ٤٣٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي: (١/ ٣٢٩).
وانظر الأثر الذي أشار إليه شيخ الإسلام في: كتاب «السُّنَّة» للخلال: (٣/ ٥٥٣)، برقم: (٩٢٩).

(٥) **انظر** الآثار التي أشار إليها شيخ الإسلام في: السُّنَّة للخلال: (٣/ ٥٥٠ ـ ٥٥٩).

ومن علماء السلف من أطلق نفيه كالزبيدي(١) صاحب الزهري، وهذا نظر إلى المعنى المشهور من معناه في اللغة، فإن المشهور إطلاق لفظ الجبر والإجبار على ما يفعل بدون إرادة المجبور؛ بل مع كراهته، كما يجبر الأب ابنته على النكاح.

وهذا المعنى منتفٍ في حق الله تعالى؛ فإنه سبحانه لا يخلق فعل العبد الاختياري بدون اختياره؛ بل هو الذي جعله مريدًا مختارًا، وهذا لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله.

ولهذا قال من قال من السلف: «الله أعظمُ وأجلُّ من أن يُجبَر، إنما يجبر غيره من لا يقدر على جعله مختارًا، والله تعالى يجعل العبد مختارًا؛ فلا يحتاج إلى إجباره»(٢).

ولهذا قال الأوزاعي والزبيدي وغيرهما، نقول: جَبَل، ولا نقول: جَبَر؛ لأن الجَبْلَ جاءت به السُّنَّة؛ كما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لأشَجِّ عبدِ القَيسِ(٣): **(إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)**، فقال: أخُلُقين تَخلَّقْتُ بهما، أم خُلقين جُبِلت عليهما؟ فقال: **(بَلْ خُلُقَيْنِ جُبِلْتَ عَلَيْهِمَا)**، فقال: الحمد لله؛ الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله(٤).

---

(١) محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي، أبو الهذيل الحمصي، الحافظ الإمام الثقة، قاضي حمص، أخرج له أصحاب الكتب الستة ما عدا الترمذي، من أثبت الناس في روايته عن الزهري، توفي سنة: ١٤٨هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (٢٦/ ٥٧٦)، سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٨١).
وانظر الأثر الذي أشار إليه شيخ الإسلام في: السُّنَّة للخلال: (٣/ ٥٥٥)، برقم: (٩٣٢).

(٢) هذا قول الزبيدي، **انظر**: السُّنَّة للخلال: (٣/ ٥٥٥)، برقم: (٩٣٢).

(٣) المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث العصري العبدي من عبد القيس، يعرف بالأشج، وفد على النبي ﷺ مع وفد عبد القيس، وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام.
انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٤/ ١٤٤٨)، الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ٢١٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤/ ٢٠٥)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح»: (٢٩/ ٣٦١). =

فقد يُراد بلفظ الجبر نفسُ فعلِ ما يشاؤه، وإن خلق اختيار العبد؛ كما قال محمد بن كعبٍ القُرَظِيُّ[١]: «الجَبَّارُ هو الذي جَبَرَ العبادَ على ما أراده»[٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ـ في الدعاء المأثور عنه ـ: «اللَّهُمَّ دَاحِيَ المَدْحُوَّاتِ، وَسَامِكَ المَسْمُوكَاتِ، جَبَّارَ القُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا؛ شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا»[٣].

فإذا أريد بالجبر هذا، فهذا حقٌّ، وإن أريد به الأول، فهو باطل؛ ولكن الإطلاق يُفهَمُ منه الأولُ؛ فلا يجوز إطلاقه.

فإذا قال السائل: أنا أريد بالجبر المعنى الثانِيَ؛ وهو أن نفس جعل الله العبدَ فاعلًا قادرًا يستلزمُ الجبرَ، ونفسَ كونِ الداعي والقدرةِ يستلزمُ وجودَ الفعل جَبرٌ.

قيل: هذا المعنى حقٌّ، ولا دليل لك على إبطاله»[٤].

وقد نقلتُ هذا الكلامَ بطوله، مع أن المقصودَ منه ربطُ الأثر الذي أورده شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير اسم الله «الجَبَّار» عن محمد بن كعب القرظي، والدعاء المأثور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمعنى الصحيح للجبر؛ وذلك حتى تتضح القضية، وهذا الموضع الذي أوردته فيه تلخيص

= وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قُبلة الرجل، برقم: (٥٢٢٥)، وصححه الألباني.

(١) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة المدني، العلامة الصادق المفسر، قال عنه شيخ الإسلام رحمه الله: «وهو من أفاضل تابعي أهل المدينة وأعيانهم، وربما فضل على أكثرهم»، توفي سنة: ١٠٨هـ.
انظر ترجمته في: الجرح والتعديل: (٨/ ٦٧)، مجموع الفتاوى: (٨/ ٣٩٥)، سير أعلام النبلاء: (٥/ ٦٥).

(٢) أخرجه الخلال في السُّنَّة: (٣/ ٥٥٧) برقم: (٩٣٥)، وقال المحقق: «إسناده ضعيف».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٦/ ٦٦)، كتاب الدعاء، برقم: (٢٩٥٢٠)، وأورده ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١٨/ ٧٩).

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨).

من شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لهذه القضية، وإلا فإنه قد تناولها في العديد من مؤلفاته بالاختصار أحيانًا، وبالتفصيل أحيانًا أخرى؛ فاكتفيت بنقل هذا الموضع الذي يحصل به المقصود؛ إذ هو في نظري من أجمعها وأكثرها إحاطة بالموضوع(١).

وأما في تحرير المقصود من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ مما يتعلق باسم: «الجبار» ـ: فهو الإشارة إلى أن لفظ «الجبر» لا يجوز نفيه مطلقًا؛ لأنه قد يراد منه معنًى صحيحٌ؛ «بحيث يتناول كل من قهر غيره، وقدر عليه؛ فجعله فاعلًا لما يشاء منه، وإن كان هو المحدِثَ لإرادته وقدرته عليه.

قال محمد بن كعب القرظي في اسم الله: «الجبار» قال ـ: «هو الذي جبر العباد على ما أراد»، وكذلك ينقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال في الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ دَاحِيَ المَدْحُوَّاتِ، وَبَارِيَ المَسْمُوكَاتِ، جَبَّارَ القُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا؛ شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا».

والجبر من الله بهذا الاعتبار معناه: القهر والقدرة، وأنه يقدر أن يفعل ما يشاء، ويجبر على ذلك، ويقهرهم عليه، فليس كالمخلوق العاجز الذي يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، ومِنْ جَبْرِهِ وقَهْرِهِ وقُدْرتِه أن يجعل العباد مريدين لما يشاء منهم، إما مختارين له طَوْعًا، وإما مريدينَ له مع كراهتهم له، ويجعلهم فاعلين له، وهذا الجبرُ الذي هو قهره بقدرته لا يقدر عليه غيره، وليس هو كإجبار غيره وإكراهه من وجوه:

منها: أن ما سواه عاجزٌ؛ لا يقدر أن يجعل العباد مريدين لما يشاؤه، ولا فاعلين له.

ومنها: أن غيره قد يجبر الغير ويكرهه إكراهًا يكون ظالمًا به، والله تعالى عادل، لا يظلم مثقال ذرة.

---

(١) **انظر**: درء تعارض العقل والنقل: (١/ ٦٦ ـ ٧٢، ٢٥٤ ـ ٢٥٦)، مجموع الفتاوى: (٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٦)، (٨/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥، ٤٦٤ ـ ٤٦٥)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ١٠٣ ـ ١٠٥، ١٣١ ـ ١٣٢).

ومنها: أن غيره قد يكون جاهلًا أو سفيهًا؛ لا يعلم ما يفعله وما يجبر عليه، ولا يقصد حكمة تكون غير ذلك، والله عليم حكيم، ما خلقه وأمر به له فيه حكمة بالغة، صادرة من علمه وحكمته وقدرته»(١).

وفي بيان اقتضاء اسم الجلال: «الجبار» للسيطرة على الخلق والقدرة عليهم ـ: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [ق: ٤٥]، و: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ونحو ذلك، وهو يدلّ بمفهومه على أن الربّ هو الجبّار عليهم المسيطر، وذلك يستلزم قدرته عليهم»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريره لتضمُّنِ لفظ: «الجبروت» لمعنى اسم الجلال: «الجبار»: «وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: **(سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ، وَالمَلَكُوتِ، وَالكِبْرِيَاءِ، وَالعَظَمَةِ)**(٣)، **والجبروت والملكوت**: فَعَلُوتُ الجبرِ والمُلكِ؛ كالرحموت، والرغبوت، والرهبوت، فَعَلُوت منَ الرحمةِ، والرغبةِ، والرهبةِ، والعرب تقول: رَهَبُوت خيرٌ من رَحَمُوت؛ **أي**: أن ترهب خير من أن ترحم(٤).

فالجبروت والملكوت يتضمن من معاني أسماء الله تعالى وصفاته ما دلّ عليه معنى «الملك» «الجبار»»(٥).

أما اسم الجلال: «المتكبر» فقد أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعض المعاني التي تضمنها هذا الاسم من تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ عن النقائص والعيوب فقال: «وقال قتادة(٦) في اسمه «المتكبر»: «إنه الذي تكبّر عن السوء»(٧)،

---

(١) مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥). (٢) مجموع الفتاوى: (٨/ ١١).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٦٤).

(٤) **انظر**: تهذيب اللغة: (٦/ ١٥٧)، لسان العرب: (١/ ٤٣٦).

(٥) الرد على المنطقيين ص: (١٩٦).

(٦) قتادة بن دعامة السدوسي.

(٧) أورده عبد الرزاق في تفسيره: (٣/ ٢٨٥)، والطبري في جامع البيان: (٢٨/ ٥٦)، وأبو الشيخ في العظمة: (١/ ٣٤٢)، برقم: (٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير ص: (١٤٢١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٣٤٤).

وعنه أيضًا: «إنه الذي تكبّر عن السيئات»[(١)]:

فهو سبحانه منزهٌ عن فعل القبائح، لا يفعل السوء ولا السيئات، مع أنه سبحانه خالق كل شيء؛ أفعالِ العباد وغيرِها»[(٢)].

وفي بيان اختصاص الله ﷻ باسمَي الجلال: «الجبّار» «المتكبر»، وبالمعاني التي يدلان عليها، بحيث لا يجوز للعبد الاتصاف بها ـ: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وصنف أبو حامد[(٣)] شرح أسماء الله الحسنى، وضمَّنه التشبُّهَ بالله في كل اسم من أسمائه، وسمَّاهُ التخلُّقَ[(٤)]، حتى في اسمه: «الجبار»[(٥)]، و«المتكبر»، و«الإله»، ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله، وأنه ليس للعباد فيها نصيب؛ كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم[(٦)] وغيره: **(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: العَظَمَةُ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، عَذَّبْتُهُ)**[(٧)].

وسلك هذا المسلكَ ابنُ عربيٍّ[(٨)] وابنُ سبعينَ[(٩)] وغيرهما من ملاحدة الصوفية، وصار ذلك ـ مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد ـ موقعًا لهم في الحلول والاتحاد.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو في معنى ما قبله، والله أعلم.

(٢) رسالة في معنى كون الرب عادلًا وتنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٣٠).

(٣) الغزالي وكتابه المشار إليه هو: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

(٤) **انظر**: المقصد الأسنى ص: (٦١ ـ ٦٢)، ويستثني الغزالي اسم الجلالة «الله»، فإنه لا يمكن أن يتصور فيه مشاركة.

(٥) **انظر**: المقصد الأسنى ص: (٧٤).

(٦) في صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم: (٦٦٢٣) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: **(العِزُّ إِزَارُهُ، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ)**.

(٧) الحديث بهذا اللفظ تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٣).

(٨) محمد بن علي بن محمد محيي الدين ابن عربي.

(٩) تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٥٤).

وقد أنكر المازري[١] وغيره على أبي حامد ما ذكره في التخَلُّقِ، وبالغوا في النفي، حتى قالوا: ليس لله اسم يتخلق به العبد.

ولهذا عدل أبو الحكم بن بَرَّجَانَ[٢] عن هذا اللفظ إلى لفظ التعبّد[٣]، ولبسط الكلام على ذلك موضع آخر؛ فإن من أسمائه وصفاته ما يُحمد العبد على الاتصاف به؛ كالعلم، والرحمة، والحكمة، وغير ذلك، ومنها ما يُذَمُّ العبد على الاتصاف به؛ كالإلهية، **والتجبُّر، والتكبُّر**»[٤].

وفي تقرير بعض معاني اسم الجلال: «القهار»، وذلك في معرض بيان شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن أهل السُّنَّة والجماعة من مثبتة القدر، بخلاف المعتزلة ومن وافقهم من نفاة القدر، وذلك أن تعلق كل شيء بمشيئته وقدرته من مقتضى اسمَيهِ: «الواحدِ القهَّارِ» ـ: قال: «وأما أهل السُّنَّة والحديث، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وعلماء أهل السُّنَّة والحديث رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فآمنوا بالكتاب كُلِّه، ولم يحرفوا شيئًا من النصوص، وقالوا: نحن نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ونقول: إن الله خالق كل شيء وربُّهُ ومَلِيكُهُ؛ فكل ما سوى الله مخلوق له، حادثٌ بمشيئتِهِ وقدرتِهِ، ولا يكون في مُلكِهِ ما لا يشاؤه ويخلقه، فلا يقدر أحدٌ أن يمنع الله عمَّا أراد أن يخلُقَهُ ويكوِّنَهُ؛ فإنه **الواحد القهار**، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]»[٥].

فبيّن شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ شيئًا مما يتعلق بباب القدر، رابطًا إياه بمقتضى اسمَي الجلالِ: «الواحد» «القهار»، الذي يدل على أن كُلَّ شيء من خلقه تحت قَهرِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومُلكِهِ وسلطانه، هو المتصرف فيه بمقتضى مشيئته وقدرته وحكمته البالغة، التي لا يعزب عنها مثقال ذرة في السماء والأرض.

---

(١) تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٥٤). (٢) تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٥٥).

(٣) في كتابه شرح الأسماء الحسنى، وهو كتاب مفقود.

(٤) الصفدية: (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩)، **وانظر**: الرسالة الأكملية ص: (٧٠ ـ ٧١).

(٥) منهاج السُّنَّة النبوية: (٥/ ٣١١).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - في بيان ما يتعلق باسم الجلال: «المهيمن»، وما يدلّ عليه من معاني الكمال والعظمة والجلال: «ومن أسماء الله: «المهيمن»، ويسمَّى الحاكم على الناس، القائم بأمورهم: «المهيمن»، قال المبرّد[(١)] والجوهري[(٢)] وغيرهما: «المهيمن» في اللغة: المؤتمن[(٣)]، وقال الخليل[(٤)]: الرقيب الحافظ[(٥)]، وقال الخطَّابيُّ: «المهيمنُ»: الشهيدُ[(٦)]، قال[(٧)]: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة القيامُ على الشيءِ والرعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ بَـعْـدَ نَـبِـيِّـهِـمْ مُهَيْمِنُهُ التَّالِيهِ فِي العُرْفِ وَالنُّكْرِ[(٨)]

يريد القائم على الناس بالرعاية لهم.

وفي «مهيمن» قولان[(٩)]: قيل: أصله: مُؤَيْمِنٌ، والهاء مبدلة من

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس البصري، الإمام اللغوي النحوي الأخباري، صاحب الكامل في اللغة والأدب، اشتهر بالمبرِّد، توفي سنة: ٢٨٦هـ.
انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي: (٥/ ٤٨٠)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٥٧٦).

(٢) إسماعيل بن حماد التركي أبو نصر الأُتراري الفارابي الجوهري، إمام اللغة والأدب، وخَطُّه يُضرَب به المثل في الجودة، من أجود مؤلفاته: الصحاح في اللغة، توفي سنة: ٣٩٣.
انظر ترجمته في: معجم الأدباء: (٢/ ٢٠٥)، سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٨٠).

(٣) **انظر**: تهذيب اللغة: (٦/ ١٧٧)، الأسماء والصفات للبيهقي: (١/ ١٦٦)، لسان العرب: (١٣/ ٤٣٦).

(٤) الخليل بن أحمد بن عمر الفراهيدي، أبو عبد الرحمٰن البصري، إمام اللغة، ومنشئ عِلم العَروض، صاحب كتاب العين وهو من أوائل المعاجم التي ألفت في اللغة، توفي سنة بضع وستين ومائة.
انظر ترجمته في: معجم الأدباء: (٣/ ٣٠٠)، سير أعلام النبلاء: (٧/ ٤٢٩).

(٥) **انظر**: زاد المسير في علم التفسير ص: (١٤٢١).

(٦) **انظر**: شأن الدعاء ص: (٤٦).

(٧) **أي**: الخطابي، **انظر**: المصدر السابق.

(٨) القول لابن الأنباري، والبيت نقله من غير أن ينسبه لأحد، ولم أقف على قائله، **انظر**: تهذيب اللغة: (٦/ ١٧٧)، لسان العرب: (١٣/ ٤٣٧).

(٩) **انظر**: تهذيب اللغة: (٦/ ١٧٦)، الأسماء والصفات للبيهقي: (١/ ١٦٦)، زاد المسير في علم التفسير ص: (١٤٢١)، لسان العرب: (١٣/ ٤٣٧).

الهمزة، وقيل: بل الهاء أصلية»[(١)].

الفرع العاشر

شرح أسماء الجلال: «العزيز»، «الحكيم»، «الناصر»، «النصير»

من الأسماء الحسنى المفردة الدالة على الوحدانية، الجامعة للتنزيه والتحميد ـ: أسماء الجلال: «العزيز»، و«الحكيم»، و«الناصر»، و«النصير»، ولشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من الجهود في العديد من المواضع من مؤلفاته في تقرير معاني هذه الأسماء، من ذلك:

ما قاله رَحِمَهُ اللَّهُ في تقرير بعض معاني اسم الجلال: «العزيز»، في أثناء بيانه لبعض خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، التي لا تنبغي إلا له، فقال: «**وأنه العزيز؛ الذي لا يُنال**، وأنه قهار لكل ما سواه:

فهذه كلها صفاتُ كمالٍ لا يستحِقُّها إلا هو، فما لا يستحقه إلا هو كيف يكون كمالًا من غيره وهو معدوم لغيره؟! فمن ادعاه، كان مفتريًا، منازعًا للربوبية في خواصها»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]؛ فإن المخلوقَ يوالي المخلوق لذله، فإذا كان له من يواليه عزّ بوليّه، والربّ تعالى لا يوالي أحدًا لذلته تعالى؛ بل هو **العزيزُ بنفسِهِ** و: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وإنما يوالي عباده المؤمنين لرحمته، ونعمته، وحكمته، وإحسانه، وجوده، وفضله، وإنعامه»[(٣)].

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (٥٨)، **وانظر**: حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٢٧٢)، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/٤٢٨)، الجواب الصحيح: (٢/ ٢٧٢، ٤٢٨).

(٢) الرسالة الأكملية ص: (٧١ ـ ٧٢)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٦/ ١٣٩).

(٣) مجموع الفتاوى: (٨/ ٥٢٠).

ومما أشار إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ خَتمُهُ ﷻ للعديد من الآيات في كتابه العزيز باسمين من أسمائه الحسنى المناسِبة لمعنى تلك الآية، وكثيرًا ما يقرن ﷻ بين اسمه تعالى «العزيز»، وأسماءٍ أخرى؛ مثل: «الرحيم»، و«العليم»، و«الحكيم»؛ كما سبق بيانه في صيغ ورود هذا الاسم في النصوص.

فمما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان بعض المعاني المستخلَصَةِ من جمعه ﷻ بين اسم الجلال: «العزيز» و«الحكيم»، في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ـ: «وختمها بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، والعزّة تتضمن القدرة والشدة والامتناع والغلبة؛ تقول العرب: عزّ يعَزّ ـ بفتح العين ـ إذا صَلُب، وعزَّ يَعِزُّ ـ بكسرها ـ إذا امتنع، وعزَّ يَعُزُّ ـ بضمها ـ إذا غلب[1]، فهو سبحانه في نفسه قويٌّ متينٌ، وهو منيعٌ لا يُنال، وهو غالب لا يُغلب.

والحكيم يتضمن حُكمَهُ وعلمَهُ وحكمتَهُ فيما يقوله ويفعله، فإذا أمر بأمر، كان حسنًا، وإذا أخبر بخبر، كان صدقًا، وإذا أراد خَلْقَ شيءٍ كان صوابًا؛ فهو حكيم في إراداته وأفعاله وأقواله»[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في جمعه تعالى بين اسمه «العزيز» و«الرحيم»: «وهذا كثير في الكتاب العزيز؛ يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسل، ونجاة أتباع المرسلين؛ ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء[3] قصة موسى، وإبراهيم، ونوح، وعاد، وثمود، ولوط، وشعيب، ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم، والنجاة لهم ولأتباعهم، ثم يختم القصة بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨، ٩][4]، فختم

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة للأزهري: (١/ ٦٤ ـ ٦٦)، لسان العرب: (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٤/ ١٨٠)، **وانظر**: النبوات: (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٣) للإشارة، فإن اسم الجلال: «العزيز» أكثر ما ورد في القرآن الكريم في هذه السورة.

(٤) وانظر الآيات: [الشعراء: ٦٧ ـ ٦٨]، [الشعراء: ١٠٣ ـ ١٠٤]، [الشعراء: ١٢١ ـ ١٢٢]، =

القصة باسمين من أسمائه تقتضيهما تلك الصفة؛ وهو: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ فانتقم من أعدائه بعزته، وأنجى رسله وأتباعهم برحمته»(١).

ومن المفاهيم الخاطئة المتعلقة باسم الجلال: «العزيز»، والتي تصدى لها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مما يدخل ضمن الإلحاد في أسماء الله الحسنى ـ: تسميةُ الآلهةِ الباطلة بأسماءٍ مشتقَّةٍ من أسمائه الحسنى؛ ومن ذلك تسمية المشركين «العُزَّى» من اسم الجلال: «العزيز»؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، وهذه هي الأصنام الكبرى التي كانت بمدائن الحجاز؛ فإنه كانت اللّاتُ لأهل المدينة، والعُزَّى لأهل مكة، ومناة الثالثة الأخرى لأهل الطائف(٢).

وهذه كلها مؤنثة؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧].

وهذه جعلوها شركاء له؛ تُعبد من دونه، وسَمَّوْهَا بأسمائه مع التأنيث؛ كما قيل: إن اللات من الإلـٰه، والعزى من العزيز(٣)، ومناة من مَنِيَ يُمْنَى: إذا قدَّر(٤)، وكانوا يسمونها: الرَّبَّةَ، وهم سَمَّوْهَا بهذه الأسماء التي فيها وصفها لها بالإلـٰهية، والعزة، والتقدير، والربوبية، وهي أسماء سَمَّوْهَا هم وآباؤهم؛ ما أنزل الله بها من سلطان؛ أي: من كتاب وحُجَّة»(٥).

= [الشعراء: ١٣٩ ـ ١٤٠]، [الشعراء: ١٥٨ ـ ١٥٩]، [الشعراء: ١٧٤ ـ ١٧٥]، [الشعراء: ١٩٠ ـ ١٩١].

(١) قاعدة في وجوب الاعتصام بالرسالة، ضمن مجموع الفتاوى: (١٩/ ٩٨)، **وانظر**: النبوات: (١/ ٣٥٢).

(٢) سبق الحديث عنها بالتفصيل، **انظر**: ص: (٤٠٠).

(٣) تقدم أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، **انظر**: ص: (٣٩٩).

(٤) **انظر**: تهذيب اللغة: (١٥/ ٣٨٤)، لسان العرب: (١٥/ ٢٩٧)، القاموس المحيط ص: (١٧٢١)، المعجم الوسيط: (٢/ ٨٩٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، **وانظر**: الجواب الباهر في زوار المقابر ص: (٤٢ ـ ٤٦)، حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢٥٨ ـ ٢٥٩)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨).

وأما بالنسبة لاسم الجلال: «الناصر»، فقد أشار إليه رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء حديثه عن معنى: (الرِّبِّيين)؛ أتباعِ النبيِّ ﷺ من الصحابة، الذين ثبتوا معه على نصرة هذا الدين، والمشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ومن جملة ذلك الأحداث التي وقعت أثناء وبعد غزوة أُحد، وما أصاب الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بسببها منَ الغَمِّ والحزن، فسألوا الله عَزَّ وَجَلَّ جملة أشياء تخفف عنهم وَقْعَ تلك المصيبةِ، ومنها أنهم: «سألوه أن ينصرهم على القوم الكافرين، سألوا ربهم ما يفعل لهم في أنفسهم من التثبيت، وما يعطيهم من عنده من النصر؛ فإنه هو **الناصر** وحده، وما النصر إلا من عند الله، وكذا أنزل الملائكة عونًا لهم؛ قال تعالى لما أنزل الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان بعض مقتضيات اسم الجلال: «النصير» ـ: «إن الله هو الهادي، وهو النصيرُ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، وكل عِلم، فلا بد له من هداية، وكل عمل، فلا بد له من قوة، فالواجب أن يكون هو أصلَ كلِّ هدايةٍ وعلم، وأصلَ كلِّ نُصرةٍ وقوة، ولا يَستهدي العبدُ إلا إياه، ولا يستنصِرُ إلا إياه»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في السياق نفسِه ـ: «وهو الهادي النصير؛ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتابه الماتع «الصارم المسلول على شاتم

(١) الحسنة والسيئة ص: (١٢٤ ـ ١٢٥).
(٢) قاعدة أولية في أصل العلم الإلـهي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/١٩ ـ ٢٠).
(٣) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/٤٠١).

الرسول»: «الحمد لله الهادي النصير، فنعم النصير، ونعم الهاد، الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويبيّن له سُبُلَ الرَّشَادِ، كما هدى الذين آمنوا لما اخْتُلِف فيه من الحق، وجمع لهم الهدى والسداد، والذي ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد؛ كما وعده في كتابه، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد»(١).

۞ الفرع الحادي عشر ۞

شرح أسماء الجلال: «العلي»، «الأعلى»، «المتعالي»، «الكبير»

من الأسماء الحسنى التي تناولها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعيينًا وتقريرًا لبعض معانيها، مما صنفه ضِمنَ الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية، والجامعة للتنزيه والتحميد ـ: أسماء الجلال: «العَلِيّ»، «الأعلى»، «المتعالي»، و«الكبير»، ولن أُفرِدَ كلُّ اسم من هذه الأسماء الحسنى في هذا الفرع بذكر النقول التي بيّن فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا من معانيها؛ لتداخل الكلام حولها في نفس النقول، حتى لا يؤدي ذلك إلى تكرار النقول، وقد قرّر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ معاني هذه الأسماء في مواضع عدة من مؤلفاته؛ خاصة في سياق تقريره لصفة العُلُوِّ والاستواء، أو في الرد على المخالفين لأهل السُّنَّة الذين نفوا هاتين الصفتين، ومن ذلك:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كلام يشمل معاني هذه الأسماء الحسنى ـ: «وكذلك اسم «العَلِيّ» و«العظيم» و«الكبير»؛ يدل على أنه فوقَ العالم، وأنه عظيمٌ وكبيرٌ، وذلك يستلزم أنَه مباينٌ للعالَمِ، متحيز عنه بحدّه وحقيقته»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير بعض معاني اسمي الجلال: «الأعلى»، و«الكبير» من خلال صيغتهما اللغوية ـ: ««الأعلى»: على وزن أَفْعَلِ التفضيلِ؛ مثل: الأكرم، والأكبر، والأجمل؛ ولهذا قال النبي ﷺ لمَّا قال

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٢/ ٥)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٣٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٣٠٠).

أَبو سفيان: اعْلُ هُبَل، فقال النبي ﷺ: (**أَلَا تُجِيبُونَهُ؟! قَالُوْا: وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**)[١]، وهو مذكور بأداة التعريف: «الأعلى»؛ مثل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، بخلاف ما إذا قيل: «الله أكبر»؛ فإنه مُنَكَّر.

ولهذا معنًى يخصُّهُ يتميَّزُ به، ولهذا معنًى يخصُّهُ يتميَّزُ به؛ كما بين العُلُوّ والكبرياء والعظمة؛ فإن هذه الصفات ـ وإن كانت متقاربة بل متلازمة ـ فبينها فروق لطيفة؛ ولهذا قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى: (**العَظَمَةُ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، عَذَّبْتُهُ**)[٢]؛ فجعل الكبرياء بمنزلة الرداء، وهو أعلى من الإزار»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «والربُّ تعالى لا يكونُ شيءٌ أعلى منه قطُّ؛ بل هو العليُّ الأعلى، ولا يزال هو العليّ الأعلى مع أنه يَقْرَبُ إلى عباده ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء، وهو في ذلك العليُّ الأعلى الكبيرُ المتعالي، عليٌّ في دُنُوِّهِ قريبٌ في عُلُوِّهِ»[٤].

كما قال رَحِمَهُ اللهُ ـ في موضع آخر مقررًا المعانِيَ نفسَهَا ـ: «الذي اتفق عليه أهل الإثبات أن الله فوق العالم، ويمتنع أن لا يكون فوق العالم، سواءٌ قُدِّر أنه في التحت، أو غير ذلك؛ بل كون الله تعالى هو العَلِيَّ الأعلى المتعالِيَ فوق العالم أمرٌ واجبٌ، ونقيضه ـ وهو كونه ليس فوق العالم ـ ممتنع؛ فثبوت عُلُوِّهِ بنفسه على العالم واجب، ونقيض هذا العلم ممتنع، هذا هو الذي اتفق عليه أهل الإثبات؛ من سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل الفِطَرِ السليمةِ المُقِرَّة بالصانع»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، برقم: (٣٠٣٩).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٣).

(٣) تفسير سورة الأعلى، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ١١١ ـ ١١٢).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٢٤)، **وانظر**: تفسير سورة الأعلى، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ١٠١)، (٢/ ١٨٢، ٣١٣)، درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ٧).

(٥) بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٦١١ ـ ٦١٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله سبحانه هو الأعلى، وهو الأكبر؛ ولهذا كان شعار أكمل الملل هو: «الله أكبر» في صلواتهم، وأذانهم، وأعيادهم؛ كما قال النبيُّ ﷺ لعَدِيِّ بنِ حاتم(١): (**يَا عَدِيُّ، مَا يُفِرُّكَ**(٢)**، أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟! يَا عَدِيُّ، فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟! يَا عَدِيُّ، مَا يُفِرُّكَ، أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟! فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللهِ؟!**)(٣)، وبهذا تبيّن صواب من قال من الفقهاء: إنه لا يجوز إبدال هذه الكلمة بقولنا: الله الكبير، مع أن كشف هذا له موضع آخر.

وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]؛ فقال النبي ﷺ: (**اِجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**)(٤)، فالله هو الأعلى، وهو الأكبر، والعلم مطابق للمعلوم، فيجب أن تكون معرفته وعلمه أكبرَ العلومِ وأعلاها»(٥).

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ في موضع آخر في كلام له، كأنه بقدرة الملك الوهاب تتمة لكلامه السابق ـ: «إن السجود غايةُ الخضوع والذل من العبد، وغاية تسفيله، وتواضُعِهِ بأشرفِ شيء فيه لله؛ وهو وَجهُهُ؛ بأن يضعَهُ على التراب، فناسب في غاية سفوله أن يَصِفَ رَبَّهُ بأنه الأعلى، والأعلى أبلغ من العَلِيِّ؛ فإن العبد ليس له من نفسه شيءٌ، هو باعتبار نفسه عَدَمٌ مَحْضٌ، وليس له من الكبرياء والعظمة نصيبٌ، وكذلك في العُلُوِّ في الأرض ليس للعبد فيه

---

(١) عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، الصحابي الجليل، **انظر** ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة: (٤/ ٤٦٩).

(٢) قال ابن الأثير الجزري: «أَفْرَرْتُهُ أُفِرُّه: فعلتُ به ما يَفِرُّ منه ويهرب؛ **أي**: ما يحملك على الفرار إلا التوحيد، وكثيرًا من المحدثين يقولونه بفتح الياء وضم الفاء، والصحيح الأول»، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٣/ ٤٢٧)، **وانظر**: لسان العرب: (٥/ ٥١)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري: (٨/ ٢٣١).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، برقم: (٣٩٥٣)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني.

(٤) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٥) مجموع الفتاوى: (٢/ ٨٧ ـ ٨٨)، **وانظر**: (٥/ ٢٣٩)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص: (٢٤ ـ ٢٥)، درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، الصفدية: (٢/ ٢٧٦).

حق؛ فإنه سبحانه ذمَّ من يريدُ العُلُوَّ في الأرض؛ كفرعون وإبليس، وأما المؤمن، فيحصل له العلو بالإيمان لا بإرادته له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فلما كان السجود غايةَ سُفُولِ العبد وخضوعِهِ، سَبَّحَ اسمَ ربه الأعلى، فهو سبحانه الأعلى، والعبد الأسفل، كما أنه الربّ والعبد العبد، وهو الغنيُّ، والعبد الفقير، وليس بين الربّ والعبد إلا محض العبودية، فكلما كمّلها، قرب العبد إليه؛ لأنه سبحانه بَرٌّ جَوَادٌ مُحسِنٌ، يعطي العبدَ ما يناسِبُهُ، فكلما عَظُم فقره إليه، كان أغنى، وكلما عَظُم ذلّه له، كان أعزَّ؛ فإن النفس ـ لِمَا فيها من أهوائها المتنوعة، وتسويل الشيطان لها ـ تبعد عن الله، حتى تصيرَ ملعونةً بعيدةً منَ الرحمة، **واللّعْنة**: هي البعد، ومن أعظم ذنوبها إرادة العُلُوِّ في الأرض، والسجود فيه غايةُ سُفُولها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان بعض معاني اسم الجلال: «العليّ» ـ: «واسمه «العليُّ» يفسَّر بهذينِ المعنيينِ: يفسر بأنه أعلى من غيره قدرًا؛ فهو أحق بصفات الكمال؛ ويفسَّر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون:

وهذا يتضمن كونَهُ خالقًا لهم وربًّا لهم، وكلاهما يتضمن أنه نفسَهُ فوقَ كلِّ شيءٍ؛ فلا شيءَ فوقَهُ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: **(أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ)**(٢)، فلا يكون شَيْءٌ قبلَهُ ولا بعدَهُ ولا فوقَهُ ولا دونَهُ كما أخبر النبي ﷺ وأثنى به على ربه، وإلا فلو قدر أنه تحت بعض المخلوقات كان ذلك نقصًا، وكان ذلك أعلى منه، وإن قيل: إنه لا داخلَ العالَم ولا خارجَهُ كان ذلك تعطيلًا له؛ فهو منزه عن هذا، وهذا هو العلي الأعلى»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٦).
(٣) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

۞ الفرع الثاني عشر ۞

شرح اسمَيِ الجلالِ: «الرحمٰن»، «الرحيم»

من الأسماء الحسنى الجليلة التي تناولها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بالشرح والتفسير ـ: اسْما الجلال: «الرحمٰن»، و«الرحيم»، ومن أغرب ما يُذكر في هذا المقام أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكر اسم الجلال: «الرحمٰن» ضمن جمعه للأسماء الحسنى، وذكر اسم: «الرحيم».

وفي تقرير أن اسم الجلال: «الله» مع اسمه تعالى: «الرحمٰن» هما أصلُ بقيَّةِ الأسماء الحسنى ـ: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعامةُ ما سَمَّى به النبيُّ ﷺ: عبدُ الله وعبدُ الرحمٰن؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ فإن هذينِ الاسمينِ هما أصلُ بقيةِ أسماء الله تعالى... وقد ثبت في صحيح مسلم عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: (**أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ**)[1]»[2].

وقد قرّر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعضَ معاني هذين الاسمين في مواضع متفرقة من كتبه؛ ومنها قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أثناء حديثه على صفة الرحمة المذكورة بهذين الاسمين ـ: «وهو سبحانه: «الرحمٰن» الذي وَسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه: (**أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ، مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا**)[3]، وقد

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٦٥).
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، برقم: (٥٥٥٢)، بلفظ: (**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**).

(٢) مجموع الفتاوى: (١/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد ومعانقته وتقبيله، برقم: (٥٩٩٩).
ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سَعَةِ رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥٤).

سبقت وغلبت رحمته غضبه(١)، وهو الغفور الودود، الحليم الرحيم.

فإرادته أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد قال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه، فهي من موجَبِ نفسِهِ المقدسةِ، ومقتضاها ولوازمها»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، جعله ثناء، وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، جعله تمجيدًا، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، حمدٌ مطلق؛ فإن الحمد اسم جنس، له كمية وكيفية، فالثناء تثنيته، وتكبيره تعظيم كميته المنفصلة، والمجد هو السَّعَة والعُلُوّ، فهو تعظيم كيفيته وقدرته وكميته المتصلة، وذلك أن هذا وصف له بالملك، والملك يتضمن القدرة وفعل ما يشاء، **والرحمٰن الرحيم** وصفٌ بالرحمة المتضمنة لإحسانه إلى العباد بمشيئته وقدرته أيضًا، والخير يحصل بالقدرة والإرادة التي تتضمن الرحمة؛ فإذا كان قديرًا مريدًا للإحسان، حصل كل خير، وإنما يقع النقص لعدم القدرة، أو لعدم إرادة الخير، **فالرحمٰن الرحيم** الملك قد اتصف بغاية إرادة الإحسان، وغاية القدرة، وذلك يحصل به كل خير؛ خير الدنيا والآخرة»(٣).

كما نبّه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العديد من المواضع من مؤلفاته إلى

(١) يشير إلى قوله ﷺ: (**إِنَّ اللهَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**)، وفي رواية: (**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**)، وقد تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٦٦).

(٢) الحسنة والسيئة ص: (٥٧ ـ ٥٨)، **وانظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٥٢ ـ ٥٣)، (٧/ ٢٦١)، رسالة في تحقيق الشكر، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١١٦).

(٣) رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٦٨).

المناسبة التي يجمع الله من أجلها بين اسمين من أسمائه غير جمعه بين «الرحمٰن» و«الرحيم»، وأوجه الكمال التي تظهر من هذا الجمع؛ ومن أمثلة ذلك، جمعه ﷻ بين اسميه: «الغفور» و«الرحيم»، وبين: «العزيز» و«الرحيم»، وبين: «الحكيم» و«الرحيم» في آيات عديدة، فمن تقريراته المتعلقة بهذا الجانب:

قال رحمه الله: «قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ فجَعَلَ المغفرةَ والرحمة من معاني أسمائه الحسنى التي يُسمِّي بها نفسَهُ، فتكونُ المغفرةُ والرحمة من صفاته»(١).

وقال رحمه الله - في وجه الجمع بين اسمه تعالى: «الحكيم» و«الرحيم» -: «إن الربّ تبارك وتعالى حكيم رحيم، أحسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ، وأتقن ما صنع، وهو أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والخير كله بيديه، والشر ليس إليه؛ بل لا يفعل إلا خيرًا، وما خلقه من ألم لبعض الحيوانات أو من أعمالهم المذمومة، فله فيها حكمة عظيمة، ونعمة جسيمة كان هذا حقًّا، وهو مدح للربّ وثناء عليه.

وأما إذا قيل: إنه يخلق الشر الذي لا خير فيه ولا منفعة لأحد، ولا له فيه حكمة ولا رحمة، ويعذب الناس بلا ذنب -: لم يكن هذا مدحًا للرب، ولا ثناء عليه، بل كان بالعكس»(٢).

وقد سبق بيان بعض معاني جمعه ﷻ بين اسمه «العزيز» و«الرحيم»(٣).

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢٢)، **وانظر**: ص: (١٢٢ - ١٢٣)، شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٢٥)، رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٥٩).

(٢) الحسنة والسيئة ص: (٦٩).

(٣) **انظر**: ص: (٣٠٤) من هذه الرسالة.

كما أن شيخ الإسلام رحمه الله أشار عند ذكره الصيغ التي ورد بها اسم الجلال: «الرحيم» في النصوص أنه جاء مضافًا، وسيأتي في المبحث الثاني من هذا الفصل، في المطلب الأول منه عند إيراد أسماء الله الحسنى المضافة التي شرحها شيخ الإسلام رحمه الله ـ: الحديثُ عن معاني اسم الجلال: «أرحم الرحمين»، و«خير الراحمين»[(١)].

۞ الفرع الثالث عشر ۞

شرح أسماء الجلال: «العفو»، «الغفور»، «الغفار»

هذه الأسماء الحسنى الثلاثة مما صنّفه شيخ الإسلام رحمه الله ضمن الأسماء الحسنى الدالة على الوحدانية، والجامعة للتنزيه والتحميد، وقد قرّر رحمه الله شيء من معانيها، في مواضع عدة من مؤلفاته، ومن ذلك: ما أورده رحمه الله في بيان شيء من المعاني التي يدلّ عليها اسم الجلال: «الغفور» و«الغفار»، والتي تدور حول صفة العفو والمغفرة، وأن لله عز وجل الوصفَ الأكملَ منها؛ ولذلك ورد هذا الاسمُ بصيغةِ التفضيل، وفي ذلك يقول رحمه الله: «قول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: (**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**)، أخرجاه في الصحيحين[(٢)].

فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة، وفيه وصف ربه الذي يُوجب أنه لا يقدر على هذا المطلوب غيره، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضي للإجابة؛ وهو وصف الربّ بالمغفرة والرحمة؛ فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب.

وكثير من الأدعية يتضمن بعض ذلك؛ كقول موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا

---

(١) **انظر**: ص: (٧٤٢) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٩٢).

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فهذا طلب ووصفٌ للمولى بما يقتضي الإجابة.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، فيه وصف حال النفس والطلب.

وقوله: ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال، فهذه أنواع لكل نوع منها خاصة»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان أن الله عَزَّ وَجَلَّ ـ: «إذا غفر الذنب، زالت عقوبته؛ فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب.

من الناس من يقول: الغفر الستر، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفّار؛ لما فيه من معنى الستر، وتفسير اسم الله «الغفار» بأنه «الستار».

وهذا تقصير في معنى الغفر؛ فإن المغفرة معناها وقاية شرِّ الذنبِ؛ بحيث لا يُعاقب على الذنب، فمن غفر ذنبه، لم يعاقب عليه.

وأما مجرد ستره، فقد يُعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا، فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يُعاقب عليه العقوبةَ المستحَقَّةَ بالذنبِ.

وأما إذا ابتُلِيَ مع ذلك بما يكون سببًا في حقه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان معاني خواتم سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ـ: «ثم سألوه العفوَ والمغفرةَ والرحمةَ والنصرَ على الأعداء؛ فإن بهذه الأربعة تتم لهم النعمة المطلقة، ولا يصفو عيشٌ في الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدارُ السعادة والفلاح، فالعفوُ متضمنٌ لإسقاط حقه قِبَلَهُم،

---

(١) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٢١ ـ ٢٢).
(٢) المصدر السابق ص: (١١٢).

ومسامحتَهُم به، والمغفرة متضمنة لوقايتهم شَرَّ ذنوبِهم، وإقباله عليهم، ورضاه عنهم، بخلاف العفو المجرّد؛ فإن العافِيَ قد يعفو ولا يقبل على من عفا عنه، ولا يرضى عنه، فالعفو تركٌ محضٌ، والمغفرة إحسان وفضل وجود، والرحمة متضمنة للأمرين، مع زيادة الإحسان والعطف والبر، فالثلاثة تتضمن النجاةَ منَ الشرِّ، والفوزَ بالخيرِ، والنصرةُ تتضمنُ التمكينَ من إعلان عبادته، وإظهار دينه، وإعلاء كلمته، وقَهرِ أعدائه، وشفاء صدورهم منهم، وإذهاب غيظ قلوبهم، وحزازات نفوسهم، وتوسلوا في خلال هذا الدعاء إليه؛ باعترافهم أنه مَولاهمُ الحقُّ، الذي لا مولى لهم سواه، فهو ناصرهم، وهاديهم، وكافيهم، ومعينهم، ومجيب دعواتهم، ومعبودهم»[(١)].

وفي تقرير كون أفعاله ﷻ هي مقتضى أسمائه الحسنى، ومن ذلك عفوه ـ: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أفعاله هي مقتضى أسمائه وصفاته؛ فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه «الغفور» «الرحيم»، وعفوه من مقتضى اسمه «العفو»؛ ولهذا لما قالت عائشة للنبي ﷺ: إن وافقتُ ليلةَ القَدرِ، ماذا أقول؟ قال: (**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**)[(٢)]»[(٣)].

كما نبّه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من مؤلفاته إلى المناسبة التي يجمع الله من أجلها بين اسمين من أسمائه وأوجُه الكمال التي تظهر من هذا الجمع؛ ومن أمثلة ذلك، جَمعُهُ ﷻ بين اسميه: «الغفور» و«الرحيم» وبين: «الغفور» و«الشكور»، وبين: «العفو» و«الغفور» في آيات عديدة، ومن تقريراته المتعلقة بهذا الجانب:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ فجعل المغفرة والرحمة من معاني

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٤/ ١٤٠). (٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢١).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٩٠ ـ ٩١).

أسمائه الحسنى التي يُسمِّي بها نفسه، فتكون المغفرة والرحمة من صفاته»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «والعبد هو فقير دائمًا إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته، وهو مذنب أيضًا، لا بد له من الذنوب، فهو دائمًا فقيرٌ مذنِبٌ، فيحتاج دائمًا إلى «الغفور» «الرحيم»: «الغفور» الذي يغفر ذنوبه، و«الرحيم» الذي يرحمه، فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائمًا بين إنعام الرب، وذنوب نفسه»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «وهو الغفور الودود، الحليم الرحيم، فإرادته أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنه؛ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد قال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]؛ فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه، فهي من موجَبِ نفسِهِ المقدسة، ومقتضاها ولوازمها»(٣).

وقال ـ في تقرير جمعه تعالى بين اسميه «الغفور» و«الشكور» في قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠ و٣٤، الشورى: ٢٣] ـ:

«وهذا من سَعَةِ الكرم؛ فإنه قَرن العلم بالشكر؛ لأن العلم يحيط

(١) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢٢)، **وانظر**: ص: (١٢٢ ـ ١٢٣)، شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٢٥)، رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٥٩).

(٢) رسالة في تحقيق الشكر، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١١٦).

(٣) الحسنة والسيئة ص: (٥٧ ـ ٥٨)، **وانظر**: درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٥٢ ـ ٥٣)، (٧/ ٢٦١).

بتفاصيل الأعمال، وقَرن بالمغفرة الشكور ليُبيّن أن المسيء مع أنه يغفر له، يُضاعَفُ له الحسناتُ»[(١)].

وفي التأكيد على هذا المعنى الأخير في وجه اقتران الشكور بالغفور يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن شَدَّاد بن أَوْس[(٢)] عن النبي ﷺ أنه قال: (**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**)[(٣)]، ففي قوله: (**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ**)، اعترافٌ بنعمته عليه في الحسناتِ وغيرها، وقوله: (**وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**)، اعترافٌ منه بأنه مذنب ظالمٌ لنفسِهِ؛ وبهذا يَصيرُ العبدُ شكورًا لربه، مستغفرًا لذنبه، فيستوجب مزيدَ الخير وغفران الشرِّ منَ الشكور الغفور، الذي يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل»[(٤)].

وفي تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي قد يفهمها البعض من مقتضى اسمه ﷻ «العفو» ـ: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قول النبي ﷺ: (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ؛ يُحِبُّ الجَمَالَ**)[(٥)]، كقوله للذي عَلَّمَهُ الدعاءَ: (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**)[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و(**إِنَّ اللهَ نَظِيفٌ؛ يُحِبُّ النَّظَافَةَ**)[(٧)].

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى: (٤٨/١).

(٢) تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٥٧٣). (٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٧٣).

(٤) شرح حديث أبي ذر: (**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**)، ضمن مجموع الفتاوى: (١٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، **وانظر**: الحسنة والسيئة ص: (١٥٦).

(٥) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٣).

(٦) الدعاء علمه النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما سألته: إن هي وافقت ليلة القدر ماذا تقول، تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢١).

(٧) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٣).

فهو سبحانه إذا كان يحب العفو، لم يوجب هذا ألا يكون في بعض أنواع العفو من المعارض الراجح ما يعارض ما فيه من محبة العفو؛ ولولا ذلك، لكان ينبغي أن يعفو عن كل مُحرَّم، فلا يعاقب مشركًا ولا فاجرًا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا خلافُ الواقع، ولَوَجَبَ أن يستحب لنا العفو عن كل كافر وفاجر، فلا نعاقِبُ أحدًا على شيء، وهذا خلاف ما أُمرنا به، وخلاف ما هو صلاح لنا، ونافع في الدنيا والآخرة»[(١)].

۞ الفرع الرابع عشر ۞

شرح أسماء الجلال: «الكريم»، «الأكرم»، «المحسن»، «المنعم»، «البرّ»، «الجواد»

أسماء الجلال: «الكريم»، و«الأكرم» و«البر» من الأسماء الحسنى التي صنفها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن الأسماء الدالة على الوحدانية والجامعة للتنزيه والتحميد.

أما أسماء الجلال: «المحسن»، و«المنعم»، و«الجواد»، فلم يذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في جمعه للأسماء الحسنى؛ ولما كانت معانيها قريبة من معاني: «الكريم» و«الأكرم»، و«البر»، ألحقتها بها في هذا الفرع.

وقد تطرق شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى معانيها في العديد من المواطن من مؤلفاته؛ ومن ذلك:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان المعاني التي يتضمنها اسم الجلال: «الكريم» ـ: «فالاسم «الكريم» يتناول معاني الجود؛ فإن فيه معنَى الشرفِ، والسؤدد، ومعنى الحلم، وفيه معنى الإحسان»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان شيء من معاني اسمَي الجلالِ: «المحسن»

---

(١) الاستقامة: (١/٤٣٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (١/٥٣٨).

و«الأكرم» ـ: «فأول ما أنزل الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، فذكر أنه «**الأكرمُ**»، وهو أبلغ من «الكريم»؛ وهو «**المحسن**» غاية الإحسان.

ومن كرمه أنه علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم؛ فعلَّمَهُ العلومَ بقلبه، والتعبيرَ عنها بلسانِهِ، وأن يكتب ذلك بالقلم»[(١)].

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ في توضيح طريق الرحمة، وهي إحدى الطرق الصحيحة التي تُعرف بها دَلالةُ المعجزةِ على صدق الرسول ـ: «وكلما كان الناس إلى الشيء أحوجَ، كان الربُّ به أجودَ، وكذلك كلما كانوا إلى بعض العلم أحوج، كان به أجودَ؛ فإنه سبحانه: ﴿ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾، وهو: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣] وهو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك إذا قيل: «الكريم» «المحسن»، إما أن يكون كرمُهُ وإحسانُهُ من نفسِهِ، وإما أن يكون من غيره، ومن جعل غيره كريمًا محسنًا؛ فهو أولى أن يكون كريمًا محسنًا، وذلك من لوازم نفسه»[(٣)].

وفي بيان أوجه إحسان الله ﷻ إلى عباده التي يقتضيها اسم الجلال: «المحسن» قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأهل السُّنَّة يقولون: هو محسن إلى العبد، متفضِّلٌ عليه؛ بأن أرسل إليه الرسولَ ﷺ، وأن جعل له السمعَ والبصرَ، والفؤادَ الذي يعقل به، وأن هداه للإيمان، وأن أماته عليه، فكل هذا إحسان منه إلى المؤمن وتفضل عليه، وإن كان هو قد كتب على نفسِهِ الرحمةَ، وكان

---

(١) النبوات: (٢/ ٦٧٧). (٢) النبوات: (٢/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥).

(٣) تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٤٨)، **وانظر**: الحسنة والسيئة ص: (١١٩)، تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣١٧)، **وانظر**: شرحه لاسمه تعالى: «ذو الجلال والإكرام» في المبحث التالي، ص: (٧٣١).

حقًّا عليه نصر المؤمن، وحق العباد عليه إذا وحدوه ألا يعذبهم، فذاك حق أوجبه بنفسه، بكلماته التامات، وبما تستحِقُّهُ نفسُهُ المقدسةُ من حقائق الأسماء والصفات، لا أن شيئًا منَ المخلوقاتِ أوجَبَ عليه شيئًا، أو حرم عليه شيئًا»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ في بيان شيءٍ من معاني اسم الجلال: «المنعم» ـ: «والنعم وإن كانت بسبب طاعات يفعلها العبد فيثيبه عليها؛ فهو سبحانه «المنعم» بالعبد وبطاعته وثوابه عليها؛ فإنه سبحانه هو الذي خلق العبد وجعله مسلمًا طائعًا؛ كما قال الخليل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وقال: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]»(٢).

هذه بعضُ النقولِ عنه في بيان بعض المعاني العامة لهذه الأسماء الحسنى، والأوجُه التي يقتضيها كونه ﷻ كريمًا أكرمَ، محسنًا منعمًا، من الكرم والعطاء والإحسان والإنعام الذي لا يماثله فيه أحدٌ منَ الكُرماء والمحسِنينَ والمنعِمينَ، فهو ﷻ أكرم الكرماء، وخير المحسنين، وذو الفضل والإنعام على جميع خلقه من جميع الأوجه التي يتصورها البشر، وما لا يدركونه أعظم وأجلّ، من الغنيِّ ذي العطاءِ والمَنِّ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ مفصِّلًا القولَ في معاني اسم الجلال: «الأكرم» في مزيد إيضاح للمعاني السابقة ـ: «قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ سمَّى ووَصَفَ نفسَهُ بالكرمِ، وبأنه الأكرمُ بعدَ إخبَارِهِ أنه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٧/ ٤٦٠)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٨/ ٣٢)، شرح حديث أبي ذر: (**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**) ضمن مجموع الفتاوى: (١٨/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٢/ ٣١٠ ـ ٣١١)، أمراض القلوب وشفاؤها، ضمن مجموع الفتاوى: (١٠/ ١١٥).

(٢) رسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة، ضمن مجموع الفتاوى: (١/ ٤٢ ـ ٤٣)، **وانظر**: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (١٠٥)، تفضيل الناس على سائر الأجناس، ضمن مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٦١)، مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، التحفة العراقية ص: (٤٥٠)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦).

خلق، ليتبين أنه يُنعم على المخلوقين، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة؛ كما قال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وكما قال الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨].

فالخلقُ يتضمن الابتداءَ، والكرمُ تَضَمَّنَ الانتهاءَ؛ كما قال في أم القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد، لا يُراد به مجرد الإعطاء؛ بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته.

ولهذا قال النبي ﷺ: **(لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ)**(١).

وهم سَمَّوْا العِنبَ: الكَرْمَ؛ لأنه أنفعُ الفواكهِ؛ يؤكل رطبًا ويابسًا، ويُعصَرُ فيُتخذ منه أنواع، وهو أعمُّ وجودًا منَ النخل؛ يوجد في عامَّةِ البلاد، والنخل لا يكون إلا في البلاد الحارة؛ ولهذا قال في رزق الإنسان: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢]؛ فقدم العنب، وقال في صفة الجنة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر، برقم: (٦١٨٢)، بلفظ: **(لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ...)**.

ومسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهية تسمية العنب كرمًا، برقم: (٥٨٢٩)، بلفظ: **(لَا تَقُولُوا: كَرْمٌ؛ فَإِنَّ الكَرْمَ قَلْبُ المُؤْمِنِ)**.

ومع هذا نَهَى النبيُّ ﷺ عن تسميتِهِ بالكَرمِ، وقال: (**الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ**)؛ فإنه ليس في الدنيا أكثر ولا أعظم خيرًا من قلب المؤمن.

والشيء الحسن المحمود يوصف بالكرم؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]. . .

. . . وهو سبحانه أخبر أنه «الأكرمُ» بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدلّ على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: «وربك أكرم»، فإنه لا يدلّ على الحَصْر، وقوله: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾، يدل على الحصر.

ولم يقل: «الأكرم من كذا»؛ بل أطلق الاسم ليُبين أنه الأكرم مطلقًا غيرَ مُقيَّدٍ؛ فدلّ على أنه مُتَّصِفٌ بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه، ولا نقص فيه.

قال ابن عطية[1]: «ثم قال له تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ على جهة التأنيس، كأنه يقول: امضِ لِمَا أُمرتَ به، وربكَ ليس كهذه الأرباب؛ بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقصٌ، فهو ينصرك ويظهرك»[2].

قلت: وقد قال بعضُ السلف: «لا يَهْدِيَنَّ أَحدُكُم للهِ مَا يَستَحْيِي أن يُهدِيهِ لكَريمِهِ؛ فإنَّ اللهَ أكرمُ الكُرماءِ»[3]؛ أي: هو أحقُّ من كل شيء بالإكرام؛ إذ كان أكرمَ من كلِّ شيءٍ.

---

(١) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمٰن بن عطية المحاربي، أبو محمد الغرناطي، الإمام المفسر الفقيه، النحوي الأديب، له شعر حسن، صاحب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» الذي امتدحه شيخ الإسلام توفي سنة: ٥٤٢هـ.
انظر ترجمته في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: (٢/ ٥٢٦)، الأعلام: (٣/ ٢٨٢).
وانظر: مقدمة في أصول التفسير ص: (٨٠ ـ ٨١)، مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٨٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٥/ ٥٠٢).

(٣) الأثر مروي عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه كان يقوله لبنيه، أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب العمل في الهدي حين يساق، برقم: (٨٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه: (٤/ ٣٨٦) برقم: (٨١٥٨)، والإمام أحمد في الزهد ص: (٣٧١)، وغيرهم.

وهو سبحانه «ذو الجلال والإكرام»، فهو المستحق لأن يُجَلَّ، ولأن يُكرم، والإجلالُ يتضمنُ التعظيمَ، والإكرامُ يتضمنُ الحَمدَ والمحبة.

وهذا كما قيل في صفة المؤمن: «إِنَّهُ رُزِقَ حَلَاوَةً وَمَهَابَةً»(١).

وفي حديث هند بن أبي هالة(٢) في صفة النبيِّ ﷺ: **(مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ)**(٣).

وهذا لأنه سبحانه له الملك، وله الحمد»(٤).

وقال ﷺ في موضع آخر: «قوله: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾، يقتضي أنه أفضل من غيره في الكَرَم، **والكرم**: اسمٌ جامعٌ لجميع المحاسن، فيقتضي أنه أحقُّ بجميع المحامد، والمحامدُ هي صفاتُ الكمال، فيقتضي أنه أحقُّ بالإحسان إلى الخلقِ، والرحمةِ، وأحقُّ بالحكمة، وأحقُّ بالقدرة، والعلم، والحياة، وغير ذلك»(٥).

وقال ﷺ ـ في الردّ على بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة باسم الجلال: «الأكرم» ـ: «إن أهل السُّنَّة يصفونه بالقدرة الإلـٰهية، والحكمة والرحمة، وهم الذين يعبدونه ويحمدونه، وأنه يجب أن يكون هو المستحِقَّ لأن يُعبد دون ما سواه، والعبادةُ تتضمنُ غايةَ الذلِّ، وغاية الحُبِّ، وأن المنكرينَ لكونه يُحبُّ منَ الجهميةِ ومَن وافقهم، حقيقة قولهم

---

(١) لم أقف عليه، وأشار ابن القيم ﷺ إلى أن هذا الأثر عن الحسن البصري، **انظر**: اجتماع الجيوش الإسلامية ص: (٤٢)، جلاء الأفهام ص: (١٠٤).

(٢) هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي، اختلف في اسم أبيه، ربيب النبي ﷺ، أمه أم المؤمنين خديجة ﵂، كان فصيحًا بليغًا، روى حديثًا واحدًا وصف فيه النبي ﷺ فأحسن وأتقن، مات في موقعة الجمل.

انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٤/ ١٥٤٤)، الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ٥٥٧).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٤) تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦).

(٥) تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٣٦٠).

أنه لا يستحِقُّ أن يُعبَدَ، كما أن قولَهم: إنه يَفعل بلا حكمة ولا رحمة، يقتضي أنه لا يحمد.

فهم إنما يصفونه بالقدرة والقهر، وهذا إنما يقتضي الإجلال فقط، لا يقتضي الإكرام، والمحبة، والحمد، وهو سبحانه «الأكرم»؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢، ١٣]، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ ـ ١٦]، وقال شعيب: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وفي أول ما نزل وَصَفَ نفسَهُ بأنه الذي خَلَقَ، وبأنه الأكرمُ، والجهميةُ ليس عندهم إلا كونه خالقًا، مع تقصيرهم في إثبات كونه خالقًا لا يصفونه بالكرم، ولا الرحمة، ولا الحكمة.

وإن أطلقوا ألفاظها، فلا يعنون بها معناها؛ بل يطلقونها لأَجْلِ مجيئها في القرآن، ثم يلحدون في أسمائه، ويحرفون الكلم عن مواضعه»[(١)].

وفي كلام له مفصِّلًا القولَ في معنى اسم الجلال: «الجواد»، والردّ على المفاهيم الخاطئة حوله من أوجه عديدة، وذلك أثناء مناقشته رَحِمَهُ اللَّهُ لابن سينا[(٢)] والرازي[(٣)] في تفسيرهما لاسم الجلال: «الجواد» بتفاسير باطلة، مبنيّة على أصولهم الفاسدة، القائمة على تعطيل الله عَزَّ وَجَلَّ عن معاني الكمال وصفات الجلال التي تدل عليها أسماؤه الحسنى وصفاته العلى، ولما كان الكلام على معانيه متداخلًا مع الردّ على المفاهيم الخاطئة حوله، نقلته في سياق واحد لتعذّر الفصل بينه.

---

(١) تفسير سورة العلق، ضمن مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).
(٢) الحسين بن علي، أبو علي البلخي، المشهور بابن سينا.
(٣) محمد بن عمر بن الحسين القرشي، أبو عبد الله الرازي.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «الثاني[(١)]: أن يقال: لا ريب أن الله عند أهل الملل كريم، جواد، ماجد، محسن، عظيمُ المَنِّ، قديمُ المعروفِ، وأن له الأسماء الحسنى التي يُثنى عليه فيها بإحسانه إلى خلقه؛ لكن وإن كانت هذه الحجة مبنيّة على تسليمهم ذلك، فليست حُجَّةً عقليةً؛ بل جدليةٌ، وهذا ليس بفلسفة.

الثالث: أن يقال: هم إذا سَمَّوْهُ بهذه الأسماء الحسنى، سَمَّوْهُ بها بالمعنى الذي يفسرونه به، بالذي لا ينافي إرادته ورحمته؛ بل عندهم: نفس الرحمة التي نفيتها أنت؛ لنفيك الإرادة، أو إرادة الإحسان إلى عباده، هي عندهم تدل على الإحسان والجود بلا نزاع بينهم؛ لكن طائفة من نفاة الصفات يجعلون الرحمة هي نفسَ الإحسانِ، وإن وافقهم على ذلك بعضُ الصفاتيةِ، حتى بعضُ أصحابِ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ، وطائفةٌ كبيرةٌ منَ الصفاتية يقولون: الرحمةُ تعودُ إلى إرادة الإحسان، وهذا قد يقوله بعض أصحاب أحمد، والذي عليه أئمة الصفاتية وجمهورهم: أن الرحمةَ صفةٌ لله ليست هي الإرادةَ، كما أن السمعَ والبصرَ ليس نفسَ العلمِ.

والمقصودُ أنك احتججْتَ بموافقتِهم لك على إطلاق الاسم، فإن كنتَ تحتجُّ بالموافقة على معناه، لم يكن لك حُجَّةٌ؛ لأنهم متفقون على أن معنى هذا الاسم عندهم لا ينفي ما تنفيه أنتَ من إرادته وغير ذلك، وإن كنت تحتجُّ بمجرَّدِ الموافقةِ على اللفظِ مع التنازُعِ في معناه، فهذه حُجَّةٌ فاسدةٌ جدًّا؛ لأنهم أطلقوا الاسم بمعانٍ، فادعيتَ أنت أنه كان ينبغي أن يريدوا بهذا الاسم مَعَانِيَ أُخَرَ، وهذا من جنس أن يقال: كان ينبغي أن يعنوا بلفظ الإحسان كذا، وبلفظ الحركة وبلفظ الفعل كذا، أو نحو ذلك من المعاني التي لم يريدوها بذلك اللفظ.

(١) شرعت في النقل من الوجه الثاني؛ لأن ما قبله لا صلة له بالموضوع.

وحاصله أنه اعتراضٌ على اللغة؛ بأنه كان يجب أن يَعنِيَ بألفاظها من المعاني أمورًا أُخَر، ولا ريب أن هذا اعتراض فاسد على اللغة؛ فضلًا أن يكون حجة في المعاني العقلية الإلـٰهية.

الرابع: أن يقال: هَبْ أنه سلم لك أن اللفظ كان ينبغي أن يُستعمل في المعاني التي ذكرتَها؛ لكن هم إذا لم يستعملوها إلا في المعاني التي قصدوها، لم يكونوا موافقين لك على ما ادعيته من المعنى، وإن قصروا في العبارة؛ فيكون ما أثبته من المعنى أثبته بلا حُجَّةٍ علميةٍ ولا جدليةٍ؛ بل بمجرَّدِ الدعوى، وهذا بيّنٌ واضحٌ ولله تعالى الحمد.

الخامس: أنه لو احتجَّ على هذا بدليل سمعيٍّ؛ مثل أن يُثبت بالنصِّ أنه جوادٌ، لم يَصِحَّ أن يفسره بهذا المعنى، لهذين الوجهين:

أحدهما: أن الأدلةَ التي يذكرها ليست سمعيةً شرعيةً، وهو يعترف بذلك، فلا يُقبل منه أن يذكر دليلًا سَمْعِيًّا، ويدعي أنه عقلي، **مع أنه هذا الاسمَ ليس في القرآن، وإن جاء في بعض الأحاديث.**

الثاني: أن المرجع في ثبوت هذه الأسماء عن الشارع وفي بيان معناها، إلى من نُقِلَ عنه القرآنُ والحديثُ، لفظُهُ ومعناه؛ وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين تلقَّوُا الإيمانَ والقرآنَ والحديثَ بعضُهم عن بعض، حتى يصل إليه، أو أخذ ذلك هو بلغته التي كان يخاطب بها، ولا ريب أن الفلاسفة من أبعد الناس عن ذلك، ولوِ ادَّعَوْا نقلًا عن المرسلين للفظ ولمعناه، من غير رجوع في ذلك إلى أهل العلم بأثارة المرسلين، لم يكن ذلك مقبولًا باتفاق العقلاء، ثم كيف يصح أن يحتجَّ محتجٌّ بمثل هذه الدلالة الضعيفة، على نفي إرادة الله تعالى، والقرآن مملوءٌ من إثباتِ إرادته ومشيئته، ورحمته وحكمته؟! ولو قدّر أنه يتناول ذلك، كان من المعلوم بالاضطرار لكل أحد أن ما ذكره ليس فيه ظهورٌ يحتاج إلى تأويل؛ بل هو أبعدُ من ذلك، فكيفَ يتأَوَّلُ النصوصَ والظواهرَ لأَجْل ذلك؟! وإنما غاية

المتأول أن يدعي معارضة المعقولاتِ للسمعياتِ، ونحن قد بيّنا أن هذه الحجة ليست من المعقول بسبيل؛ بل هي مع كونها سمعيةً لفظيةً، فهي دعوَى مجردةٌ؛ بل كاذبةٌ كما سنبيِّنه.

الوجه السادس: أن يقال له: هذا الحد الذي ذكرتَهُ في «الجُود»، حين قلت: «إن من جاد لِيَشْرُفَ ولِيُحْمَدَ ولِيُحْسَنَ به ما يفعل، فهو مستعيض غير جواد»[1]، فهذا التفسير عمن نقلته؟! ومن ذكره من أهل التفسير للنصوص، أو من أهل اللغة العربية؛ بل من سائر لغات الأمم؟! وإن كان ذلك لا ينفعه، إن لم يبيّن معنى هذا اللفظ العربي في لغة العرب، ومن المعلوم أن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالنصوص الشرعية، واللغة العربية؛ فصار ذلك افتراءً على النصوص واللغة.

الوجه السابع: أن يقال: اسم «الجواد»، يقال على كثير منَ المخلوقين، مع انتفاء هذه المعاني عنهم، فلو كان هذا المعنى داخلًا في هذا الاسم، لم يصحَّ إطلاقُهُ على مخلوقٍ إلا مجازًا، أو بطريق الاشتراك، وكلاهما مع كونه خلافَ الأصل، إنما يكون إذا ثبت استعمالُ اللفظ في المعنى مجردًا، فكيف وأصل الاستعمال منتفٍ؟!

الوجه الثامن: أن يقال: المعروفُ في الشرع واللغة والعقل، أن الذي يفعل أو يفيد ما ينبغي لا لمقصودٍ أصلًا عابثٌ، وإن كان لا لمقصودٍ يعود إلى نفسِهِ فهو سَفيهٌ أو جاهلٌ، وكلاهما مذموم في الشرع والعقل؛ بل يستحق في الشرع أن يُحجَرَ عليه، وهو من أسوأ المبذرين حالًا؛ فإن من المبذرين من يبذل المال لأغراض محرمة، وإن كان فيها ما هو مقصودٌ له، فأما من يبذل ما ينبغي لا لمقصودٍ أصلًا، فهذا ـ إن كان موجودًا ـ فهو مذموم، واسمُ «الجُود» في الشرع واللغة والعقل اسمُ مدحٍ؛ فيستحيلُ أن يُفسَّر بما لا يكون عندَ الناسِ إلا مذمومًا.

---

(١) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا ص: (١٢٦).

بل يقال في الوجه التاسع: هذا المسمَّى لا يعرف وجوده أصلًا؛ فليس في الموجودات ما يفيد وينفع لا لمقصودٍ أصلًا، حتى الحركات الطبيعية، لحركتها منتهًى ومستقَرٌّ، هو منتهَى مَيلِها، ويُسمَّى مَيلها إرادةً، وقد جعلوه هم عشقًا لذاك الكمال، وإذا كان هذا المُسمَّى معدومًا، والاسمُ معروفًا في الشرع واللغة لأعيانٍ موجودةٍ، امتنع أن يكون مُسمَّاهُ ما ذكره.

بل يقال في الوجه العاشر: إن ما ذكره ممتنعٌ لذاته؛ فإنه بتقديرنا يفعل لعلة غائية، لا لمقصودٍ غائيٍّ، كتقدير ما يحدث لا عن علة فاعلة، وكل منهما ممتنع لذاته؛ ولهذا هم يُسَلِّمُون أنه ليس في الموجودات ما هو كذلك، إلا ما يذكرونه في واجب الوجود، وهم متناقضون في ذلك: فيصرحون تارة أنه يفعل لقصدٍ منه للغاية ورحمة منه، وتارة يقولون: ليس له إرادةٌ ولا قصدٌ، وإن كانوا متناقضِينَ في ذلك، تبيَّنَ أن أحدًا منَ العقلاء لم يستقِرَّ قولُهُ على إثباتِ موجودٍ بهذه الصفة التي سَمَّوْها «جُودًا».

الوجه الحادي عشر: أن يقال: «**الجُودُ**: إفادةُ ما ينبغي لا لغرضٍ»، هو كلامٌ مُجمَلٌ، يَحتمِلُ الحقَّ والباطِلَ؛ بلِ الظاهرُ منه للناسِ هو الحقُّ الذي لم يرده، فإنه يقال لك: **العِوض** المعروف في الشرع، واللغة، والعُرف، والعقل، هو: ما يبذله أحد المتعاوِضَينِ للآخَرِ، في مقابلة ما بذله الآخَرُ له؛ كثمن المبيع، وأجرة الأجير، وثواب الهدية، ومكافأة النعمة ونحو ذلك، فلا ريب أن من أعطى غيره عطيةً، ليعطِيَهُ ذلك الغير عِوَضَها، فهذا مستعيضٌ وليس بجوادٍ؛ ولهذا يَفْرُقُ الفقهاء بين عقود المعاوضات والتبرعات، بنحو هذا الفرق؛ ولهذا قال المُخلَصُون: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]؛ فأخبروا أنهم لا يريدون من المنعَمِ عليهم لا جَزاءً ولا شُكورًا، ولم يقولوا: لا نريد

ذلك من أحد، لا من الله ولا من غيره، فإن هذا إما ممتنع وإما سفاهة؛ ولهذا كان المحققون للإخلاص لا يطلبون من المُحْسَن إليه لا دعاءً ولا ثناءً ولا غيرَ ذلك؛ فإنه إرادةُ جَزاءٍ منه، فإن الدعاءَ نوع منَ الجزاءِ على الإحسانِ والإساءة؛ كما جاء في الحديث: (**مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**)[١]، وقال الشاعر:

اِرْفَعْ صَغِيرَكَ لَا يَحِرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْمًا فَتُدْرِكَهُ العَوَاقِبُ قَدْ نَمَى
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ ... ثَنَّى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى[٢]

وأيضًا كانوا إذا كافأهمُ المُعْطَى بدعاء وغيره، قابلوه بمثل ذلك، ليبقى أجرهم على الله تعالى، ولا يكونوا قد اعتاضوا منه، كما كانت عائشة ﵂ إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمُرسَلِ: «اسْمَعْ ما يَدعُونَ به لنا، حتى نَدعُوَ لهم بمِثلِ ما دَعَوا لنا، ويبقى أَجرُنا على الله تعالى»[٣].

فهذا أو نحوه غاية ما يقدر من الجُودِ المعروفِ، فأما جُودُ أهلِ الجاهليةِ ونحوهم، ممن يقصد به الثناءَ عليه ولو بعد موته، فذاك دون هذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢/٦٨)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، (٩/٢٦٦) (ط الرسالة).
وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، برقم: (١٦٧٢).
والنسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله، برقم: (٢٥٦٧)، وصححه الألباني في السنن.

(٢) البيتان ينسبان إلى غريض اليهودي، وهو السَّمَوْأَلُ بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي يهودي، وقيل: أنهما لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل: لورقة بن نوفل القرشي عم خديجة ﵂، وقيل: لغيرهما، **انظر**: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: (٣/١٠٨)، وفيه: «فارفع ضعيفك» بدل: «ارفع صغيرك».

(٣) لم أقف على من أخرجه.

وأيضًا، فإن الإنسان قد يحب بنفسه فعل الخير والإحسان، ويتلذذ بذلك لا لغرض؛ بل يتلذذ بالإحسان إلى الغير، كما يتلذذ الإنسان بلذاته المعروفة وأَشدَّ، وإن لم يصل إليه نفعٌ غيرُ لذتِهِ بالإحسان، كما أن النفوسَ الخبيثةَ قد تلتذُّ بالإساءةِ والعدوان، وإن لم يحصل لها بذلك جَلبُ منفعةٍ ولا دفعُ مَضرَّةٍ، فهذا أيضًا موجودٌ وصاحبه من أهل الإحسان والجُود، فإما أن يكون في الوجود من يفعل لا لمعنًى فيه ولا لمعنًى في غيره، فهذا لا حقيقة له أصلًا، وقد عُلِمَ أن أهلَ الشرعِ واللغةِ وسائرَ العقلاءِ الذين يقولون: «**الجُود**: إفادةُ ما ينبغي لا لعِوضٍ أصلًا»، إنما يريدون به عوضًا يكون في مقابلة العطيةِ، إما منَ المُعطِي أو ممن يقوم مقامه؛ كمن يبذل لغيره مالًا ليعتق عبده، أو يخلع امرأته، أو يفكُّ أسيرَهُ.

وبالجُملةِ، فالعِوضُ الذي ينافي الجُودَ، يُشترط فيه أمران: **أحدهما**: أن يقصده المُعطِي، **والثاني**: أن يَقصِدَهُ منَ المُعطَى أو ممن يقوم مقامه، فأما من طلب العِوضَ منَ الله تعالى، أو أحسن لالتِذَاذِهِ[(١)] هو بالإحسان، فهذا لا ينافي الجُود باتفاق العقلاء؛ بل لو طلب الثناء من العباد ونحوهم، لم يمتنع أن يُسَمِّيَهُ الناسُ جَوادًا، كما سَمَّوْا حاتمًا جَوَادًا، وغيره من أهل الجاهلية بالجُود، وإن كانوا قد يقصدون السُّمْعةَ والثناءَ في الخلقِ.

الوجه الثاني عشر: قوله: «ولعل من يَهَبُ ليستعيضَ مُعامِلٌ، وليس بجوَاد»[(٢)]، وهذا فيه منَ الإجمالِ ما تقدم؛ فإن معنَى العِوضِ الذي يمنع الجُودَ في الشرعِ، واللغة، والعُرف، وعقول جميع الآدميين، أخصُّ من العوض الذي ادّعاه بقوله: «وليس العِوَضُ كله عينًا؛ بل وغيره، حتى الثناء والمَدحُ، والتخلص من المَذَمَّةِ، والتوصُّل إلى أن يكون على الأحسنِ، أو على ما ينبغي»[(٣)].

---

(١) في المطبوع: «للتذاذه»، مع أن المحقق أشار إلى أنه خطأ في المطبوعة القديمة، وأثبت نفس الخطأ، فلعله أراد ما أشار إليه لا ما أثبته، والله أعلم.

(٢) **انظر**: الإشارات والتنبيهات ص: (١٢٥). (٣) **انظر**: المصدر السابق ص: (١٢٦).

فيقال له: لا نُسَلِّمُ أن مَن أعطى لينال حمدَ اللهِ وثناءَه عليه، والتخلُّص من ذمّ الله تعالى له، لا يكون جوادًا؛ بل هذا جوادٌ باتفاق الأنبياء والمرسلين، وجميع عباد الله المؤمنين، وسائر أهل السمٰوات وأهل الأرضين، وكذلك مَن وهب ليكون ذلك أقربَ إلى الله تعالى، وأحسنَ له عنده، وأعلى لدرجته، أو ليكون عند الله على ما ينبغي، فلا نسلم أن هذا ليس بجواد، وكذلك أهل كل لغة، سواء كانوا مسلمين أو كفارًا؛ بل من وهب لينال ما هو عندهم أحسن وأعلى، ولينال الحمدَ والثناءَ منَ الجناب الأعلى لشيء يليق به عندهم أن يُطلَبَ منه الحمدُ والثناء، فهو جَوَادٌ عندهم، فقوله: «مَن جاد لِيَشْرُفَ أو لِيُحْمَدَ أو لِيُحْسَنَ به ما يفعل، فهو مستعيضٌ غيرُ جواد»، ليس بمسلّم ولا دليل عليه.

بل يقال في الوجه الثالث عشر: هذا جواد باتفاق العقلاء من جميع الأمم، وهذا هو المُجَوَّد؛ قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقال: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، ويروى عن علي أو غيره أنه قال: «ما أحسنتُ إلى أحدٍ، وما أسأتُ إلى أحدٍ، إنما

أحسنتُ إلى نفسِي، وأسأتُ إلى نفسِي»[١].

وعملُ ذلك لأجْلِ الله تعالى نهايةُ المطلوب؛ كما قال كل من الرسل: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١].

الوجه الرابع عشر: أن هذا الاسمَ بعينِهِ لم يجئ في أسماء الله تعالى التي في القرآن، ولا في الأحاديثِ المشهورةِ في الصحيحين، وإن كان قد جاء بمعناه أسماءٌ أخرى؛ كـ«الكريم»، و«الأكرم»، و«الوهاب»، وما يستلزم هذا المعنى؛ كـ«الرحمٰن»، «الرحيم»، و«الربّ» وغير ذلك؛ لكن هذا الاسم جاء ذكره في الحديث الإلٰهيّ، حديث أبي ذر عن النبي ﷺ عن الله، وقد رواه مسلم[٢]؛ لكن هذا الاسم جاء في رواية الترمذي، وابن ماجه، فيه: **(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا غُمِسَ فِي البَحْرِ، وَذَلِكَ أَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[٣]، وروى هنَّادُ بنُ السَّرِيِّ[٤]... عن طلحة بن عبد الله

---

(١) لم أقف على من أخرجه، وقد ذكره العديد من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، منسوبًا إلى عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، **انظر**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: (٢/٦٠٨)، البحر المحيط لأبي حيان: (٢/ ٣٤٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): (٥/١٥٧)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: (١٥/ ١٩)، وغيرها.

(٢) يريد الحديث المشهور: **(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...)** الحديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (٦٥١٧).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٤) هنّاد بن السَّري التميمي، تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٩٦).

ابن كريز[١] قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللهَ جَوَادٌ؛ يُحِبُّ الجُودَ**)[٢]، وقال أهل العلم: «**الجواد**» في كلام العرب معناه: الكثير العطاء؛ يقال منه: جَاد الرجل، يَجُودُ، جُودًا، فهو جَوَادٌ، قال أبو عمرو بن العلاء[٣]: الجواد الكريم؛ تقول العرب: فرس جواد، إذا كان غزير الجري، ومطر جواد، إذا كان غزيرًا؛ قال عنترة[٤]:

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ[٥]

وجاء في الحديث في وصفه المطرَ الذي استسقاهُ الرسولُ ﷺ: (**فَمَا جَاءَ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي إِلَّا أَخْبَرَ بِجُودٍ**)[٦]، وفي حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم ـ في الثلاثة الذين يقضي الله عليهم يوم القيامة أولًا ـ: (**وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ**

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز ﷺ، تقدمت ترجمته، **انظر**: ص: (٤٩٦).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤٩٦)، وأورده هنّاد بن السَّري في كتابه: «الزهد»: (٢/ ٤٢٣) برقم: (٨٢٨).

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان المازني، الإمام النحوي المقرئ، مختلف في اسمه على عدة أقوال، أشهرها أنه: زَبَّانُ، روى الحديث، وكان ثقة صاحب سُنَّة، مات سنة: ١٥٤هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (٣٤/ ١٢٠)، سير أعلام النبلاء: (٦/ ٤٠٧).

(٤) عنترة بن شداد بن معاوية العبسي، من أشهر فرسان العرب وشجعانهم في الجاهلية، شاعر صاحب إحدى المعلقات السبع المشهورة، ونسجت حوله أساطير كثيرة، مات قبل البعثة بقليل.
انظر ترجمته في: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: (٨/ ٢٤٤)، الأعلام للزركلي: (٥/ ٩١).

(٥) البيت من معلقته المشهورة، **انظر**: شرح ديوان عنترة بن شداد ص: (١٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة، برقم: (٩٣٣).
ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم: (٢٠٧٦).

فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ؛ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ)[١]، فهذا الحديثُ الصَّحيحُ يدل على أن قولهم: «جواد»، مثل قولهم: «كريم»، كما قال أبو عمرو؛ فقد ثبت بالنصِّ، وقول أهل اللغة أَنَّ المخلوقَ يُسمَّى جَوَادًا، وإن كان إنما يفعل لمصلحة له، وإنما يفعل بإرادته.

الوجه الخامس عشر: أن تسمية الرب ﷻ: «جوادًا»، وإن كان قد قيل، هو بمعنى كونه كريمًا، فالاسمُ: «الكريم» يتناول معانِيَ، منها: الجود؛ فإن فيه معنَى الشرفِ، والسؤددِ، ومعنى الحِلمِ، وفيه معنى الإحسان، ومن تأمل مقالات أهل الفلسفة والكلام، ومن يضاهيهم في هذا الأصل، وجدهم عامتهم مضطربين فيه، كل منهم وإن أثبت نوعًا من الحق واعتصم به، فقد كذّب بنوع آخر من الحق؛ فتناقض، وأكثر عقول الناس تبخس دون تأمل هذا؛ إذ أحدهم يرى نفسه، إما أن يقول حقًّا، ويقول ما ينقضه، أو يقول حقًّا ويُكذِّب بحق آخر، وتناقضُ القولينِ باطلٌ، والتكذيبُ بالحقِّ باطلٌ، والحق الصريح لا يرى قلبه يستطيع معرفته[٢]، كما لا يستطيع أن يحدق بصر عينيه في نور الشمس؛ بل كما لا يستطيع الخُفَّاش أن يرى ضوء الشمس، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والمقصود هنا بيان تناقض الدهرية، وفساد حجتهم»[٣].

۞ الفرع الخامس عشر ۞

شرح أسماء الجلال: «الحنان»، «المنان»، «الودود»

أسماء الجلال: «الحنّان» و«المنّان»، و«الودود» من الأسماء الحسنى التي أوردها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من المواطن من مؤلفاته؛ وقد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم: (٤٩٠٠).

(٢) العبارة هكذا في المطبوعتين القديمة والجديدة، ولعل الصواب: «والحق الصريح لا يراه قلبه، فلا يستطيع معرفته»، والله أعلم.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: (١/ ٥٢١ ـ ٥٣٩).

تطرق شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جملة من معاني هذه الأسماء؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في معنى اسمي الجلال: «الحَنَّان» «المنّان»، أثناء تفصيل الكلام على بعض الألفاظ ـ: «يقال: حَنَّ إليه حنينًا، ومنه حَنّه ـ في الاشتقاق الأكبر ـ يحنو عليه حُنُوًّا، قال الجوهري[١]: «حَنَوْتُ عليه: عَطفتُ عليه[٢]، ويَحْنَى[٣] عليه؛ أي: يعطف، مثل تَحَنَّن؛ كما قال الشاعر:

تَحَنَّى عَلَيْكَ النَّفْسُ مِنْ لَاعِجِ الهَوَى فَكَيْفَ[٤] تَحَنِّيهَا وَأَنْتَ تُهِينُهَا»[٥]

وقال: «**الحنين**: الشوق وتَوَقَانُ النفسِ، ويقال[٦]: حَنَّ إليه، يَحِنُّ حَنِينًا، فهو حانّ، **والحنَان**: الرحمة، يقال[٧]: حَنَّ عليه يَحِنُّ حَنَانًا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]، **والحنَّان** ـ بالتشديد ـ: ذو الرحمة... وتحنّن عليه: تَرَحَّمَ، والعرب تقول: حَنَانَيْكَ يا رَبِّ وحنانك[٨]، بمعنًى واحدٍ؛ **أي**: رَحْمَتُكَ»[٩]، وهذا كلام الجوهري.

وفي الأثر ـ في تفسير «الحَنَّان المَنَّان» ـ: «إن «الحنّان»: هو الذي يُقبِلُ على مَن أعرَضَ عنه، و«المنَّانُ»: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال»[١٠] وهذا بابٌ واسعٌ»[١١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فيما يقتضِيهِ اسمُ الجلال: «المنّان» ـ: «فإن كونَهُ

---

(١) إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، تقدمت ترجمته **انظر**: ص: (٦٥١).
(٢) في الصحاح: «عليه» ساقطة.
(٣) في الصحاح: «تحنى».
(٤) في الصحاح: «وكيف».
(٥) الصحاح: (٦/ ٢٣٢١).
(٦) في الصحاح: «تقول منه».
(٧) في الصحاح: «يقال منه».
(٨) في الصحاح: «حنانك يا رب، وحنانيك يا رب».
(٩) الصحاح: (٥/ ٢١٠٤).
(١٠) لم أقف على من أخرجه، وقد أورده القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: (١/ ٢٦٥) فقال: «وقد روينا بالإسناد المتصل عن أكينة بن عبد الله التميمي قال: سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول» فذكره دون أن يعزوه إلى أحد، **وانظر**: النبوات: (١/ ٣٦٥)، مجموع الفتاوى: (٥/ ٥٧٣).
(١١) شرح حديث النزول ص: (٤٥٣).

المحمودَ المنّان يقتضي منّته على عباده، وإحسانه الذي يحمده عليه.

وكونه الأَحَدَ الصَّمَدَ، الذي لم يلد ولم يولد، يقتضي تَوحُّدَهُ في صمديتِهِ، فيكون هو السيِّدَ المقصودَ، الذي يَصمُدُ الناسُ إليه في كل حوائجهم، المستغني عمَّا سِوَاهُ، وكل ما سواه مفتقرون إليه لا غنى بهم عنه، وهذا سببٌ لقضاء المطلوباتِ، وقد يتضمن معنى ذلك: الإقسام عليه بأسمائه وصفاته»(١).

أما بالنسبة لمعاني اسم الجلال: «الودود» فقد فصّل فيها القولَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النبوات» أثناء كلامه على صفة المحبة والرد على المفاهيم الخاطئة حولها، والأسماء الحسنى الدالة عليها ـ: فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهو سبحانه: «العزيز»، «الرحيم»، «الغفور»، «الودود»، «المجيد».

و«**الودود**»: فَعولٌ منَ الوُدِّ، وقال شُعيب: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]؛ فقرنه بالرحيم في موضع، وبالغفور في موضع.

قال أبو بكر ابن الأنباري(٢): «**الودودُ**: معناه المحِبُّ لعباده؛ من قولهم: وَدِدْتُ الرجل، أَوَدُّه، وِدًّا ووَدًّا، ووُدًّا، ويقال: وَدَدْتُ الرجلَ، وِدادًا، ووَدادًا، ووِدادةً»(٣).

وقال الخَطَّابي: «هو اسمٌ مأخوذٌ منَ الودّ، وفيه وجهان: **أحدهما**: أن يكون فَعُولًا في محل مفعول، كما قيل: رجل هَيُوبٌ بمعنى مَهِيبٌ، وفرس ركوب بمعنى مركوبٍ، والله ﷻ مودود في قلوب أوليائه، لما يتعرّفونه من إحسانه إليهم، **والوجه الآخر**: أن يكون بمعنى الوادّ؛ **أي**: أنه يَوَدُّ عباده

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (٢/ ٧٩٦).

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، حافظًا للشعر والأخبار، كان صدوقًا فاضلًا دَيِّنًا خَيِّرًا من أهل السُّنَّة، توفي ببغداد سنة: ٣٢٨هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: (٣/ ١٨١)، وفيات الأعيان: (٤/ ٣٤١).

(٣) **انظر**: تهذيب اللغة للأزهري: (١٤/ ٢٣٦)، زاد المسير ص: (٦٦٩)، لسان العرب: (٣/ ٤٥٤).

الصالحين؛ بمعنى أنه يرضى عنهم، ويتقبّل أعمالهم، ويكون معناه أن يُوَدِّدَهم إلى خَلقِهِ؛ كقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]»(١).

قلت: قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، فسّروها بأنه يحبّهم، ويُحَبِّبُهُم إلى عباده؛ كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا؛ فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا؛ فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**)(٢)، وقال في البغض مثل ذلك، وقال عبد بن حميد(٣)...

عن ابن عباس: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، قال: «يحبهم ويحببهم»(٤)، ورواه ابن أبي حاتم أيضًا... عن مجاهد: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، قال: «يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين»(٥).

و... عن ابن عباس: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، قال: «محبة»(٦).

وهذا فيه إثباتُ حُبِّهِ لهم، بعد أعمالهم، بقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، وهو نظيرُ قولِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

---

(١) **انظر**: كلام الخطابي في شأن الدعاء ص: (٧٤)، زاد المسير في علم التفسير ص: (٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم: (٣٢٠٩).
ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، برقم: (٦٦٤٧).

(٣) عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكِسِّي أو الكِشِّي نسبة إلى بلدة قرب سمرقند، وقيل: إن اسمه عبد الحميد، الحافظ الحجة، إمام في التفسير، توفي سنة: ٢٤٩هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٨/ ٥٢٤)، سير أعلام النبلاء: (١٢/ ٢٣٥).

(٤) **انظر**: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٥/ ٥٤٥)، ونسبه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وهناد بن السري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، **وانظر**: جامع البيان: (١٦/ ١٣٢).

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، **وانظر**: جامع البيان: (١٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٦) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، **وانظر**: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٥/ ٥٤٥).

فهو يحبّهم إذا اتّبعوا الرسول، ونظير قوله في الحديث الصحيح: **(وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)**[1].

وكذلك قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وهذه الآيات وأشباهها تقتضي أن الله يُحِبُّ أصحابَ هذه الأعمال؛ فهو يُحِبُّ التوابينَ، وإنما يكونون توابين بعد الذنب، ففي هذه الحال يحبّهم، وهذا مبنيٌّ على الصفاتِ الاختياريةِ[2]، فمن نفاها، ردَّ هذا كُلَّهُ، ولهم قولانِ: **أحدهما**: أن المحبّة قديمةٌ؛ فهو يحبّهم في الأزل، إذا عَلِمَ أنهم يموتون على حال مَرضيَّةٍ، ويقولون: إن الله يحبُّ الكُفَّار في حال كفرهم، إذا عَلِمَ أنهم يموتون على الإيمان، ويُبغض المؤمن إذا علم أنه يرتد، هذا قول ابن كُلَّاب ومَن تبعه، ثمّ منهم من يفسّر المحبّة بالإرادة، ومنهم من يقول هي صفةٌ زائدةٌ على الإرادةِ، **والقول الثاني**: يجعلون هذا من باب الفعل؛ فالمحبّة عندهم إحسانه إليهم، والإحسان عندهم ليس قائمًا به؛ بل بائن عنه.

والكتاب والسُّنَّة، وأقوال السلف والأئمة، والأدلة العقلية، إنما تدلّ على القول الأول، كما قد بُسِطَ في غير هذا الموضع؛ إذ المقصود هنا ذكر اسمِهِ «الودود»، والأكثرون على ما ذكره ابن الأنباري، وأنه فَعُولٌ بمعنى

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٣٤).

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفها: «هي الأمور التي يتصف بها الربّ عَزَّ وَجَلَّ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل: كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل: خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثلُ: استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسُّنَّة»، رسالة في الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٣/٢).

فاعل؛ أي: هو الوادُّ، كما قرنه «بالغفور»، وهو الذي يغفر، و«بالرحيم»، وهو الذي يرحم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي[١]، حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري[٢]، حدثنا سفيان[٣]، في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، قال: «مُحِبٌّ»[٤]، وقال: . . . «وقال ابن زيد[٥]: قوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾، قال: الرحيم»[٦]، وقد ذكر فيه قولين:

القول الأول: رواه من تفسير الوالبيِّ[٧]، عن ابن عباس؛ قوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾، قال: «الحبيب»[٨].

والثاني: قول ابن زيد: «الرحيم»، وما ذكره الوالبيُّ: أنه «الحبيب»، قد يُراد به المعنيانِ؛ أنه يُحِبُّ، ويُحَبُّ، فإن الله يُحِبُّ مَن يُحِبُّه، وأولياؤه يُحِبُّهم ويُحِبُّونه.

والبغويُّ[٩] ذكر الأمرين؛ فقال: «وللودود معنيان: أنه يُحِبُّ

---

(١) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي.

(٢) عيسى بن جعفر الرياحي الكوفي، قاضي الريّ، من رواة الحديث، قال أبو حاتم: «وسئل أبي عنه فقال: صدوق»، ووثقه ابن حبان وغيره.
انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٦/ ٢٧٣)، الثقات لابن حبان: (٨/ ٤٩٢).

(٣) سفيان بن سعيد الثوري.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (٦/ ٢٠٧٦).

(٥) عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، المدني، من رواة الحديث وهو ضعيف، أخرج له الترمذي وابن ماجه، وله أقوال كثيرة في التفسير، توفي سنة: ١٨٢هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٧/ ١١٤)، ميزان الاعتدال: (٢/ ٢٨٢).

(٦) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وأورده الطبري في تفسيره، **انظر**: جامع البيان: (٣٠/ ١٣٩).

(٧) أبو خالد هرمز الوالبي، وقيل اسمه: هرم، ولم يذكروا شيئًا في ترجمته غير اسمه، **انظر**: الكنى والأسماء للدولابي: (٢/ ٥٠٣).

(٨) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وأورده الطبري في تفسيره، **انظر**: جامع البيان: (٣٠/ ١٣٨).

(٩) الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد البغوي.

المؤمنين، وقيل: هو بمعنى المودود؛ أي: محبوب المؤمنين»[1]، وقال أيضًا في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]؛ «أي: المُحِبّ لهم، وقيل معناه: المَوْدُود كالحَلُوب، والرَّكُوب، بمعنى المَحْلُوب، والمَرْكُوب، وقيل: يغفر ويودّ أن يغفر، وقيل: المتودّد إلى أوليائه بالمغفرة»[2].

قلت: هذا اللفظُ معروفٌ في اللغةِ أنه بمعنى الفاعل؛ كقول النبي ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ**»[3]، وفعول بمعنى فاعل كثيرٌ؛ كالصَّبورِ، والشَّكُور، وأما بمعنى مفعول، فقليل.

وأيضًا: فإن سياق القرآن يدل على أنه أراد أنه هو الذي يودُّ عبادَهُ، كما أنه هو الذي يرحمهم ويغفر لهم؛ فإن شُعَيبًا قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، فذكر رحمته ووُدَّهُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وهو أراد وصفًا يبيّن لهم أنه سبحانه يغفر الذنب، ويُقبل على التائب، وهو كونه ودودًا؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقد ثبت في الصحاح من غير وجه، عن النبي ﷺ أن الله يفرح بتوبة التائب، أشدَّ مِن فَرح مَن فقد راحلته بأرض دَوِيَّةٍ[4] مُهلِكَةٍ، ثم وجدها بعد اليأس[5]، فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبّته له، ومودّته له، وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾؛ فإنه مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وأيضًا: فإن كونه مودودًا؛ **أي**: محبوبًا، يُذكر على الوجه الكامل الذي يتبيّن اختصاصُهُ به، مثل اسم: «الإلـه»؛ فإن «الإلـه» المعبود، هو

---

(١) معالم التنزيل: (٢/ ٣٩٩). (٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٣/ ١٥٨)، وقال محققو المسند: «صحيح لغيره»: (٢٠/ ٦٣) (ط الرسالة).

(٤) أرض دوية: الصحراء التي لا نبات فيها، **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢/ ١٤٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم: (٦٣٠٩).
ومسلم في صحيحه، كتاب، التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٦٨٩٠)

مودود، بذلك، ومثل اسمه: «الصمد»، ومثل: «ذي الجلال والإكرام» ونحو ذلك.

وكونه مودودًا ليس بعجيب، وإنما العجب: جوده وإحسانه، فإنه يتودّد إلى عباده؛ كما في الأثر: «يَا عَبْدِي، كَمْ أَتَوَدَّدُ إِلَيْكَ بِالنِّعَم، وَأَنْتَ تَتَمَقَّتُ إِلَيَّ بِالمَعَاصِي، وَلَا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَصْعَدُ إِلَيَّ مِنْكَ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ»(١)، وفي الصحيحين عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال:

(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)(٢).

وجاء في تفسير اسمه «الحَنَّان» «المَنَّان»، أن «**الحنّان**»: «الذي يُقبِلُ على مَن أعرضَ عنه، و«**المنّان**» الذي يجود بالنَّوَالِ قبل السؤال»(٣).

وأيضًا فمبدأ الحب والودّ منه؛ لكن اسمه «الودود» يجمع المعنيين؛ كما قال الوالبيُّ عن ابن عباس: «إنَّه الحبيب»، وذلك أنه إذا كان يودّ عباده، فهو مستحِقٌّ لأن يَوَدَّهُ العِبادُ بالضرورة؛ ولهذا من قال: إنه يُحِبُّ المؤمنين، قال: إنهم يحبّونه؛ فإن كثيرًا من الناس يقول: إنه مَحبوبٌ، وهو لا يُحِبُّ شيئًا مخصوصًا، لكن محبّته بمعنى مشيئتِهِ العامَّةِ، ومن الناس من قال: إنه لا يُحَبّ، مع أنه يثبت محبّته للمؤمنين.

فالقِسمةُ في المَحبةِ رباعيةٌ: فالسلفُ وأهل المعرفة أثبتوا النوعين، قالوا: إنه يُحِبّ، ويُحَبّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص: (١٩) برقم: (٤٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء: (٢/ ٣٧٧)، عن مالك بن دينار قال: «قرأت في بعض الكتب، إن الله ﷻ يقول: **(يَا ابْنَ آدَمَ خَيْرِي يَنْزِلُ عَلَيْكَ، وَشَرُّكَ يَصْعَدُ إِلَيَّ، وَأَتَحَبَّبُ إِلَيْكَ بِالنِّعَمِ، وَتَتَبَغَّضُ إِلَيَّ بِالمَعَاصِي، وَلَا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ قَدْ عَرَجَ مِنْكَ إِلَيَّ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ)**».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، برقم: (٧٥٣٦).

ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الذكر والدعاء، برقم: (٦٧٧١).

(٣) تقدم إيراده، والكلام عليه، **انظر**: ص: (٦٨٥).

والجهمية والمعتزلة تنكر الأمرين.

ومن الناس من قال: إنه يُحِبُّه المؤمنون، وأما هو، فلا يُحِبُّ شيئًا دون شيء.

ومنهم من عكس؛ فقال: بل هو يُحِبُّ المؤمنين، مع أن ذاته لا يُحَبّ، كما يقولون: إنه يَرْحَم، ولا يُرْحَم.

فإذا قيل: إن الودود بمعنى الوادّ، لزم أن يكون مودودًا، بخلاف العكس، فالصواب القطع بأن الودود هو الذي يُوَدّ، وإن كان ذلك مُتَضَمِّنًا؛ لأنه يستحق أن يُوَدّ، ليس هو بمعنى الودود فقط.

ولفظ الوِداد ـ بالكسر ـ هو مثل: المُوَادَّة، والتَّوَاد، وذاك يكون من الطرفين، كالتحابّ، وهو سبحانه لما جعل بين الزوجين مودّة ورحمة، كان كلّ منهما يودّ الآخَرَ ويرحَمُهُ.

وهو سبحانه كما ثبت في الحديث الصحيح، أرحم بعباده من الوالدة بولدها[1]، وقد بيّن الحديث الصحيح أن فَرَحَهُ بتوبةِ التائبِ أعظَمُ من فرح الفاقد مالَهُ ومركوبَهُ في مُهلكةٍ إذا وجدهما بعد اليأس، وهذا الفرح يقتضي أنه أعظم مودّة لعبده المؤمن من المؤمنين بعضهم لبعض، كيف وكلّ وُدٍّ في الوجود فهو من فعله؟! فالذي جعل الوُدَّ في القلوب هو أولى بالوِدِّ؛ كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قال: «يُحِبُّهم، ويُحَبِّبُهُمْ»[2]، وقد دلّ الحديث الذي في الصحيحين، على أن ما يجعله من المحبة في قلوب الناس هو بعد أن يكون هو قد أحبَّه، وأمر جبريل أن ينادِيَ بأن الله يُحِبُّهُ، فنادى جبريل في السماء: أن الله يُحِبُّ فلانًا فأحبّوه، وبسط هذا له موضع آخر[3].

---

(١) تقدم إيراد الحديث وتخريجه، **انظر**: ص: (٦٦٠).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ مؤلف خاص بعنوان قاعدة في المحبة، مطبوعة ضمن جامع الرسائل: (٢/ ١٩٠ ـ ٤٠١).

وفي مناجاة بعض الداعين: «ليس العَجَبُ من حُبِّي لكَ مع حاجتي إِليكَ، العَجَبُ مِن حُبِّكَ لي مع غِناكَ عَنِّي»(١).

وفي أثر آخر: «يَا عَبدِي، وَحَقِّي إني لك مُحِبٌّ، فبِحَقِّي عليكَ كُن لي مُحِبًّا»(٢).

وروي: «يا دَاودُ حَبِّبْنِي إلى عِبَادِي، وحَبِّبْ عِبَادِي إليَّ، مُرْهُم بطاعتي فَأُحِبَّهُمْ، وذَكِّرْهُم آلائِي فَيُحِبُّوني؛ فإنهم لا يعرفون مني إلا الحَسَنَ الجميلَ»(٣).

وهو سبحانه كما قال، كل ما خلقه فإنه من نِعَمِهِ على عباده؛ ولهذا يقول: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣](٤)، والخيرُ بيديهِ؛ لا يأتي بالحسناتِ إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ ولا مَنجَى منه إلا إليه.

ووُدُّهُ سبحانه هو لمن تاب إليه وأناب إليه؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ فلا يَستوحِشْ أهلُ الذنوبِ وينفرون منه، كأنهم حُمُرٌ مستنفِرَة، فإنه ودودٌ رحيمٌ بالمؤمنين، يحبّ التوابين، ويحب المتطهرين.

ولهذا قال شعيب: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وقال هنا: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، فذكر «الودود» في الموضعين؛ لبيان مودّته للمذنب إذا تاب إليه، بخلاف القاسي الجافي الغليظ الذي لا ودّ فيه»(٥).

---

(١) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء: (١٠/ ٣٤) عن أبي يزيد البسطامي.
(٢) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين: (٤/ ٢٩٦)، وقال: «وفي بعض الكتب» ثم ذكره ولم ينسبه لأحد.
(٣) أورد الغزالي بنحوه في إحياء علوم الدين: (٤/ ١٤٥).
(٤) قد تكررت هذه الآية في هذه السورة اثنان وثلاثون مرة.
(٥) النبوات: (١/ ٣٥٢ ـ ٣٦٩).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «وما يذكر في الإسرائيليات: «إن الله قال لداود: أما الذنب، فقد غفرناه، وأما الودّ، فلا يعود»[(١)]، فهذا لو عرفت صحته، لم يكن شرعًا لنا، وليس لنا أن نبني ديننا على هذا؛ فإن دين محمد في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع مَن قبله؛ ولهذا قال: (**أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَأَنَا نَبِيُّ التَّوْبَةِ**)[(٢)]، وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على من قبلنا.

وقد قال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب، أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والمركب إذا وجده بعد اليأس[(٣)]، فإذا كان هذا فرحَ الربِّ بتوبةِ التائبِ، وتلك محبتُهُ كيف يقال: إنه لا يعود لمودته؟!

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٦]، ولكن وُدَّه وحُبَّه بحَسَبِ ما يتقرب إليه العبد بعد التوبة، فإن كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضلَ مما كان يأتي به قبل ذلك، كانت مودّتُهُ له بعدَ التوبةِ أعظمَ من مودّتِهِ له قبلَ التوبةِ، وإن كان أنقصَ، كان الأمرُ أنقصَ، فإن **الجزاء من جنس العمل**، وما ربك بظلام للعبيد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ،**

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم: (٦٠٦١).

(٣) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**)، تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦٩٠).

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي، لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ)[(١)].

ومعلوم أن أفضلَ الأولياءِ بعدَ الأنبياء همُ السابقون الأولون منَ المهاجرين والأنصار، وكانت محبةُ الربِّ لهم، ومودّتُهُ لهم بعد توبتهم منَ الكفر والفسوق والعصيان، أعظمَ محبَّةً ومودَّةً، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبّهم ووَدَّهم»[(٢)].

۞ الفرع السادس عشر ۞

شرح أسماء الجلال: «الغياث»، «المغيث»

هذان الاسمان الجليلان مما لم يذكرهما شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في جَمعِهِ للأسماء الحسنى، وقد أشار إلى معانيهما في بعض مؤلفاته، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كتاب الاستغاثة في الرد على البَكريِّ ـ: «قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلفٍ أن يعلم أن لا غياثَ ولا مُغيثَ على الإطلاق إلا الله، وإن كل غَوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره، فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز.

قالوا: من أسمائه تعالى: «المُغيثُ» و«الغِياثُ»، وجاء ذكر «المغيث» في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعتِ الأمةُ على ذلك.

وقال أبو عبد الله الحَلِيميُّ: «الغِياثُ هو المُغيثُ، وأكثر ما يقال: غِياثُ المستغيثين ومعناه: المُدْرِك عبادَهُ في الشدائد إذا دعوه، ومريحهم ومخلصهم»[(٣)]، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين: (**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ**

---

(١) تقدم تخريجه، انظر: ص: (٥٣٤).

(٢) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٩٤ ـ ٩٦).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان: (١/ ٢٠٤).

أَغِثْنَا)[١]، يقال: أغاثه، إغاثةً، وغياثًا، وغَوْثًا، وهذا الاسم في هذا المعنى: المجيب والمستجيب؛ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ﴾ [الأنفال: ٩]، إلا أن الإغاثة أحقُّ بالأفعالِ، والاستجابةَ أحقُّ بالأقوالِ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر[٢].

قالوا: **والفرق بين المستغيث والداعي**: أن المستغيث ينادي بالغوث، والداعي ينادي بالمدعو... ومن هذا الباب قول أبي يزيد البِسْطامِيِّ[٣]: «استغاثة المخلوق بالمخلوق، كاستغاثة الغريق بالغريق»[٤]، وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي[٥] المشهور بالديار المصرية: «استغاثة المخلوق بالمخلوق، كاستغاثة المسجون بالمسجون»[٦].

وفي دعاء موسى عليه السلام: «اللّهم لكَ الحَمدُ، وإليكَ المُشتكَى، وأنت المستعانُ، وبكَ المستغاثُ، وعليكَ التكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بكَ»[٧]،

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٠٢).

(٢) **انظر**: الأسماء والصفات: (١/ ١٧٣)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٣) طيفور بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، حُكي عنه شطحات منها قوله: «سبحاني»، «وما في الجبة إلا الله»، وقد اعتذر له بعض أهل العلم، وأساء فيه القول آخرون، توفي سنة: ٢٦١هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ص: (٦٧)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٨٦).
وانظر كلام شيخ الإسلام عنه في: منهاج السُّنَّة النبوية: (٥/ ٣٥٧)، رسالة إلى أبي نصر المنبجي، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٦١)، رسالة في علم الباطن والظاهر، ضمن مجموع الفتاوى: (١٣/ ٢٥٧).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) محمد بن سعيد القرشي، أبو عبد الله المصري، لم يفرده أهل العلم بترجمة خاصة، وجاءت له أخبار في كتب الصوفية، له كتاب في شرح التوحيد نقل عنه أبو نعيم في حلية الأولياء: (١٠/ ٣٧٧)، وذكره الكلاباذي في التعرّف لمذهب أهل التصوف ص: (٣١) باسم: أبو عبد الله هيكل القرشي.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٣/ ٣٥٦) برقم: (٣٣٩٤)، والمعجم الصغير: (١/ ٢١١) برقم: (٣٣٩)، والبيهقي في الدعوات الكبير ص: (١٧١) برقم: (٢٣٣)، من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَلَا أُعَلِّمُكُمُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مُوسَى** عليه السلام =

ولما كان هذا المعنى هو المفهومَ منها عند الإطلاق، وكان مُختصًّا بالله، صحّ إطلاق نفيه عمَّا سواه؛ ولهذا لا يُعرَفُ عن أحد من أئمة المسلمين أنه جَوَّز مطلق الاستغاثةِ بغير الله، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله، وكذلك الاستغاثة أيضًا؛ فيها ما لا يصلح إلا لله، وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإنه لا يعينُ على العبادةِ الإعانةَ المطلقةَ إلا اللهُ، وقد يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه، وكذلك الاستنصار قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، والنصر المطلق: هو خلق ما به يُغلب العدوُّ، ولا يقدر عليه إلا الله»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «فأما لفظُ الغَوثِ والغِياثِ، فلا يستحقه إلا الله، فهو غياثُ المستغيثينَ؛ فلا يجوزُ لأحد الاستغاثةُ بغيرِهِ، لا بمَلَكٍ مُقرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ»(٢).



= حِينَ جَاوَزَ البَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟! فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ) فذكره، قال الطبراني في الأوسط: «لم يروِ هذا الحديثَ عن الأعمش إلا وكيع، ولا عن وكيع إلا زكريا، تفرد به جعفر، ولا يروى عن رسول الله إلا بهذا الإسناد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ١٨٣): «رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم»، وقال محقق الدعوات الكبير: «إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن نافع»، وضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب للمنذري برقم: (١١٥٠).

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٢٠٠ ـ ٢٠٤)، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص: (٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (١١/ ٤٣٧).

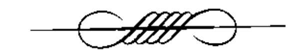


المبحث الثاني

شرحه للأسماء المقترنة والمضافة

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: شرحه للأسماء المقترنة.**
- **المطلب الثاني: شرحه للأسماء المضافة.**



المطلب الأول

شرحه للأسماء المقترنة

كما سبق بيانه من خلال كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من مؤلفاته أن من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يطلق إلا مقرونًا بغيره، فَيَجْري مَجرَى الاسمِ الواحد؛ لِمَا في دَلالةِ ذلك على العموم والكمال الذي يستحِقُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما في إطلاق أحدِ الاسمينِ من إيهامِ وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالنقص؛ الذي هو منزه عنه[1].

وقد أفرد شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بعضَ الأسماء الحسنى التي من هذا النوع بجملة من التقريراتِ في بيان معانيها ودلالاتها، وما يتعلق بها من حِكَمٍ في اقترانِها، يَحسُنُ إبرازُها من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: شرحه لأسماء الجلال: «الأول الآخر» و«الظاهر الباطن».

---

(١) **انظر:** ص: (٢٩٨) وما بعدها من هذه الرسالة.

الفرع الثاني: شرحه لأسماء الجلال: «المعطي المانع»، و«المعز المذل»، و«النافع الضار»، و«الرافع الخافض».

الفرع الثالث: إشارته لأسماء مقترنة أخرى:

وقد رأيت إدماجَ جهودِهِ في شرح هذه الأسماء حسَبَ الفروع المذكورة؛ تفاديًا للتكرار الذي قد يحصل من إفراد شرحه لكل اسم على حِدَة، فإن معظم نصوصه تجمع الكلام على أسماء الله: «الأول الآخر» و«الظاهر الباطن» من جهة، وعلى أسماء الله: «المعطي المانع»، و«المعز المذل»، و«النافع الضار»، و«الرافع الخافض» من جهة أخرى.

۞ الفرع الأول ۞

شرح أسماء الجلال: «الأول والآخر» و«الظاهر والباطن»

أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى جملة من التقريرات المتعلقة بأسماء الله تعالى: «الأول الآخر»، و«الظاهر الباطن» في العديد من المواطن المتناثرة في بديع مؤلفاته، ومن ذلك:

۞ تقريره لتفسير الأسماء الأربعة بنصّ الحديث:

كثيرًا ما يورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصَّ الحديث المتقدم تفسيرًا للآية، وأنه هو الدالُّ على معاني هذه الأسماء، ويُتبِعُهُ بشيءٍ منَ الإيضاح من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي ذلك يقول: «فإنه قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة؛ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **(أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ)**[1]، وهذا موافقٌ ومُفسِّر لقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾»[2].

---

(١) تقدم تخريجه، انظر: ص: (٢٠٦).

(٢) رسالة في شرح حديث: (كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ) ص: (٩٦)، وانظر: مجموع الفتاوى: (١٨/٢١٦)، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/٤٠٦)، الاستقامة: (١/١٢٩، ١٣١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «ثم قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وفي الصحيح: (**أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**) إلخ، فإذا كان هو الأولَ، كان هناك ما يكون بعده، وإذا كان آخرًا، كان هناك ما الربُّ بعده، وإذا كان ظاهرًا ليس فوقه شيءٌ، كان هناك ما الربُّ ظاهرٌ عليه، وإذا كان باطنًا ليس دونه شيء، كان هناك أشياءُ نفى عنها أن تكون دونه»(١).

۞ الاستدلال باسمَي الجلالِ: «الظَّاهِرِ والباطِنِ» على عُلُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ومباينتِهِ لخَلقِهِ:

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، فجميعُ ما في السمٰواتِ والأرض يسبح لله؛ ليس هو الله، ثم قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٢، ٣].

وفي صحيح مسلم عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول في دعائه: (**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**)(٢)، ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]:

فذكر أن السمٰوات والأرض ـ وفي موضع آخر: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

---

(١) مجموع الفتاوى: (٥/١٢٣)، وانظر: (٥/٢٢٨).

(٢) تقدم تخريجه، انظر: ص: (٢٠٦).

[الفرقان: ٥٩][١]، مخلوقٌ له، مسبِّحٌ له، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء. . .

وأجمَعَ سلفُ الأُمة وأئمتها على أن الربَّ تعالى بائن من مخلوقاته، يُوصَفُ بما وَصَفَ به نفسَهُ، وبما وَصَفَهُ به رسولُهُ ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويُعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**)[٣]، وهذا نصٌّ في أن الله ليس فوقه شيءٌ، وكونه الظاهرَ صفةٌ لازمةٌ له؛ مثل كونه الأولَ والآخِرَ، وكذلك الباطنُ، فلا يزال ظاهرًا؛ ليس فوقه شيءٌ، ولا يزال باطنًا؛ ليس دونه شيء.

وأيضًا: فحديثُ أبي ذر وأبي هريرة وقتادة المذكور في تفسير هذه الأسماء الأربعة الذي فيه ذكر الإدلاءِ[٤] ـ قد ذكرناه في «مسألة

---

(١) الآية بتمامها: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص: (٢٤٣ ـ ٢٤٨)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١١/٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٦).

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه، إذ أتى عليهم سحابٌ، فقال نبي الله ﷺ: (**هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**! فَقَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **هَذَا العَنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ، يَسُوقُهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْكُرُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ**، قَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ**؟ قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعلَم، قَالَ: **فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ: سَقْفٌ مَحْفُوظٌ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا**؟! قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ**؟! قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ، مَا بَيْنَهُمَا خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**، ثُمَّ قَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ**؟! قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ**، =

. . . .

= ثُمَّ قَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّهَا الأَرْض،** ثُمَّ قَالَ: **هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَ ذَلِكَ؟** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضًا أُخْرَى بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ،** ثُمَّ قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رَجُلًا بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى، لَهَبَطَ عَلَى اللهِ،** ثُمَّ قَرَأَ: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾).

قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، قال: ويروى عن أيوب ويونس ابن عبيد وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسنُ من أبي هريرة، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علمِ الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش؛ كما وصف في كتابه»، جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الحديد، برقم: (٣٢٢٠)، وضعفه الألباني.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢/ ٣٧٠)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف»: (١٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) (ط الرسالة).

وابن أبي عاصم في السُّنَّة: (١/ ٢٥٤) برقم: (٥٧٨)، وقال الألباني في تخريجه: «إسناده ضعيف».

وأبو الشيخ في العظمة: (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦٢) برقم: (٢٠١).

والجورقاني في الأباطيل والمناكير: (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) برقم: (٦٧)، وقال: «هذا حديث لا يُرجع منه إلى صحة».

والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) برقم: (٨٤٩)، وقال: «في رواية الحسن عن أبي هريرة ﷺ انقطاع، ولا ثبت سماعه من أبي هريرة».

والذهبي في العلو للعلي العظيم: (١/ ٥٨٦) برقم: (١٤٤)، وقال: «رواته ثقات، وقد رواه أحمد في مسنده... وهو في جامع الترمذي، لكن الحسن مدلس، والمتن منكر، لا أعرف وجهه، وقوله: (**لَهَبَطَ عَلَى اللهِ**): يريد معنى الباطن، ألا ترى النبي ﷺ في الحديث كيف تلا ذلك، وذلك مطابق لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؛ أي: بالعلم».اهـ، كما أعلَّ الحديثَ ابنُ الجوزي في العلل المتناهية: (١/ ٢٧ ـ ٢٨)، وتكلم عليه ابن القيم مفصلًا؛ كما في مختصر الصواعق: (٣/ ١٢٥٧ ـ ١٢٦٨).

وأعلّه أيضًا شيخ الإسلام نفسه كما في الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) ص: (١٣٥ ـ ١٣٦)؛ حيث قال: «وهو منقطع؛ فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع، فإن كان ثابتًا فمعناه موافق لهذا».اهـ.

ورواية أبي ذر المشار إليها أخرجها البزار في مسنده؛ كما في البحر الزخار: (٩/ ٤٦٠) برقم: (٤٠٧٥)، وابن أبي شيبة في العرش ص: (٣٤٥ ـ ٣٤٧)، برقم: (١٧)، وأبو الشيخ في العظمة: (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، برقم: (١٩٩).

والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢/ ٢٨٩) برقم: (٨٥٠) وقال: «وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر ﷺ مرفوعًا»، ثم ذكره. =

الإحاطة»[(١)]، وهو مما يبين أن الله لا يزال عاليًا على المخلوقات مع ظهوره وبطونه، وفي حال نزوله إلى السماء الدنيا»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في السياق نفسه: «وهم[(٣)] يحتجون بنصوص المعية والقرب، ويتأولون نصوصَ العُلُوِّ والاستواءِ، وكل نصٍّ يحتجون به حُجَّةٌ عليهم؛ فإن المعيةَ أكثرها خاصَّة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان، وفي نصوصِهم ما يبين نقيضَ قولهم؛ فإنه قال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، فكل مَن في السماوات والأرض يُسبِّح، والمُسبَّح غيرُ المُسبِّح، وقال: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢]؛ فبين أن المُلك له، ثم قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾

= والجورقاني في الأباطيل: (١/١٩٩ ـ ٢٠١) برقم: (٦٣ ـ ٦٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية: (١/٢٦)، وقالا: «هذا حديث منكر».

وأما رواية قتادة فقد أخرجها الطبري في جامع البيان: (٢٧/٢١٦) مرسلًا فلعله هو المحفوظ.

وقد تعقب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من فسّر الإدلاء بالعلم، وقال في الردّ على ذلك: «وكذلك تأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد، من جنس تأويلات الجهمية؛ بل بتقدير ثبوته يكون دالًّا على الإحاطة، والإحاطة قد عُلم أن الله قادر عليها، وعُلم أنها تكون يوم القيامة بالكتاب والسُّنَّة، وليس في إثباتها في الجملة ما يخالف العقل ولا الشرع؛ لكن لا نتكلم إلا بما نعلم، وما لا نعلمه، أمسكنا عنه»، الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) ص: (١٣٨).

وقال في بيان معنى الإدلاء في الحديث: «فإن قوله: (**لَوْ أَدْلَى أَحَدُكُمْ بِحَبْلٍ، لَهَبَطَ عَلَى اللهِ**)، إنما هو تقديرٌ مفروضٌ؛ أي: لو وقع الإدلاء، لوقع عليه؛ لكنه لا يمكن أن يُدلي أحد على الله شيئًا؛ لأنه عالٍ بالذات، وإذا أُهبط شيء إلى جهة الأرض، وقف في المركز، ولم يصعد إلى الجهة الأخرى؛ لكن بتقدير فرض الإدلاء، يكون ما ذكر من الجزاء»، الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) ص: (١٣٦).

وانظر: مجموع الفتاوى: (٦/٥٧١، ٥٧٤)، بيان تلبيس الجهمية: (٤/٣٩).

(١) المراد بها: الرسالة العرشية، مطبوعة ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) ص: (١٣٥ ـ ١٣٨)، وهي أيضًا ضمن مجموع الفتاوى: (٦/٥٧١ ـ ٥٧٤).

(٢) شرح حديث النزول ص: (٤٦٢ ـ ٤٦٣)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٥/٥٨١).

(٣) القائلون بأن الله بذاته في كل مكان، من النجارية، والجهمية، والصوفية، وأهل وحدة الوجود.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وفي الصحيح: **(أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ)** إلخ[١]، فإذا كان هو الأولَ، كان هناك ما يكون بعدَهُ، وإذا كان آخِرًا، كان هناك ما الربُّ بعده، وإذا كان ظاهرًا ليس فوقه شيء، كان هناك ما الربُّ ظاهرٌ عليه، وإذا كان باطنًا ليس دونه شيء، كان هناك أشياءُ نفى عنها أن تكون دونه»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **(أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ)**، والباري ﷻ فوق العالم فوقيةً حقيقية ليست فوقية الرتبة، كما أن التقدم على الشيء قد يقال: إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان؛ مثل تقدم العالم على الجاهل، وتقدم الإمام على المأموم، فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك؛ بل هو قبله حقيقة، فكذلك العُلُوُّ على العالم قد يقال: إنه يكون بمجرد الرتبة؛ كما يقال: العالم فوق الجاهل، وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك؛ بل هو عالٍ عليه عُلُوًّا حَقيقيًّا، وهو العُلُوُّ المعروفُ والتقدم المعروف»[٣].

۞ تقريره لوجوب الاقتران بين اسمَيِ الجلالِ: «الظاهر والباطن» ودَلالةُ ذلك:

فقد نصَّ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ ـ كما سبق بيانه ـ أن الأسماءَ المقترنةَ تَجرِي مَجرَى الاسمِ الواحدِ؛ لِمَا في اقترانها منَ الدَّلالةِ على الكمالِ، ودفع توهم النقصِ الذي قد يتبادر من إطلاقها مفردةً، وفي تقريرِ خُصوصِ ذلك بهذينِ

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٥/ ١٢٣)، **وانظر**: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٤٨٩).

(٣) بيان تلبيس الجهمية: (١/ ٣٩٠)، **وانظر**: (٣/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥، ٧٥٤ ـ ٧٥٧)، (٤/ ٣٦ ـ ٤٤)، (٥/ ١٧٦، ١٧٨ ـ ١٧٩)، مجموع الفتاوى: (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، النبوات: (٧٥٧ ـ ٧٥٨).

الاسمين، «الظاهر الباطن»، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يجئْ هذا الاسمُ «الباطن» في قوله: (**وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**)، إلا مقرونًا بالاسم «الظاهر» الذي فيه ظهوره وعُلُوه؛ فلا يكون شيءٌ فوقَهُ؛ لأن مجموعَ الاسمين يدلان على الإحاطةِ والسَّعَةِ، وأنه الظاهرُ؛ فلا شيءَ فوقَهُ، والباطنُ فلا شيءَ دُونَهُ»[(١)].

۞ تقريره لدَلالةِ اسمَي الجلالِ: «الأول والآخر» على عدمِ الابتداء وعدمِ الانتهاء:

وفي تقرير ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه إذا وجب أن يكون الأوَّلَ والآخِرَ؛ لم يجز أن يسبقَهُ شيءٌ أو يتأخَّرَ عنه شيءٌ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: (**أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**)؛ لكن الأول والآخر لا ابتداء له ولا انتهاء، وإذا لم يكن له نهايةٌ ولا حدٌّ منَ الوجهينِ جميعًا، ظهر فيه امتناعُ أن قبلَهُ أو بعدَهُ شيءٌ»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في موضع آخَرَ مقررًا لنفس المعاني بشيء من التفصيل ـ: «فالأولُ ليس قبلَه شيءٌ، إذ هو خالقُ كلِّ شيءٍ، والآخِرُ ليس بعدَهُ شيءٌ؛ أي: إليه يصيرُ العبادُ، وتنتهي الحركاتُ؛ كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]؛ أي: الغاية، لا يراد بذلك أن الأشياءَ تعدم، ويكون هو بعدَ وجودِها، وإنما هو آخِرُها كما كان أَوَّلَها، فمنه ابتدأتْ وإليه تعودُ، كما يقال: ما بعد هذا غاية.

فالآخِرُ قد يعني به: في الوجود، وقد يعني به: في الغاياتِ المقصودةِ، فإذا عنى به: الآخِرَ بعد كل موجود، لم يدلَّ على الغايةِ، وإذا قيل: أنت الآخِرُ؛ أي: الغاية والمنتهَى لكلِّ موجودٍ، فليس بعدَكَ ما يوجد ويُطلَبُ، كان هذا المعنى أبلغَ، مع أن قولَهُ: «الآخِر» يَعُمُّ القسمَينِ، كما أن قوله:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٤/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٧٥٥ ـ ٧٥٦)، وانظر: (٥/ ١٧٤).

«الأول» ظاهر من كونه موجودًا أولًا، وقد تضمن: «أنت الأول» في المقصود؛ كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وغيرك إنما يُقصَدُ بالقَصدِ الثاني، لا بالقَصدِ الأولِ؛ لكن هذا المعنى ليس وَحدَهُ ظاهرَ الحديثِ؛ لكن يقال: الحديثُ أشار إليه مع المعنى الظاهر.

وأما قوله: (**أَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**)، فظهور الآخِرية في كونه الغايةَ المقصودةَ أظهَرُ من ظُهورِ الأوليَّةِ؛ في كونه أَوَّلَ في القصد والإرادة»[(١)].

۞ تقريره لانتظام نوعَي الإرادةِ الكونيَّةِ والشرعيَّةِ معنَى اسمَي الجلالِ: «الأوَّلِ والآخِرِ»:

قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن الإرادة الإلـٰهية بنوعَيْهَا؛ الكونيةِ القَدَريةِ والشرعيةِ الدينيةِ ـ: إنما هي من مقتضيات اسميه تعالى: «الأول» و«الآخر»، وفي تقرير ذلك يقول رَحِمَهُ اللهُ: «إن الإرادة نَوعانِ: منها ما هو بمقتضَى الربوبيةِ؛ وهي الإرادةُ الكونيةُ، ومنها ما هو بمقتضَى الإلـٰهيةِ؛ وهي الإرادة الدينية، **فالأولى**: إرادة فاعلية، **والثانية**: إرادةٌ غائيةٌ، الأولى من اسمه: «الأول»، والثانية من اسمه: «الآخِر»، **الأولى**: يكون الرب بها مريدًا إرادةَ تكوينٍ وربوبيةٍ؛ ولذلك قد يكون مريدًا، **والثانية**: يكون الربُّ مريدًا إرادةَ حُبٍّ ورِضًا وإلـٰهيَّةٍ، والعبدُ أيضًا مريدًا إرادةَ عبادةٍ وديانةٍ وإنابةٍ وإرادةَ قَصدٍ، وقد يكون بها مُرادًا إرادةَ ربوبيةٍ إذا حصل ذلك»[(٢)].

۞ إشارته إلى بعضِ التفسيراتِ المنحرفةِ لمعاني هذه الأسماءِ الأربعة والرد عليها:

رَدَّ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ على بعضِ التفسيراتِ التي أطلقها بعض من

(١) فصل في أن التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير، ضمن المجموعة العلية: (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) فصل في حق الله على عباده وقسمه من أم القرآن، ضمن المجموعة العلية: (٢/ ١١٥).

انحرف في هذا الباب لاسمَي الجلال: «الظاهر الباطن»؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالى: «هو الظاهر» ضُمِّنَ معنَى: العَالِي؛ كما قال: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، ويقال: ظهر الخطيب على المنبر، وظاهر الثوب: أعلاه، بخلاف بطانته، وكذلك ظاهر البيت أعلاه، وظاهر القول: ما ظهر منه وبان، وظاهر الإنسان خلاف باطنه، فكلما علا الشيء، ظهر؛ ولهذا قال: (أَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ)؛ فأثبت الظهور وجعل موجَبَ الظهورِ أنه ليس فوقه شيء، ولم يقل: ليس شيءٌ أبينَ منك، ولا أعرف.

وبهذا تبين خطأ من فسَّر «الظاهر» بأنه المعروف؛ كما يقوله من يقول: «الظاهرُ بالدليلِ، الباطنُ بالحجاب»، كما في كلام أبي الفرج[(١)] وغيره[(٢)]، فلم يذكر مراد الله ورسوله، وإن كان الذي ذكره له معنًى صحيحٌ، وقال: (وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ)، فيهما معنى الإضافة، لا بد أن يكون البطونُ والظهورُ لمن يُظهِر ويُبطِنُ، وإن كان فيهما معنى التجلِّي والخفاءِ، ومعنًى آخَرُ كالعُلُوِّ في الظهور؛ فإنه سبحانه لا يوصف بالسُّفُول.

وقد بَسَطْنا هذا في الإحاطة[(٣)]؛ لكن إنما يظهر من الجهة العالية علينا، فهو يظهر علمًا بالقلوب وقصدًا له ومعاينةً إذا رُئِي يومَ القيامةِ، وهو بادٍ عالٍ ليس فوقَهُ شيءٌ، ومن جهة أخرى يُبطِنُ فلا يُقصد منها ولا يُشهد، وإن لم يكن شيءٌ أدنى منه؛ فإنه من ورائهم محيطٌ، فلا شيء دونه سبحانه»[(٤)].

كما أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تفسير الملاحدة من القرامطة النفاة لأسماء الله الحسنى لبعض أسمائه جَلَّ وَعَلَا وَفقَ منهجِهم الباطنيِّ، ومن تلك

---

(١) هو: عبد الرحمٰن بن علي بن محمّد أبو الفرج ابن الجوزي.

(٢) لم أقف عليه، والله أعلم.

(٣) تكلم شيخ الإسلام عن هذا الموضوع في الرسالة العرشية، ضمن جامع الرسائل: (تحقيق زمرلي) التي تسمى أيضًا بالإحاطة، **انظر**: ص: (١٣٥ ـ ١٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى: (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

الأسماء التي تعرضوا لتفسيرها: أسماء الجلال: «الأول والآخر»، و«الظاهر والباطن»، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليتدبر المؤمنُ العليمُ كيفَ أُلزِمَ هؤلاءِ الزنادقةِ المَلاحدةِ المنافقونَ، الذين هم أكفرُ منَ اليهودِ والنصارى ومشركي العرب؛ كالمعتزلة ونحوِهم من نفاة الصفات ـ: نَفْيَ أسماءِ الله الحسنى، وأن تكون أسماؤه الحسنى لبعض المخلوقات، فيكون المخلوقُ هو المُسمَّى بأسمائه الحسنى؛ كقوله في «الأول» و«الآخِرِ» و«الظَّاهرِ» و«الباطنِ» ـ: أن «الظاهر» هو محمدٌ الناطقُ، و«الباطنَ» هو عليٌّ الأساسُ، ومحمد هو «الأول»، وعلي هو «الآخر». . . وأمثال هذه التأويلات المعروفة عن القرامطة، وأصل كلامهم استدلالُهُم بما يزعمونه من نَفْيِ التشبيهِ، وإلزامُهم لكل مَن وافقهم على شيء منَ النفيِ بطَردِ مقالتِهِ، واتباع لوازمها، ولازمها التعطيل الذي يصدونه»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا ـ في مقالة ابن عربي المُلحِد والردّ عليه ـ: «وقال: «ومن أسمائه الحُسنى العَلِيُّ، على من يكون عَلِيًّا، وما ثَمَّ إلا هو؟! أو عن ماذا يكون عَلِيًّا، وما هو إلا هو! فعُلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمُسمَّى محدثات هي العَلِية لذاتها وليست إلا هو»[(٢)].

وقد نقل عن أبي سعيد الخرَّاز[(٣)] أنه قيل: بماذا عرفتَ ربك؟ قال: بجَمعِهِ بينَ الأضدادِ، وقرأ قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (١١٣).

(٢) فصوص الحكم ص: (٧٦)، والنص فيه بعض الفروق مع ما أورده شيخ الإسلام، وهو كما في الفصوص: «ومن أسمائه العَلِيُّ: على من، وما ثم إلا هو، فهو العلي لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوه لنفسه، ومن حيث الوجود، فهو عين الموجودات فالمُسمى محدثات هي العلية لذاتها وليس إلا هو».

(٣) أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز البغدادي، شيخ الصوفية، صحب السري السقطي وذا النون المصري، وأول من تكلم في الفناء والبقاء فأحدث بذلك شَرًّا كبيرًا، وبابًا عظيمًا لكل اتحادي، يعدونه في الإمامة بعد الجنيد، ومن أقواله: «كل باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل»، توفي سنة: ٢٨٦هـ، وقيل: ٢٧٧هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق: (٥/ ١٢٩)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٤١٩).

أراد بذلك أنه مجتمع في حقه سبحانه ما يتضادُّ في حقِّ غيرِهِ؛ فإن المخلوقَ لا يكون أولًا آخِرًا، باطنًا ظاهرًا(١).

وقد ثبت في الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول: **(أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ)**(٢).

فجاء هذا المُلحِدُ وفسَّر قولَ أبي سعيد بأن المخلوقَ هو الخالق، فقال: «قال أبو سعيد: وهو وجهٌ من وُجوهِ الحقِّ، ولسانٌ من ألسنتِهِ ينطِقُ عن نفسِهِ، بأن الله لا يُعرَفُ إلا بجَمعِهِ بين الأضدادِ في الحكم عليه بها؛ فهو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ، فهو عينُ ما ظهر، وهو عينُ ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمَّ من يراه غيره، وما ثَمَّ مَن بَطَنَ عنه سِواهُ، فهو ظاهرٌ لنفسِهِ، باطنٌ عن نفسِهِ، وهو المُسمَّى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثاتِ»(٣).

فقد نبّه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ من خلال هذه النقول ـ إلى ما وقع فيه بعض الغلاة منَ المبتدعةِ في تفسيرِ هذه الأسماءِ الحُسنى بالتفسير الباطنيِّ الموافقِ لمنهجِهِمْ الاعتقاديِّ المنحرفِ، وقام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بالردّ الوافي على هذه الأباطيل التي كثيرًا ما يُصرّح شيخُ الإسلام أن نقلها مع التصور الصحيح لها، كافٍ في بيانِ بُطلانها(٤).

---

(١) **انظر**: بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ١٠١ ـ ١٠٢)، بغية المرتاد ص: (٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٠٦).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٤) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن مذهب الباطنية من أهل الحلول والاتحاد وأصحاب وحدة الوجود: «اعلم هداك الله وأرشدك، أن تصوّر مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده، لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة؛ لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة؛ بل وهم أيضًا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه؛ ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم».اهـ، حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ١٣٨).

الفرع الثاني

شرح أسماء الجلال: «المعطي المانع»، و«المعز المذل»، و«النافع الضار»، و«الرافع الخافض»

أشار رَحِمَهُ اللهُ إلى جملة منَ التقريراتِ المتعلقةِ بهذه الأسماء الحسنى في العديد من المواضع المتناثرةِ في بديع مؤلفاتِهِ، ومن ذلك:

تقريره لوجوبِ اقترانِ هذه الأسماءِ وإجرائها مُجْرَى الاسمِ الواحدِ:

سبق بيان تقرير شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن الأسماء المقترنة تَجرِي مَجرَى الاسمِ الواحدِ، لِمَا في اقترانِها منَ الدَّلالةِ على الكمال، ودفع توهم النقصِ الذي قد يتبادَرُ من إطلاقها مفردةً، وفي تقرير خصوص ذلك بهذه الأسماء المرادِ شرحُها ـ: قال رَحِمَهُ اللهُ ـ في معرض حديثه عن الشر وأنه لا يضاف إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إلا على أحد أوجه ثلاثة، فالأول منها ـ: «أن يدخل في عموم المخلوقاتِ؛ فإنه إذا دخل في العموم، أفاد عموم القدرةِ والمشيئةِ والخَلقِ، وتَضمَّنَ ما اشتَمَلَ عليه من حكمةٍ تتعلق بالعُمومِ.

وإما أن يضافَ إلى السببِ الفاعلِ، وإما أن يحذف فاعله:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] ونحو ذلك، ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة؛ «**كالمُعطِي المانعِ**»، و«**الضَّارِّ النافعِ**»، «**المُعِزِّ المُذِلِّ**»، «**الخافضِ الرافعِ**»، فلا يفرد الاسم: «المانع» عن قرينه، ولا «الضارُّ» عن قرينه؛ لأن اقترانَهما يدلُّ على العموم، وكل ما في الوجود؛ من رحمة ونفع ومصلحة، فهو من فَضلِهِ تعالى، وما في الوجود من غير ذلك، فهو من عَدلِهِ، فكل نعمةٍ منه فَضلٌ، وكل نِقمةٍ منه عَدلٌ؛ كما في الصحيحين: عن النبي ﷺ أنه قال: (**يَمِينُ اللهِ مَلأَى؛ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟! فَإِنَّهُ لَمْ**

يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القِسْطُ؛ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ)(١)، فأخبر أن يده اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق، ويده الأخرى فيها العَدلُ والمِيزانُ؛ الذي به يخفض ويرفع، فخَفضُهُ ورفعُهُ من عدله، وإحسانُهُ إلى خَلقِهِ من فَضلِهِ»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كلام مشابه لِمَا قبله، في عدم جواز إضافة الشر إلى الله تعالى مطلقًا، وإنما يُذكر في أحد الوجوه الثلاثة التي تقدم بيانها، قال ـ: «ولهذا إذا ذكر باسمه الخاصِّ، قُرِنَ بالخير؛ كقوله في أسمائه الحسنى: «الضار النافع»، «المعطي المانع»، «الخافض الرافع»، «المعز المذل»؛ فجَمَعَ بينَ الاسمين؛ لِمَا فيه منَ العُمومِ والشمولِ الدالِّ على وحدانيتِهِ، وأنه وَحدَهُ يفعل جميع هذه الأشياء؛ ولهذا لا يُدعى بأحد الاسمين؛ كالضارِّ والنافعِ والخافضِ والرافع؛ بل يذكران جميعًا؛ ولهذا كان كل نعمة منه فضلًا، وكلُّ نِقمةٍ منه عَدْلًا»(٣).

ومن ذلك أيضًا قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الشرَّ لم يَرِدْ في أسمائِهِ، وإنما ورد في مفعولاته، ولم يُضَفْ إليه إلا على سبيل العموم، أو أضافه إلى السبب المخلوق، أو بحذفِ فاعِلِهِ(٤)؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، و: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وكأسمائه المقترنة؛ مثل: «المعطي المانع»، «الضارُّ النافع»، «المُعِزُّ المُذِلُّ»، «الخافضِ الرافع»، وكقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وكقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وكقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤١٨).
(٢) أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ٩٤ ـ ٩٥).
(٣) منهاج السُّنَّة النبوية: (٥/ ٤١٠).
(٤) **انظر**: في أنواع الإضافة الثلاثة: مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٤٧، ٥١١ ـ ٥١٢)، (١٤/ ٢١)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ضمن مجموع الفتاوى: (٨/ ٩٤)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٤)، (٥/ ٤١٠)، الحسنة والسيئة ص: (٥٢ ـ ٥٣)، فصل في قوله ﷺ: (**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ**)، ضمن جامع المسائل: (١/ ١٦١).

[الجن: ١٠]، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح: **(وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)**[١]، وسواء أريد به: أنه لا يُضاف إليك، ولا يُتقرب به إليك[٢]، أو قيل: إن الشرَّ إما عدم، وإما من لوازم العدم[٣]، وكلاهما ليس إلى الله؛ فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير.

وأسماؤه تدل على صفاته، وذلك كله خير حسن جميل، ليس فيه شر، وإنما وقع الشر في المخلوقات؛ قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ فجعل المغفرةَ والرحمةَ من معاني أسمائه الحسنى التي يُسمِّي بها نفسَهُ، فتكون المغفرةُ والرحمةُ من صفاته، وأما العقابُ الذي يتصل بالعباد، فهو مخلوق له وذلك هو الأليمُ، فلم يقل: وإني أنا المُعَذِّبُ، ولا في أسمائه الثابتة عنِ النبيِّ ﷺ اسمُ المنتقم، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيدًا؛ كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾، وجاء معناه مضافًا إلى الله؛ في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، وهذه نكرة في سياق الإثبات، والنكرةُ في سياقِ الإثباتِ مطلقة، ليس فيها عمومٌ على سبيل الجمع؛ وذلك أن الله سبحانه حكيمٌ رحيمٌ، وقد أخبر أنه لم يخلق المخلوقاتِ إلا لحكمةٍ»[٤].

وفي مزيد بيان وتوضيح للحكمة من ذلك قال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد قال مَن

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤١٥).

(٢) **انظر** في هذين التوجيهين: منهاج السُّنَّة النبوية: (٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، شرح النووي على صحيح مسلم: (٥/ ٣٠١)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر: (١٣/ ٥٤١).

(٣) **انظر** في هذا التوجيه: مجموع الفتاوى: (١٤/ ١٨ ـ ١٩، ٢٢).

(٤) جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢١ ـ ١٢٢)، **وانظر**: منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٤)، (٥/ ٤٠٩ ـ ٤١١)، الحسنة والسيئة ص: (٥٢ ـ ٥٣).

قال مِنَ العلماء: إن مثل أسمائه: «**الخافضِ الرافعِ**»، و«**المُعِزِّ المُذِلِّ**»، و«**المعطي المانع**»، و«**الضارِّ النافعِ**»، لا يُذكر ولا يُدعى بأحد الاسمين الذي هو مثل: «الضارِّ» و«النافع»[(١)]، و«الخافض»؛ لأن الاسمين إذا ذكرا معًا، دلَّ ذلك على عموم قدرته وتدبيره، وأنه لا ربَّ غيره، وعموم خلقه وأمره فيه مدحٌ له، وتنبيهٌ على أن ما فعله من ضررٍ خاصٌّ، ومنعٍ خاصٌّ، فيه حكمةٌ ورحمةٌ بالعموم، وإذا ذُكر أحدُهما، لم يكن فيه هذا المدح، والله له الأسماء الحسنى، ليس له مَثَلُ السوء قط، فكذلك أيضًا الأسماء التي فيها عمومٌ وإطلاقٌ لما يُحمَدُ ويُذَمُّ لا توجد في أسماء الله تعالى الحسنى؛ لأنها لا تدلّ على ما يُحمَدُ الربُّ به ويمدَحُ.

لكن مثل هذه الأسماء ومثل تلك، ليس لأحد أن ينفي مضمونَها أيضًا؛ فيقول: ليس بضارٍّ، ولا خافضٍ... ونحو ذلك؛ لأن نفي ذلك باطلٌ، وإن كان إثباته يَثبُتُ على الوجهِ المتضمِّنِ مدحَ اللهِ وحَمدَهُ»[(٢)].

فقد أوضحَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن العلة في ذكر الاسمين جميعًا وإجرائهما مُجرَى الاسم الواحدِ، الدَّلالةُ على العُمومِ الذي يفيده هذا الاجتماعُ، ودفعُ توهُّمِ النَقصِ الذي قد يُفهَم من إطلاقِ الاسم الذي فيه معنى الشرِّ، وليس هذا فحَسْبُ فإن في الاقتران مزيدَ كمالٍ من جهة الاسم الذي يدلُّ على المدحِ: المعطي، والرافع، والمعز، ونحو ذلك، وهذا ما أوضحه رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «ولهذا[(٣)] وُصِفَ الربُّ بالعلم دونَ الجهلِ، والقدرةِ دون العجزِ، والحياةِ دون الموتِ، والسمعِ والبصرِ والكلامِ دون الصَّمَمِ والعَمَى والبكم، والضحك دون البكاءِ، والفرح دون الحُزنِ.

وأما الغَضَبُ مع الرضا، والبغضُ مع الحُبِّ، فهو أكمَلُ ممن لا يكون منه إلا الرضا والحُبُّ دونَ البُغضِ والغضبِ؛ للأمور المذمومة التي تستحق أن تذم وتبغض.

---

(١) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «المانع»، والله أعلم.

(٢) بيان تلبيس الجهمية: (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، **وانظر**: (٤/ ٣٧ ـ ٣٩)، (٧/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٣) أي: ما سبق من النصوص الدالة على أن الله متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص.

ولهذا كان اتصافه بأنه يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل: أكمل من اتصافه بمجرد الإعطاء والإعزاز والرفع؛ لأن الفعل الآخَرَ حيث تقتضي الحكمةُ ذلك أكملُ ممن لا يفعل إلا أحدَ النوعينِ، ويُخِلُّ بالآخَرِ في المحل المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب وجده على قانون الصواب، والله الهادي لأولي الألباب»(١).

هذه جملةٌ من تقريرات شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ المفصَّلة في بيان وجوب إجراء هذه الأسماء المقترنة مُجرَى الاسم الواحد والحكمة في ذلك، وما في الاقتران من الاحتراز عن وصف الله ﷻ، بما لا يليق بجلاله وكماله، أو أن يضافَ إليه ما يدلُّ على نقصٍ بوجهٍ منَ الوُجوهِ.

۞ تقريره لجُملةٍ منَ المعاني الخاصَّةِ بهذه الأسماءِ:

أوضح شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما تدل عليه أسماء الجلال: «المعطي المانع»، و«النافع الضار»، منَ المعاني الخاصة، فقال: «قول القائل عن مخلوق: إنه لا يَضُرُّ ولا ينفعُ، تارة يريد به نفيَ الاستقلال بذلك على سبيل توحيد الربوبية؛ بمعنى أن ما يجري على يديه من الضر والنفع، فالله هو خالقه، وهو الذي يجعله فاعلًا بمشيئته، أو يريد: أنه لا ينفع ولا يضر إلا بمشيئة الله تعالى وقدرته أو إرادته؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهذا صحيح؛ فليس في المخلوقات بهذا الاعتبار شيءٌ ينفعُ ويَضُرُّ؛ إذ ليس في المخلوقاتِ شيءٌ ما يستقلُّ بإحداثِ ضررِ غيره ونفعِهِ، ولا يفعل شَيئًا إلا بإذن الله، كما ليس فيها من يُعطي ويمنع بهذا الاعتبار ولا ينبغي بهذا الاعتبار.

كما أن من أسمائه تعالى: «المعطي المانع»، «الضار النافع»، وكان النبي ﷺ يقول ـ في دبر الصلاة وفي غير هذا الموطن ـ: (**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)(٢)، وكان يقول

---

(١) الرسالة الأكملية ص: (٣٩).

(٢) تقدم تخريجه، انظر: ص: (٥٠٨).

في رقيته: (**أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي؛ لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**)(١)، وفي رواية: (**لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**)(٢)، وتارة يريد به أن الضرَّ والنَّفع المعتاد؛ مثل الصحة والمرض، والغنى والفقر، والأمنِ والخوفِ، واليُسرِ والعُسرِ ـ: لا يفعله رسولٌ ولا غيرُهُ، لا في حياته ولا بعد موته، فهذا صحيحٌ؛ بخلاف ما ظنه المشركون الغلاة من النصارى وأشباههم؛ الذين يظنون أن الأنبياء والصالحين بعد موتهم، أو في حياتهم، يُنزِلون المطرَ ويدفعون العَدُوَّ، وينبتون النباتَ، ويشفون المرضى، ونحو ذلك من الحوادث»(٣).

وفي تقرير أن المنّة في عطاء الله ﷻ؛ حتى الإيمان والعمل الصالح الذي يُوَفَّق إليه العبد ـ: إنما هو محضُ فضلٍ منه تعالى وتكرمٌ على عبده، ومع ذلك يثيب عليه الثوابَ الجزيلَ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «إن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وهو لا يمنع من ذلك ما يستحِقُّهُ العبدُ أصلًا، ولا يمنع الثوابَ إلا إذا مُنع سَبَبُهُ؛ وهو العملُ الصالحُ، فأما مع وجود السبب؛ وهو العمل الصالح؛ فإنه ﴿مَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾ [طه: ١١٢].

وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطِيَ لما مَنَعَ؛ لكن منَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، ثم لم يمنعه مُوجَبَ ذلك أصلًا؛ بل يُعطِيهِ منَ الثواب والقُرْب ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك، فلا يبقى سببه؛ وهو العمل الصالح»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، برقم: (٥٧٤٣). ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم: (٢١٩١)، واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٢٥٤).

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٤) الاستقامة: (٢/ ٥٠ ـ ٥١).

ويؤكد هذه المعانيَ في كل ما يحصل للعبد؛ بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن النِّعم كلها لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]، فالله سبحانه هو المُعطِي على الحقيقةِ؛ فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدَّرها وساقها إلى من يشاء من عباده؛ فالمُعطِي هو الذي أعطاه، وحرّك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخِر»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في موضع آخر ـ: «إنه لما كانتِ الحسنةُ من إحسانه تعالى، والمصائبُ من نفسِ الإنسان ـ وإن كانت بقضاءِ الله وقَدَرِهِ ـ وَجَبَ على العبد أن يشكر ربه سبحانه، وأن يستغفره من ذنوبه، وأن لا يتوكل إلا عليه وحده؛ فلا يأتي بالحسناتِ إلا هو، فأوجَبَ ذلك للعبد توحيدَهُ، والتوكُّلَ عليه وحدَهُ، والشكرَ له وحده، والاستغفارَ من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبيُّ ﷺ يجمعها في الصلاة؛ كما ثبت عنه في الصحيح أنه ﷺ كان إذا رفع رأسَهُ منَ الركوع يقول: (**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ**)[2]، فهذا حَمْدٌ، وهو شكرٌ لله تعالى، وبيان أن حَمدَهُ أحقُّ ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: (**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْت، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**).

وهذا تحقيقٌ لوحدانيتِهِ، لتوحيدِ الربوبيةِ خلقًا وقدرًا، وبدايةً وهدايةً، هو المعطِي المانعُ، لا مانعَ لِمَا أعطى، ولا مُعطِيَ لما مَنَعَ، ولتوحيد الإلٰهية شرعًا وأمرًا ونهيًا، وهو أن العباد وإن كانوا يُعْطَوْنَ ملكًا وعظمةً وبختًا ورياسةً في الظاهر، أو في الباطن؛ كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، (**فَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)؛ أي: لا ينجيه ولا يخلصه من سؤالك وحسابك، حظُّهُ وعظمتُهُ وغِناهُ.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١/ ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم: (٤٧٦).

ولهذا قال: «لا ينفعه منك»، ولم يقل: «لا ينفعه عندك»؛ فإنه لو قيل ذلك، أوهم أنه لا يُتقرَّبُ به إليكَ؛ لكن قد لا يضره، فيقول صاحبُ الجد: إذا سَلِمتُ منَ العذابِ في الآخرة فما أُبالي، كالذين أوتوا النبوةَ والمُلكَ، لهم ملك في الدنيا، وهم من السعداء، فقد يظن ذو الجد الذي لم يعمل بطاعة الله من بعده أنه كذلك، فقال: (**وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ**)، ضَمَّن: «ينفع» معنى: «يُنْجِي ويُخَلِّصُ»، فبيّن أن جَدَّهُ لا ينجيه منَ العذاب؛ بل يستحقُّ بذنوبِهِ ما يستحِقُّهُ أمثالُهُ، ولا ينفعُهُ جَدُّه مِنكَ، فلا ينجيه ولا يخلصُهُ، فتضمن هذا الكلامُ تحقيقَ التوحيد وتحقيقَ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٨، ٩]؛ فقوله: (**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**)، توحيدُ الربوبية، الذي يقتضِي أنه سبحانه هو الذي يُسأل ويُدعى ويُتوكَّلُ عليه، وهو سببٌ لتوحيدِ الإلـٰهيةِ ودليلٌ عليه»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تعليقه على كلام بعض مشايخ التصوف فيما يعرض للسالكين من الغيرة والحَسَدِ؛ بسبب ما يَهَبُهُ الله عَزَّ وَجَلَّ من فضلٍ لبعضهم دون بعض، وربط ذلك بعدم شهودِ حقائقِ اسمَي الجلال: «المُعطِي المانِع»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغيرةُ المتضمنةُ للمنافسة والحَسَد، مثل أن يَغارَ أحدهم إذا رأى أحدًا سبقه إلى الحق، أو نال منه نصيبًا وافرًا ونحو ذلك، فإنَّ هذا كثير جدًّا في السالكين، فقال الشيخ[(٢)]: «إن هذه الغيرة تَعرِضُ للمُريدينَ،

---

(١) الحسنة والسيئة ص: (١٢٥ ـ ١٢٦)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٣٧٥ ـ ٣٧٧)، بيان تلبيس الجهمية: (٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٢) **هو**: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري النيسابوري، الصوفي المتوفى سنة: ٢٩٨هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ص: (١٤٠)، تاريخ بغداد: (٩/ ٩٩)، سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٦٢).

حيث لم يشهدوا الحقائق، وأن الله هو المعطي المانع، فأما أهل الحقائق، الذين يشهدون أن الله هو المعطي المانع، وأنه لا ربّ غيره، فإنهم لا يغارون على ما وهبه الله عباده من هباته المستحَبَّةِ أوِ المباحةِ، ولا يعتبون على الحوادث، كما يفعله من الناس في سبِّهِمُ الدهرَ»(١).

ومن تقريراته لبعض المعاني الخاصَّة باسمَي الجلالِ: «النافع الضار» ـ: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ [الحج: ١٢]، هو نفيٌ لكونِ المَدعُوِّ المعبودِ من دون الله يَملِكُ نفعًا أو ضَرًّا، وهذا يتناول كلَّ ما سِوى الله؛ منَ الملائكة والبشر والجِنِّ والكواكبِ والأوثانِ كُلِّها؛ فإن ما سوى الله لا يَملِكُ لا لنفسِهِ ولا لغيرِهِ ضَرًّا ولا نفعًا؛ كما قال تعالى في سياق نهيه عن عبادة المسيح: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٦].

وقد قال لخاتم الرُّسُلِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وقال على العموم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

(١) الاستقامة: (٢/ ٣٩).

مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال صاحب يس: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٢ ـ ٢٥]، وقوله: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ [الحج: ١٢]، نفيٌ عامٌّ؛ كما في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ﴾ [المائدة: ٧٦]، فهو لا يقدر أن يَضُرَّ أحدًا سواء عَبَدَهُ أو لم يَعبُدْهُ، ولا ينفع أحدًا سواء عبده أو لم يعبده، وقولُ مَن قال: لا ينفع إن عُبِدَ، ولا يَضُرُّ إن لم يُعبَدْ، بيانٌ لانتفاءِ الرغبةِ والرهبةِ من جهته، بخلاف الربّ؛ الذي يُكرم عابديه ويرحمهم، ويهين من لم يعبده ويعاقبه.

والتحقيقُ أنه لا ينفع ولا يضر مطلقًا؛ فإن الله سبحانه وَسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيء، وهو يُنعِمُ على كثير من خَلقِهِ، وإن لم يعبدوه، فنفعه للعباد لا يختصُّ بعابديه، وإن كان في هذا تفصيلٌ ليس هذا موضعَهُ، وما دونه لا ينفعُ لا مَن عَبَدَهُ ولا مَن لم يَعبُدْهُ، وهو سبحانه الضَّارُّ النافعُ، قادرٌ على أن يَضُرَّ من يشاءُ، وإن كان ما ينزله من الضُّرِّ بعابديه هو رحمةٌ في حَقِّهم؛ كما قال أيوبُ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال أيضًا لرسوله محمدٍ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهو سبحانه يُحدِثُ ما يُحدِثُهُ من الضرر بمن لا يوصف بمعصية منَ الأطفالِ والمجانينِ والبهائم؛ لما في ذلك منَ الحِكمةِ والنعمة والرحمة؛ كما هو مبسوطٌ في غير هذا الموضع»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في موضع آخر ـ: «إن «الضارَّ» و«المانعَ» و«الخافضَ» لا تذكر إلا مقرونةً بـ«النافعِ» «المعطِي» «الرافعِ»؛ لأن ما فعله منَ الضَّرَرِ

(١) مجموع الفتاوى: (١٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣).

والمنعِ والخفض، فيه حكمةٌ بالغةٌ أوجَبَ أن تكونَ فيه رحمةٌ واسعةٌ، ونعمةٌ سابغةٌ؛ فليس في الحقيقة ضررًا عامًّا، وإن كان فيه ضررٌ، فالضررُ الإضافيُّ بالنسبة إلى بعضِ المخلوقاتِ»[1].

هذا ما تيسر جمعُهُ من جهودِ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الأسماء المقترنة وما يتعلق بها من المعاني والأحكام والدَّلالاتِ التي تختصُّ بها.

۞ الفرع الثالث ۞

إشارته لأسماء مقترنة أخرى

هناك بعضُ الأسماءِ المقترنة الأخرى التي أشار إليها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العديد من مؤلفاته، بما لا يمكن اعتباره شرحًا، وإنما هي مجردُ لفتات أردْتُ من خلال هذا الفرع التنويهَ بما ذكره فيها؛ من أجلِ استكمال تتبع جهوده رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب؛ ومن تلك الأسماء المقترنة:

۞ اسْمَا الجلالِ: «المقدِّمُ المُؤَخِّرُ»:

ألمح رَحِمَهُ اللَّهُ إلى شيء من معاني هذين الاسمين في موضع واحد من كُتبِهِ؛ وذلك في أثناء كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ في جميع أفعاله الصادرة عنه، فقال: «والربُّ تعالى حكيمٌ في أفعاله، وهو المقدِّم والمؤخِّر؛ فما قَدَّمَهُ، كان الكمالُ في تقديمِهِ، وما أَخَّرَهُ، كان الكمالُ في تأخيرِهِ»[2].

۞ اسْمَا الجلال: «القابض الباسط»:

أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذين الاسمين بذكر الدليل عليهما من السُّنَّة النبوية؛ وذلك في العديد من المواضع من كتبه؛ حيث ورد هذان الاسمان في قوله ﷺ ـ عندما غلى السعر في عهده، فسأله الصحابة أن يسعر لهم السلع

(١) بيان تلبيس الجهمية: (٤/ ٣٩).
(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٤/ ١٠).

من أجل التخفيف عنهم، فقال ﷺ ـ: **(إِنَّ اللهَ هُوَ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّزَّاقُ المُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ، وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ)**(١)(٢).

هذه جملةٌ منَ الأسماءِ المقترنةِ التي اعتنى شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ بشَرْحِها، وبيانِ معانيها، وشيءٍ منَ الحِكَمِ المتعلقةِ بها، كما ألمح إلى العديدِ من الجوانبِ التعبديةِ فيها؛ مما يفتح الطريقَ على العبد لتحقيق عبودية الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى.

المطلب الثاني

شرحه للأسماء المضافة

سبقتِ الإشارةُ إلى ما ذكره شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في أنواع الأسماء الحُسنى، بأنها ثلاثة(٣)، فالنوعُ الثالث منها هي الأسماء المضافة، وقد أشار إلى هذا النوع في العديد من المواضع من كتبه؛ ومن ذلك:

قوله رَحِمَهُ اللهُ ـ في جواب من سأله عَمَّن يقول: لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا الواردة في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المشهور، قال رَحِمَهُ اللهُ مبينًا أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، ومن الأسماء التي لم ترد في هذا الحديث ذكر جملة من الأسماء المفردة، مثل: «السبوح، و«الشافي»، ثم قال ـ: «وكذلك أسماؤه المضافةُ، مثل: «أرحمِ الراحمينَ»، و«خيرِ الغافرينَ»، و«ربِّ العالمينَ»، و«مالكِ يومِ الدينِ»، و«أحسنِ الخالقينَ»، و«جامعِ الناسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه»، و«مقلِّبِ القلوبِ»،

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٥٠٠).

(٢) **انظر** في إشارة شيخ الإسلام لهذين الاسمين: الحسبة في الإسلام ص: (٢٢، ٣٥)، مجموع الفتاوى: (٢٨/٧٦، ٩٥)، (٢٩/٢٥٤).

(٣) **انظر**: ص: (٤٦٤ ـ ٤٦٥) من هذه الرسالة.

وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين»[١].

فتبين من خلال هذا النصِّ من كلام شيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ أن من أسماء الله تعالى ما يأتي بصيغة الإضافة؛ مثل: «رب العالمين»، و«أرحم الراحمين»، و«خير الغافرين»، و«مالك يوم الدين»، و«أحسن الخالقين»... ونحو ذلك.

وهذا المطلب معقودٌ لجمع جهودِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحِ ما شَرَحَهُ مِنَ الأسماءِ الحسنى الداخلةِ تحت هذا النوع مرتبةً على حروفِ المعجمِ، وذلك من خلال الفروع التالية:

۞ الفرع الأول ۞

شرح اسم الجلال: «أحسن الخالقين»

في تقرير جملة من المعاني المتعلقة بهذا الاسم يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا قيل: إن الربَّ تبارك وتعالى حكيمٌ رحيمٌ، أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ، وأتقَنَ ما صَنَعَ، وهو أرحَمُ الراحمينَ، أرحمُ بعبادِهِ من الوالدةِ بولدِها، والخير كلُّه بيديهِ، والشرُّ ليس إليه؛ بل لا يفعل إلا خيرًا، وما خَلَقَهُ من ألم لبعضِ الحيوانات أو من أعمالهم المذمومة، فله فيها حكمةٌ عظيمةٌ، ونعمةٌ جسيمةٌ كان هذا حقًّا، وهو مدح للرب وثناء عليه.

وأما إذا قيل: إنه يخلق الشرَّ الذي لا خيرَ فيه ولا منفعةَ لأحد، ولا له فيه حكمةٌ ولا رحمةٌ، ويعذبُ الناسَ بلا ذنبٍ ـ: لم يكن هذا مدحًا للرب، ولا ثناءً عليه، بل كان بالعكس.

ومن هؤلاء من يقول: إن الله تعالى أَضَرُّ على خَلقِهِ من إبليس.

وبسط القول في بيان فساد قول هؤلاء له موضع آخَرُ.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٥)، وانظر: مختصر الفتاوى المصرية ص: (٩٥)، الفتاوى الكبرى: (١/ ٢١٨) (ط المعرفة).

وقد بيَّنا بعض ما في خلق جهنَّم وإبليس والسيئات من الحكمة والرحمة، وما لم نعلمْ أعظَمُ مما علمناه.

فتبارك الله أحسنُ الخالقينَ، وأرحَمُ الراحمينَ، وخيرُ الغافرينَ، ومالكُ يومِ الدينِ، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لا يُحصي العبادُ ثناءً عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه، الذي له الحمدُ في الأولى والآخرة، وله الحكمُ وإليه يرجعون، الذي يستحق الحمدَ والحُبَّ والرضا لذاته ولإحسانه إلى عباده، ﷻ، يستحِقُّ أن يُحمَدَ؛ لما له في نفسِهِ منَ المحامدِ والإحسان إلى عباده، هذا حمدُ شكرٍ، وذاك حمدٌ مطلقًا»[(١)].

فدلّ كلامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ السابقُ على أن الله ﷻ استحقَّ أن يكونَ أحسن الخالقين؛ لما هو مشاهَدٌ في بديع صُنعِهِ منَ الإتقان والحكمة، وأن كل ما يخلقه الله ﷻ ـ حتى ما يكون في ظاهره شرٌّ نسبيٌّ ـ فإن له فيه حكمةً حميدةً، قد تظهر للبعض وقد تخفى على الكثير، والله ﷻ مستحِقٌّ للحَمدِ والثناءِ الجميل على ما في هذا الوصفِ وغيرِهِ من سائر أنواع الكمال، حمدًا وشكرًا مطلقًا من كل وجه.

وفيما قرره رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح اسم الجلال: «أحكم الحاكمين» مزيد إيضاح لهذه المعاني:

۞ الفرع الثاني ۞

شرح اسمِ الجلالِ: «أحكمِ الحاكمينَ»

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في إيضاح شيء من دَلالاتِ هذا الاسم ـ: «وهو سبحانه خالقُ كلِّ شيءٍ وربه ومليكُهُ، وله فيما خلقه حكمةٌ بالغةٌ ونعمةٌ سابغةٌ،

(١) الحسنة والسيئة ص: (٦٩ ـ ٧٠)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (٨/ ٣٥ ـ ٣٦، ٧٩ ـ ٨٠، ٢٠٧ ـ ٢٠٨، ٥١٢)، (١٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، (١٨/ ١٣٥)، جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٢٨)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣) (٥/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

ورحمةٌ عامَّةٌ وخاصَّةٌ، وهو لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، لا لمجرد قدرته وقهره؛ بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته.

فإنه ﷻ أحكمُ الحاكمينَ، وأرحَمُ الراحمينَ، وهو أرحَمُ بعبادِهِ منَ الوالدة بولدها، وقد أحسن كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ؛ وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨]»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «السلفُ والأئمة، كما أنهم متفقون على الإيمان بالقَدَرِ، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالقُ كلِّ شيءٍ من أفعالِ العبادِ وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه ووعده ووعيده، وأنه لا حُجَّةَ لأحد على الله في تركِ مأمور، ولا فعلِ محظورٍ، فهم أيضًا متفقون على أن الله حكيمٌ رحيمٌ، وأنه أحكمُ الحاكمين، وأرحم الراحمين.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا**)[(٢)]، وقد أخبر عن حِكمتِهِ في خَلقِهِ وأمره، بما أخبر به في كتابه وسُنَّة رسوله»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في مزيد بيان لبعض المعاني المتعلقة بهذا الاسم ـ: «إن الحكمة وإن تضمنتْ ذلك[(٤)] واستلزمته، فهي أمرٌ زائدٌ على ذلك؛ فليس كل من كان قادرًا أو مريدًا، كان حكيمًا، ولا كل من كان له علم، يكون حكيمًا، حتى يكون عاملًا بعلمه.

قال ابن قتيبة وغيره: الحكمة هي العلم والعمل به، وهي أيضًا: القولُ الصوابُ، فتتناول القول السديد، والعمل المستقيم الصالح.

والرب تعالى أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء، والإحكام الذي في مخلوقاته دليلٌ على عِلمِهِ»[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٨/ ٧٩ ـ ٨٠). (٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦٦٠).

(٣) مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٦٦).

(٤) المراد تضمن الحكمة للقدرة والإرادة والعلم.

(٥) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في استخلاص مَعانٍ أخرى لاسمه تعالى: «أحكم الحاكمين» ـ: «قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذا فيه الإخبار بأنه يغفر ما دون الشرك، وأنه يغفر لمن يشاء لا لكل أحد، لكن هل الجزاء والثواب والعقاب مبنيٌّ على الموازنةِ بالحكمةِ والعَدلِ، كما أخبر الله بوزن الأعمال، أو يغفر ويعذب بلا سبب ولا حكمة ولا اعتبار الموازنة، فيه لهؤلاء[1] قولان:

فمن جوّز ذلك، فإنه يجوزُ عندهم أن يُعَذِّبَ اللهُ من هو من أبرّ الناس، وأكثرهم طاعاتٍ وحسناتٍ على سيئةٍ صغيرةٍ، عذابًا أعظم من عذابِ أفسَقِ الفاسقينَ، ويجوز عندهم أن يغفر لأفسق الفاسقين من المسلمين وأعظمهم كبائرِ كلِّ ذنبٍ، ويُدخِلُهُ الجنةَ ابتداءً، مع تعذيبهم ذلك في النار على صغيرة؛ ولهذا قال جمهور الناس عن هؤلاء: إنهم لا ينزهون الربَّ على السفه والظلم؛ بل يصفونه بالأفعال التي يوصف بها المجانين والسفهاء؛ فإن المجنون والسفيه قد يُعطي مالًا عظيمًا لمن ليس هو له بأهل، وقد يُعاقِبُ عقوبةً عظيمةً مَن هو أهل للإكرام والإحسان، والربّ تعالى أَحكَمُ الحاكمينَ، وأعدَلُ العادلينَ، وخيرُ الراحمينَ، **والحكمة**: وضعُ الأشياءِ مواضِعَها، **والظلم**: وَضعُ الشيءِ في غير مَوضعه، ومن تدبر حكمته في مخلوقاته ومشروعاته، رأى ما يُبهر العقول... فكيف يجوز في حكمته وعدله ورحمته فيمن هو دائمًا يفعل ما يرضيه من الطاعات والعبادات والحسنات، وقد نظر نظرةً مَنْهيًّا عنها ـ: أن يعاقبه على هذه النظرة بما يعاقب به أفجرَ الفُسَّاقِ، وأن يكون أفجرُ الفُساق في أعلى عِليّين، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ لكن لا يشاء إلا ما يناسِبُ حكمتَهُ ورحمتَهُ وعدلَهُ، كما لا يشاء ويريد إلا ما عَلِمَ أنه سيكون، فلو قيل: هل يجوز أن يشاء ما عَلِمَ أنه لا يكون؟ لم يجز ذلك باتفاقهم؛ لمناقضة علمه، والعِلم يطابق المعلومَ، فكيف يشاء ما يناقض حكمته

---

(١) الأشاعرة والشيعة ومن وافقهم في نفي التحسين والتقبيح العقلي مطلقًا.

ورحمته وعدله؟!»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «ومما يتبين عدل الربّ وإحسانه، وأن الخير بيديه، والشرَّ ليس إليه؛ كما كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يُثني على ربه بذلك في مناجاته له في دعاء الاستفتاح[(٢)]، وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة؛ بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين، وهو أرحم من الوالدة بولدها؛ كما أخبر بذلك النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح[(٣)]، وهو سبحانه أحكَمُ الحاكمينَ؛ كما قال نوح في مناجاته: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]»[(٤)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في أثناء تفسيره لسورة التين ـ: «وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، يدلُّ على أنه الحاكمُ بينَ المكذِّبِ بالدين، والمؤمن به، والأمر في ذلك له تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[(٥)].

هذه جملةٌ منَ النقول عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، في تقرير المعاني المتعلقة باسم الجلال: «أحكم الحاكمين»، والتأكيد على ارتباط الحكمة التي يدل عليها هذا الاسم بعلمه وعدله ورحمته عَزَّ وَجَلَّ.

۞ الفرع الثالث ۞

شرح اسمَيِ الجلالِ: «أرحمِ الراحمينَ»، و«خيرِ الراحمينَ»

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان دلالة هذينِ الاسمينِ على تفضيلِهِ عَزَّ وَجَلَّ عن كل ما سواه فيما يدلان عليه من رحمته عَزَّ وَجَلَّ ـ: «وهو أرحم الراحمين، وخير الراحمين؛ كما قال أيُّوبُ: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وقال لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]؛ فهو

---

(١) النبوات: (١/ ٤٧١ ـ ٤٧٤).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ في دعاء استفتاح الصلاة: (**وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**) رواه مسلم، وقد تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤١٥).

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦٦٠).

(٤) رسالة في معنى كون الربِّ عادلًا وتنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧).

(٥) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٠)، **وانظر**: (١٦/ ٢٨٩).

أحق بالرحمة والجود والإحسان من كل أحد»(١).

أما في تقرير شيء من معاني هذين الاسمين، فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، كما أقسم على ذلك النبيُّ ﷺ فقال: **(وَاللهِ! للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا)**(٢)، إلى نحو هذه المعاني التي تقتضي شمولَ حكمتِهِ، وإتقانِهِ، وإحسانِهِ خَلْقَ كلِّ شيء، وَسَعَةَ رحمتِهِ، وعظمتَهَا، وأنها سبقتْ غضبَهُ، كل هذا حق»(٣).

«فبين(٤) أن الله أرحَمُ بعبادِهِ من أرحمِ الوالداتِ بولدها؛ فإنه من جَعَلَهَا رحيمةً أرحم منها... فإنه سبحانه أرحم الراحمين، وخير الغافرين، وخير الفاتحين، وخير الناصرين، وأحسن الخالقين، وهو نِعْمَ الوكيلُ، ونِعمَ المولى، ونعم النصير.

وهذا يقتضي حمدًا مطلقًا على ذلك وأنه كافٍ مَن توكَّلَ عليه، وأنه يتولى عبده تَولِّيًا حسنًا، وينصره نصرًا عزيزًا، وذلك يقتضي أنه أفضل وأكمل من كل ما سواه»(٥).

وفي تقرير اختيار هذين الاسمين في الدعاء والتضرع إلى الله ﷻ بما فيه إظهار شدة الفقر والحاجة أمام الله ﷻ، وبما يتضمن سؤال رحمته تعالى باسم فيه تفضيلُهُ ﷻ على كل من سواه في موجب ذلك ـ: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن هذا الباب(٦) قول أيوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ فوَصَفَ نفسَهُ ووَصَفَ ربه بوصفٍ يتضمن سؤالَ رحمتِهِ، بكشف ضُرِّهِ، وهي صيغةُ خبرٍ تضمَّنَتِ السؤالَ، وهذا من باب حُسنِ الأدبِ في السؤال والدعاء، فقول القائل لمن يعظِّمه ويرغب

(١) رسالة في معنى كون الربِّ عادلًا وتنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٣٧).
(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦٦٠).
(٣) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٠٠).
(٤) **أي**: النبي ﷺ عند ذكره حديث المرأة مع ولدها.
(٥) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).
(٦) المقصود: حسن الأدب في سؤال الله ﷻ.

إليه: أنا جائع، أنا مريض، حُسنُ أدبٍ في السؤال، وإن كان في قوله: أطعمني، وداوني، ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب، طلب جازم من المسؤول، فذاك فيه إظهارُ حالِهِ وإخباره على وجه الذلّ والافتقار، المتضمن لسؤال[١] الحال، وهذا فيه الرغبةُ التامَّةُ، والسؤالُ المحضُ، بصيغة الطلب»[٢].

وفي إشارة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعض المفاهيم الخاطئة التي من أجلها نفى بعضُ المبتدعةِ موجَبَ ما يتصف به «أرحمُ الراحمينَ» و«خيرُ الراحمينَ»؛ من الرحمة والحكمة، مما يُعدّ إلحادًا في أسماء الله وصفاته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان الجهم غاليًا في تعطيل الصفات؛ فكان ينفي أن يُسمَّى الله تعالى باسمٍ يُسمَّى به العبد؛ فلا يسمى شيئًا، ولا حيًّا، ولا عالمًا، ولا سميعًا، ولا بصيرًا، إلا على وجهِ المجازِ، وحُكِيَ عنه أنه كان يُسمِّي اللهَ تعالى قادرًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر، فلا تشبيه بهذا الاسم على قوله.

وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمةٌ في خَلقِهِ وأمرِهِ، وأن يكون له رحمةٌ، ويقولون: إنما فعل بمحضِ مشيئةٍ لا رحمةَ معها، وحُكِيَ عنه أنه كان يُنكِرُ أن يكونَ الله أرحمَ الراحمينَ، وأنه كان يخرج إلى الجُذَامَى؛ فينظر إليهم ويقول: «أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء؟!»»[٣].

ومعاني اسم الجلال: «خير الراحمين» لا تختلف كثيرًا عن معاني اسم الجلال: «أرحم الراحمين»، وقد سبق بيانُ شيءٍ من جهود شيخ

(١) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: «الزوال»، والله أعلم.

(٢) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٢٠)، **وانظر**: مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، (١٥/ ٢٦ ـ ٢٨)، الحسنة والسيئة ص: (٦٩)، رسالة في معنى كون الرب عادلًا وتنزهه عن الظلم، ضمن جامع الرسائل: (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٦٠)، **وانظر**: جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ص: (١٣٢، ٢١٥)، النبوات: (٢/ ٩١٥)، منهاج السُّنَّة النبوية: (٣/ ٣١ ـ ٣٢)، (٦/ ٣٩٧)، رسالة في تحقيق التوكل، ضمن جامع الرسائل: (١/ ٨٨).

الإسلام في تقريرها قريبًا، فكلا الاسمين دالٌّ على صفة الرحمة بصيغة التفضيل، والفرق بينهما في نفس الصيغة، فالأول دَلَّ عليها من نفس اللفظ: «أرحم»، وهنا دلّ عليها بلفظ: «خير»، وهو من صيغ التفضيل المشهورة، ولم يَخُصَّ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الاسم بكلام في بيان معانيه لم يذكرها في شرح اسم الجلال: «أرحم الراحمين»، بل دائمًا نجده يقرنهما في الكلام عن معناهما؛ كما مرّ في النصوص السابقة.

۞ الفرع الرابع ۞

شرح اسمَيِ الجلال: «أهل التقوى» و«أهل المغفرة»

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان شيء من معاني هذين الاسمين ـ: «كما ختم بذلك[1] سورةَ المدثر بقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، فهو سبحانه أهل التقوى، ولم يقل سبحانه: «أهلٌ للتقوى»؛ بل قال: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، فهو وحده أهلٌ أن يُتقى؛ فيُعبد دون ما سواه، ولا يستحق غيره أن يُتقى؛ كما قال: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، وهو «أهل المغفرة»، ولا يغفر الذنوب غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وفي غير حديث يقول النبيُّ ﷺ: **(إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)**[2]؛ فهو سبحانه أهل التقوى، وأهل المغفرة»[3].

فقرّر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا النصّ ارتباطَ الصيغةِ التي ورد عليها هذان الاسمانِ في الآية بمعناهما، بما يفيد حَصْرَ التقوى والمغفرة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(١) أي: بالاستغفار بعد أداء العبادات، ومثّل لذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بالاستغفار بعد الفراغ من قيام الليل، كما ذُكر في سورة المزمل والمدثر.

(٢) جزء من حديث دعاء الاستفتاح في الصلاة تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٤١٥).

(٣) فصل في أن التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ضمن مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٠).

دون من سواه؛ فهو وحده الذي يستحق أن يُتقى؛ بأن يُعبَدَ وحدَهُ، ولا يُشْرَكَ به شيءٌ، وهو وحده ﷻ الذي يغفر الذنوب التي قد تشوب تقوى العبد.

۞ الفرع الخامس ۞

شرح اسم الجلال: «خير الغافرين»

قال رحمه الله ـ مبينًا شيئًا من المعاني التي يدلّ عليها هذا الاسم، والتي تدور حول صفة المغفرة، وأن لله ﷻ الوصفَ الأكملَ منها؛ ولذلك ورد هذا الاسمُ بصيغةِ التفضيلِ، وفي ذلك يقول رحمه الله: «قول النبيِّ ﷺ لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه لمَّا قال له: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: (**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**)، أخرجاه في الصحيحين[١].

فهذا فيه وصفُ العبد لحالِ نفسِهِ المقتضِي حاجتَهُ إلى المغفرةِ، وفيه وصفُ ربه الذي يُوجب أنه لا يقدر على هذا المطلوبِ غيرُهُ، وفيه التصريحُ بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضِي للإجابة: وهو وصف الربّ بالمغفرة والرحمة؛ فذا ونحوه أكمل أنواع الطلب.

وكثيرٌ منَ الأدعية يتضمنُ بعضَ ذلك؛ كقول موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾، فهذا طلبٌ ووصفٌ للمَولى بما يقتضِي الإجابة.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦]، فيه وصفُ حالِ النفسِ والطلب.

وقوله: ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فيه الوصفُ المتضمنُ للسؤال بالحالِ، فهذه أنواع لكل نوع منها خاصَّة»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٩٢).

(٢) تفسير الآية الكريمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ص: (٢١ ـ ٢٢).

فأشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكلام إلى وجوب مراعاة الأنسب في مخاطبة الله عَزَّ وَجَلَّ حالَ الدعاء، بأن يلحظ العبد حُسنَ الأدبِ مع الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وذلك باختيار الأسماء المناسبة لمطلوبه مما يكونُ مقتضيًا لإجابة دعائه، فيختار هذا الاسمَ مثلًا الدالَّ على تفرُّدِ الله عَزَّ وَجَلَّ بمغفرةِ الذنوبِ في مقام طلبِ المغفرةِ والرحمة، مما قد يصدر من العبد من ذنوب ومَعَاصٍ، فيكون ذلك أدعى للإجابة، وأكملَ في إظهار الحاجة والافتقارِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

۞ الفرع السادس ۞

شرحُ اسم الله تعالى: «ذو الجلال والإكرام»

استدل شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ على ثبوت هذا الاسم في حق الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله تعالى في سورة الرحمٰن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨].

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أوجُه القراءةِ لهذه الآية: «وأما قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾، ففيها قراءتان:

الأكثرون يقرؤون: ﴿ذِى ٱلۡجَلَٰلِ﴾؛ فالربُّ المُسمَّى هو «ذو الجلال والإكرام».

وقرأ ابن عامر[(١)]: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، وكذلك هي في المُصحفِ الشاميِّ، وفي مصاحفِ أهل الحجاز والعراق هي بالياء»[(٢)].

وفي تقرير جملة من معاني هذا الاسم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام، فهو المستحِقُّ لِأَن يُجَلَّ ولأن يُكرَمَ،

---

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي الحميري أبو عمران الدمشقي، مقرئ الشام، وأحد الأئمة القراء السبعة، عداده في التابعين، وكان قليل الحديث، توفي سنة: ١١٨هـ.
انظر ترجمته في: تاريخ دمشق: (٢٩/ ٢٧١)، معرفة القراء الكبار: (١/ ٨٢).

(٢) قاعدة في الاسم والمسمى، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/ ١٩٣).
قال ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ إجماع القراء ها هنا على الياء، إلا ما تفرّد به ابن عامر فيه من الواو؛ لأنه جعله وصفًا للاسم، وجعله الباقون وصفًا لقوله: ﴿رَبِّكَ﴾ والوصف تابع للموصوف، كالبدل والتوكيد وعطف البيان»اهـ، الحجة في القراءات السبع ص: (٣٤٠).

والإجلالُ يتضمنُ التعظيمَ، والإكرامُ يتضمنُ الحَمدَ والمحبةَ»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ - في موضع آخر مُفصِّلًا القولَ فيما ذكره من المعاني التي دلّ عليها هذا الاسمُ عمومًا في النَّصِّ السابق: «وقوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فيه ثلاثة أقوال:

قيل: أهلٌ أن يُجَلَّ وأن يُكرم؛ كما يقال إنه: ﴿أَهْلُ التَّقْوَى﴾؛ **أي**: المستحِقُّ لأَن يُتقى.

وقيل: أهلٌ أن يُجَلَّ في نفسِهِ، وأن يُكْرِم أهل ولايته وطاعته.

وقيل: أهلٌ أن يُجَلَّ في نفسِهِ، وأهلٌ أن يُكْرَم.

ذكر الخَطَّابي الاحتمالاتِ الثلاثةَ(٢)، ونقل ابنُ الجَوزيِّ كلامَهُ، فقال: «قال أبو سليمان الخَطَّابي: الجَلال مصدرُ الجليلِ؛ يقال: جليل بين الجلالة والجلال، والإكرام: مصدر: أكرم يكرم إكرامًا، والمعنى: أنه يُكرم أهل ولايته وطاعته، وأن الله يستحِقُّ أن يُجَلَّ ويُكرَمَ، ولا يُجحَدَ ولا يُكفَرُ به، قال: ويَحتمِلُ أن يكونَ المعنى: يُكرِمُ أهلَ ولايتِهِ ويرفع درجاتِهم»(٣).

قلت: وهذا الذي ذكره البغويُّ؛ فقال: «﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ العظمة والكبرياء، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ يكرم أنبياءه وأولياءه بلطفه، مع جلاله وعظمته»(٤).

قال الخَطَّابيُّ: «وقد يَحتَمِلُ أن يكون أحدُ الأمرينِ وهو الجلالُ مضافًا إلى الله بمعنى الصفةِ له، والآخر مضافًا إلى العبد بمعنى الفعل؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فانصرف أحد الأمرين إلى الله، وهو المغفرة، والآخَرُ إلى العباد؛ وهي التقوى»(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٦/ ٢٩٦).

(٢) لم أقف عليه في مؤلفات الخطابي، فلعله في شرح الأسماء الحسنى له، وهو غير موجود.

(٣) **انظر**: زاد المسير في علم التفسير ص: (١٣٧٩)، والذي نقله شيخ الإسلام وجهان فقط، والوجه الثالث سيأتي في النقل عن البغوي.

(٤) **انظر**: معالم التنزيل: (٤/ ٢٧٠)، وفيه: «**أي**: مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه».

(٥) **انظر**: زاد المسير في علم التفسير ص: (١٣٧٩).

قلت: القول الأول هو أقربها إلى المراد، مع أن الجلال هنا ليس مصدرَ: جَلَّ جَلَالًا؛ بل هو اسمُ مصدرِ: أَجَلَّ إجلالًا؛ كقول النبي ﷺ: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ، إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**)[1]؛ فجَعَلَ إكرامَ هؤلاء من جلال الله؛ **أي**: من إجلال الله؛ كما قال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، وكما يقال: كلَّمه كلامًا، وأعطاه عطاءً، والكلامُ والعطاء اسم مصدرِ: التكليمِ والإعطاء.

والجلال قُرِنَ بالإكرام، وهو مصدر المتعدي؛ فكذلك الإكرام.

ومن كلام السلف: «أَجِلُّوا اللهَ أَنْ تَقُولُوا كَذَا»، وفي حديث موسى: (**يَا رَبِّ، إِنِّي أَكُونُ عَلَى الحَالِ الَّتِي أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ عَلَيْهَا، قَالَ: اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ**)[2].

وإذا كان مُستَحِقًّا للإجلال والإكرام، لَزِمَ أن يكون مُتَّصِفًا في نفسه بما يوجب ذلك، كما إذا قال: الإلـه هو المستحِقُّ لأن يُؤَلَّهَ؛ **أي**: يُعْبَدَ، كان هو في نفسه مُستَحِقًّا لما يُوجب ذلك، وإذا قيل: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، كان هو في نفسه متصفًا بما يُوجب أن يكون هو المُتَّقَى.

ومنه قول النبيِّ ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع بعدما يقول: (**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)[3]؛ **أي**: هو مستحِقٌّ لأن يُثْنَى عليه، وتُمَجَّدَ نفسُهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، برقم: (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني.

(٢) أورده الإمام أحمد في كتاب الزهد ص: (٦٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة: (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) برقم: (٥٧٥)، (٢/ ٥٢٧) برقم: (١٢١٢)، عن كعب الأحبار، قال: «كلم الله موسى...» ثم ذكره، فهو من أخبار بني إسرائيل التي يُتوقف في ثبوتها، فلا تُصدق ولا تكذب.

(٣) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٧١٦).

والعباد لا يُحصُونَ ثناءً عليه، وهو كما أثنى على نفسه، كذلك هو أهل أن يُجَلَّ وأن يُكْرَم، وهو سبحانه يُجِلُّ نفسَهُ ويُكْرِمُ نفسَهُ، والعباد لا يحصون إجلاله وإكرامه.

والإجلالُ من جنس التعظيم، والإكرامُ من جنس الحُبِّ والحَمدِ، وهذا كقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، فله الإجلال والملك، وله الإكرام والحمد.

والصلاة مبناها على التسبيحِ في الركوع والسجود، والتحميدِ والتوحيدِ في القيام والقعود، والتكبير في الانتقالات؛ كما قال جابر: (**كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا، كَبَّرْنَا، وَإِذَا هَبَطْنَا، سَبَّحْنَا، فَوُضِعَتِ الْصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ**)، رواه أبو داود[(١)].

وفي الركوع يقول: «سبحان ربي العظيم»، وقال النبي ﷺ: (**إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا؛ أَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِيهِ فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**)[(٢)].

وإذا رفع رأسه، حَمِدَ فقال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»، فيحمده في هذا القيام، كما يحمده في القيام الأول، إذا قرأ أم القرآن:

فالتحميدُ والتوحيدُ مقدَّمٌ على مجردِ التعظيم؛ ولهذا اشتملتِ الفاتحةُ على هذا؛ أولها تحميدٌ، وأوسَطُها تمجيدٌ، ثم في الركوع تعظيمُ الربِّ، وفي القيام يحمده ويُثنى عليه ويمجده:

فدلّ على أن التعظيمَ المجرَّدَ تابعٌ لكونه محمودًا، وكونه معبودًا؛ فإنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبط واديًا، برقم: (٢٩٩٤)، بلفظ: (**كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا، كَبَّرْنَا وَإِذَا هَبَطْنَا سَبَّحْنَا**).
وليس هو عند أبي داود بهذا اللفظ، لكن أخرجه أبو داود في سننه، عن ابن عمر قال: (**وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا، فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ**)، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، برقم: (٢٥٩٩)، وصحح الألباني لفظ الحديث دون قوله: (**فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ**).

(٢) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٣).

يحب أن يُحمد ويُعبد، ولا بد مع ذلك من التعظيم، فإن التعظيمَ لازمٌ لذلك.

وأما التعظيمُ، فقد يتجرَّدُ عنِ الحَمدِ والعبادةِ على أصلِ الجهميةِ، فليس ذلك بمأمور به، ولا يصير العبدُ به لا مؤمنًا ولا عابدًا ولا مطيعًا.

وأبو عبد الله ابنُ الخطيبِ الرازيُّ يجعل الجلالَ للصفاتِ السلبيةِ، والإكرامَ للصفاتِ الثبوتيةِ، فَيُسَمِّي هذه: «صفاتِ الجلالِ»، وهذه: «صفاتِ الإكرام»، وهذا اصطلاحٌ له، وليس المرادُ هذا في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨].

وهو في مصحف أهل الشام: «تبارك اسمُ ربكَ ذو الجلال والإكرام»، وهي قراءة ابن عامر(١)، فالاسمُ نفسُهُ يذوى بالجلال والإكرام، وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور: ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾، فيكون المسمى نفسه.

وفي الأولى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، فالمذوى وَجْهُهُ سبحانه، وذلك يستلزمُ أنه هو ذو الجلال والإكرام، فإنه إذا كان وجهه ذا الجلال والإكرام، كان هذا تنبيهًا؛ كما أن اسمه إذا كان ذا الجلال والإكرام، كان تنبيهًا على المسمى.

وهذا يُبين أن المراد أنه يستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَم:

فإن الاسمَ نفسَهُ يُسَبَّحُ ويُذْكَرُ، ويراد بذلك المُسمَّى، والاسم نفسه لا يفعل شيئًا، لا إكرامًا ولا غيره؛ ولهذا ليس في القرآن إضافةُ شيءٍ من الأفعال والنعم إلى الاسم.

ولكن يقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٧٨]، ونحو ذلك، فإن اسم الله مبارَكٌ، تُنالُ معه البركة، والعبدُ يُسبّح اسمَ ربه الأعلى؛ فيقول: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»، ولما نزل قوله:

---

(١) تقدمت ترجمته وتوثيق قراءته قريبًا.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، قال: (**اِجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**)(١)، فقالوا: «سبحان ربي الأعلى».

فكذلك كان النبيُّ ﷺ لا يقول: «سبحان اسم ربي الأعلى»، لكن قوله: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»، هو تسبيحٌ لاسمه، يُراد به تسبيحُ المسمَّى، لا يُرادُ به تسبيحُ مجرَّدِ الاسمِ؛ كقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فالداعي يقول: «يا اللهُ، يا رحمٰنُ»، ومراده المُسمَّى، وقوله: ﴿أَيًّا مَّا﴾؛ أيَّ الاسمَينِ تدعوا، ودعاء الاسم هو دعاء مُسمَّاه.

وهذا هو الذي أراده من قال من أهل السُّنَّة: إنَّ الاسمَ هو المسمَّى، أرادوا به أن الاسمَ إذا دُعِيَ وذُكر، يراد به المُسمَّى، فإذا قال المُصلِّي: «الله أكبر»، فقد ذكر اسمَ ربه، ومراده المُسمَّى.

لم يريدوا به أن نفسَ اللفظ هو الذاتُ الموجودةُ في الخارجِ؛ فإن فساد هذا لا يخفى على مَن تصوَّرَهُ، ولو كان كذلك، كان من قال: «نارًا»، احترق لسانه، وبَسْطُ هذا له موضعٌ آخَرُ(٢).

والمقصود أن «الجلال والإكرام»، مثل «الملك والحمد»، كالمحبة والتعظيم، وهذا يكون في الصفاتِ الثبوتيةِ والسلبيةِ؛ فإن كُلَّ سَلبٍ فهو متضمنٌ للثبوتِ، وأما السلبُ المحضُ، فلا مَدْحَ فيه.

وهذا مما يظهر به فسادُ قولِ مَن جعل أحدَهما للسلبِ، والآخَرَ للإثباتِ، لا سيما إذا كان منَ الجهميةِ؛ الذين ينكرون محبته، ولا يثبتون له صفاتٍ تُوجِبُ المحبةَ والحَمْدَ؛ بل إنما يثبتون ما يوجبُ القهرَ؛ كالقدرة، فهؤلاء آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وألحَدُوا في أسمائه وآياته بقدر ما كذبوا به من الحق»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٣٠٢).

(٢) سيأتي بحث هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الثالث بإذن الله، **انظر**: ص: (٧٦٠ ـ ٧٦٢) من هذه الرسالة.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٦/٣١٧ ـ ٣٢٤).

فتبين من خلال هذا النص المطوّل عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: تقرير معاني اسم الله تعالى: «ذو الجلال والإكرام» بالتفصيل الذي لا مزيد عنه، مع التنبيه على ما وقع فيه المبتدعةُ منَ الجهميةِ ومن وافقهم من المفاهيم الخاطئة المتعلقة بهذا الاسم وما يدل عليه، والرد على هذه المفاهيم بما لا تكاد تجد نظيره عند غير شيخ الإسلام رحمه الله رحمة واسعة.

۞ الفرع السابع ۞

شرحُ اسمِ الجلالِ: «ربّ العالمين»

كما أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تعذّر إحصاء الآيات التي ورد فيها اسمُ الجلالِ: «الربُّ»، فإنه لا يمكن بحال حَصرُ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في التنبيه على معاني هذا الاسم الجليل؛ ولعلّ ما سبق من بيان شيء من تقريراته عند شرح اسم الجلال: «الربِّ»، ضِمنَ الأسماءِ المفردة ـ: كافٍ في الإيماء إلى شيء منها بما يغني عن تكراره هنا.

ولا بأس بذكر موضع واحد فيه تقريرٌ بديعٌ لجُملٍ منَ المعاني المتعلقة بهذا الاسم العظيم، الدالةِ بدَورها على جميع معاني الربوبية، وذلك في كلام مطوّل يُجَلِّي بعضَ تلك المعاني؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لا ريب أن الله ربّ العالمين، ربُّ السماوات والأرضين وما بينهما، وربُّ العرش العظيم، ربُّ المشرق والمغرب، لا إلـه إلا هو؛ فاتخذه وكيلًا، ربُّكُم وربّ آبائكم الأولين، رَبُّ الناسِ، مَلِكُ الناس، إلـهُ الناسِ، وهو خالقُ كلِّ شيءٍ، وهو على كل شيءٍ وكيلٌ، خَلَقَ الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمنى، وهو ربُّ كل شيء ومليكه، وهو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قديرٌ، له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحتَ الثَّرَى، الرحمٰن على العرش استوى، له المُلك وله الحَمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، ما من دابةٍ إلا هو آخِذٌ بناصِيَتِها، إن ربي على صراطٍ مستقيمٍ.

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، إن شاء أن يقيمَهُ أقامَهُ، وإن شاء أن يزيغَهُ أزاغه، وهو الذي أضحك وأبكى، وأغنى وأقنى، وهو الذي يرسل الرياح بُشرًا بين يدَيْ رحمتِهِ، وينزل من السماء ماء؛ فيحيي به الأرضَ بعدَ موتها، ويبث فيها من كل دابة.

وهو الذي خلق السمٰوات والأرض، وجعل الظلماتِ والنورَ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فمن يرد الله أن يهديَهُ يشرحْ صَدرَهُ للإسلام، ومن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ، يجعلْ صدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا؛ كأنما يَصَّعَّدُ في السماء، كذلك يجعل الله الرجسَ على الذين لا يؤمنون، وهو اللهُ لا إلٰه إلا هو، له الحمدُ في الأولى والآخرة، وله الحكمُ وإليه تُرجَعُون، وهو الحيُّ القيومُ، الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، وهو القائمُ بالقسطِ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الخالقُ البارئُ المصوِّرُ، وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رِزقُهَا، وما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه:

فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته، وملكه، وخلقه، ورزقه، وهدايته، ونصره، وإحسانه، وبرِّه، وتدبيره، وصنعه، ثم ما يتصل بذلك؛ من أنه بكل شيءٍ عليمٌ، وعلى كل شيءٍ قديرٌ، وأنه سميعٌ بصيرٌ، لا يشغَلُهُ سَمعٌ عن سمعٍ، ولا تغلطه المسائلُ، ولا يتبرَّمُ بإلحاح المُلِحِّينَ، يُبصِرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظَّلْماءِ، على الصخرةِ الصَّمَّاءِ.

فهذا كله حَقٌّ، وهو محضُ توحيد الربوبية، وهو مع هذا قد أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثم هَدَى، وأحسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ، وبدأ خَلْقَ الإنسانِ من طينٍ، وهذا صُنعُ الله؛ الذي أتقن كل شيء، والخيرُ كلُّهُ بيدَيْهِ، وهو أرحمُ الراحمينَ، وهو أرحمُ بعباده منَ الوالدةِ بوَلَدِهَا؛ كما أقسَمَ على ذلك النبيُّ ﷺ، فقال: **(وَاللهِ، للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ، مِنْ هَذِهِ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا)**[1].

---

(١) تقدم تخريجه، **انظر**: ص: (٦٦٠).

إلى نحو هذه المعاني التي تقتضي شمولَ حكمته وإتقانه، وإحسانه خلق كل شيء، وسَعَة رحمته وعظمتها، وأنها سبقت غضبه، كل هذا حق.

فهذان الأصلان: عموم خلقه وربوبيته، وعموم إحسانه وحكمته، أصلان عظيمان...

... وإذا كان كذلك، فجميع الكائنات آياتٌ له شاهدةٌ دالَّةٌ مظهِرةٌ لما هو مُستحَقٌّ له من الأسماءِ الحسنى، والصفاتِ العُلى، وعن مقتضى أسمائه وصفاته خَلَقَ الكائناتِ.

فإنّ الرَّحِمَ شُجنةٌ منَ الرحمٰنِ؛ خَلَقَ الرَّحم، وشقَّ لها من اسمِهِ، وهو الرازِقُ ذو القوة المتين، يرزقُ مَن يشاء بغير حساب، وهو الهادي النصير، يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ، وينصُرُ رُسُلَهُ والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وهو الحكيم العليم الرحيم، الذي أظهر من آثار علمه وحكمته ورحمته ما لا يحصيه إلا هو.

فهو رب العالمين، والعالَمُون ممتلئون بما فيهم من آثار أسمائه وصفاته، وكل شيء يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، من الناس من يدرك ما فيها من الدَّلالةِ والشهادة بالعلم والمعرفة، ومن خرق الله سمعه، سَمِعَ تأويبَ الجبالِ والطيرِ، وعُلِّمَ منطِقَ الطيرِ»[١].

فلا أرى أنَّ مَن وقف على مثل هذا الكلام البديع بحاجة إلى إيراد المزيد في بيان معاني الربوبية التي دلّ عليها اسمه تعالى: «رب العالمين».

۞ الفرع الثامن ۞

شرح اسم الجلال: «مالك يوم الدين»

قال رَحِمَهُ اللهُ ـ في إيضاح جملة من المعاني المتعلقة بهذا الاسم ـ:

«وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، مع أنه ملك الدنيا؛ لأن يوم الدين لا يَدَّعِي أحدٌ فيه منازعةً، وهو اليوم الأعظم، فما الدنيا في الآخرة

(١) الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى: (٢/ ٣٩٨ ـ ٤٠١).

إلا كما يضع أحدكم إصبعَهُ في اليمِّ، فلينظر بم يرجع[(١)]، و﴿الدِّينِ﴾، عاقبة أفعال العباد، وقد يدلُّ بطريق التنبيه وبطريق العموم عند بعضهم على ملك الدنيا؛ فيكون له المُلكُ وله الحَمدُ؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الدَّلالةِ على ما يفيدُهُ هذا الاسمُ من عموم ملكه ـ: «وأنتَ إذا قرأتَ القرآنَ من أوله إلى آخِرِه، وجدتَّ غالبَ عموماتِهِ محفوظةً لا مخصوصةً، سواء عنيتَ عمومَ الجمع لأفراده، أو عمومَ الكُلِّ لأجزائه، أو عمومَ الكل لجزيئاته، فإذا اعتبرتَ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فهل تجد أحدًا من العالمين ليس الله ربَّه؟! ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، فهل في يوم الدين شيءٌ لا يملكه الله؟!»[(٣)].

والإجابة حتمًا وقطعًا بالنفي، وهذا من الأمور القطعية الواضحة التي لا يمكن الارتياب فيها، مما يغني عن الإسهاب في الجواب عنها.

كما أشار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن هذا الاسمَ ونحوَه من خصائص الربوبية التي لا يشاركُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فيها أحدٌ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌ مرسَلٌ[(٤)].

۞ الفرع التاسع ۞

شرح اسم الجلال: «مالك الملك»

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تقرير شيء من معانيه ـ: «وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ، وهو مالك المُلكِ، يؤتي المُلكَ من يشاءُ، وينزِعُ المُلكَ ممَّن يشاءُ، ويُعِزُّ

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم: (٢٨٥٨)، عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(واللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هذه (أَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ) فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ)**.

(٢) الصفات الاختيارية، ضمن جامع الرسائل: (٢/ ٦٩)، وانظر: مجموع الفتاوى: (٦/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣).

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٣٢٨).

من يشاء، ويُذِلُّ مَن يشاء، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، الرحمٰن على العرش استوى، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»[(١)].

وفي الحقيقة أن المرء قد يَعجِزُ في كثيرٍ منَ الأحيان عن التكلم في معاني مثل هذه الأسماء الحسنى لوضوحها وجِلائها؛ ولكن مراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغرضه من ذلك التنبيهُ على بعض اللفتات الإيمانية التي تبعث العبد على تحقيق عبودية الله عَزَّ وَجَلَّ بمقتضاها، وظهور آثارها عليه.



(١) مجموع الفتاوى: (٢/٣٩٨).